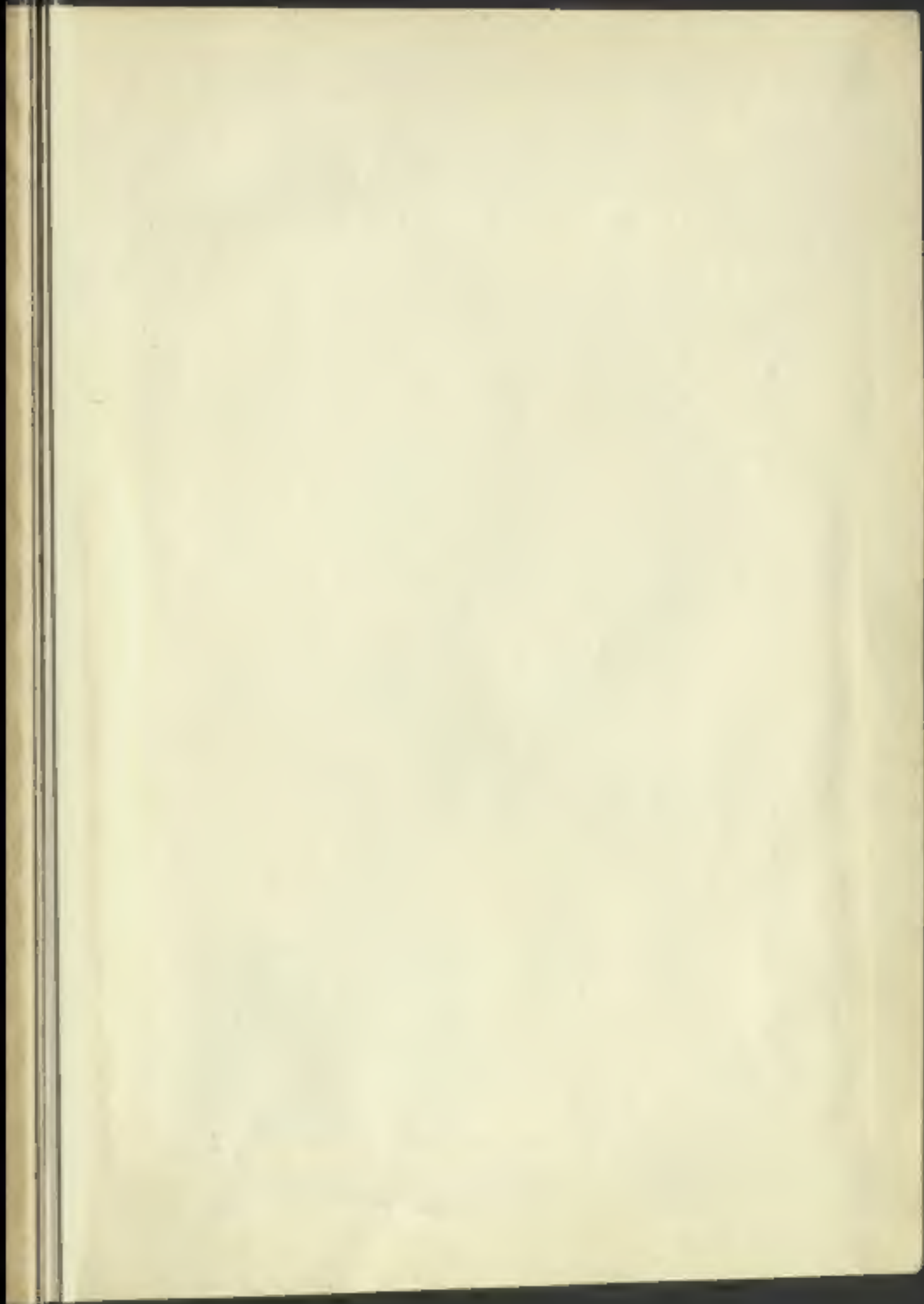


ملاح
ملاح
ملاح

PLATE 101



الخلافة الإسلامية

القسم الأول

عصر الراشدين

بضم

عبد الحميد بن

المدرس بكلية أصول الدين

وفق التمهيد المقرر على السنة الثانية بالكلية

١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

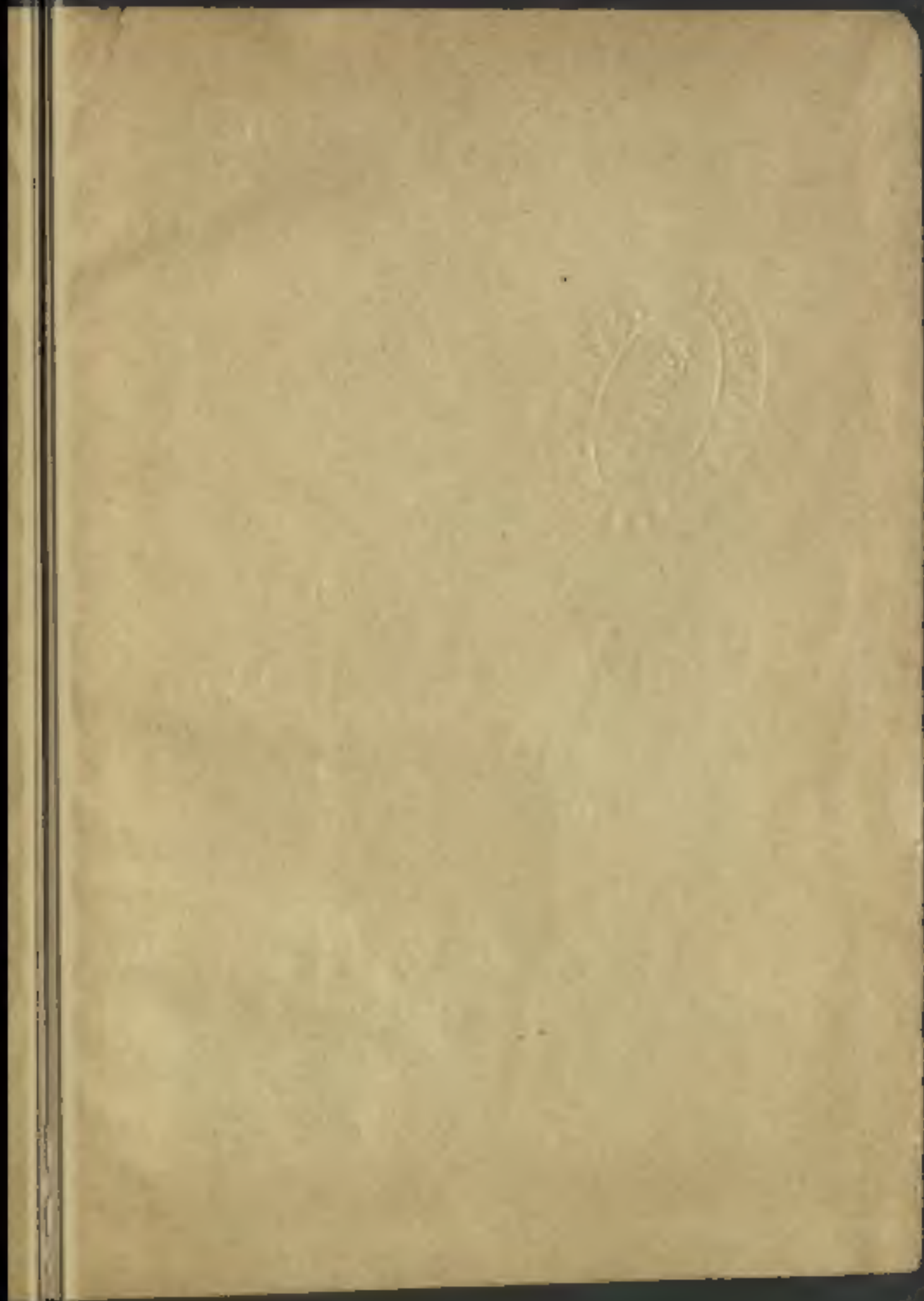
يطلب من

مكتبة محمود أفندي توفيق

بالسكة الجديدة بمصر

مطبعة النخلة بحوانيج مصر

297.03
316154
pt.1
C.1



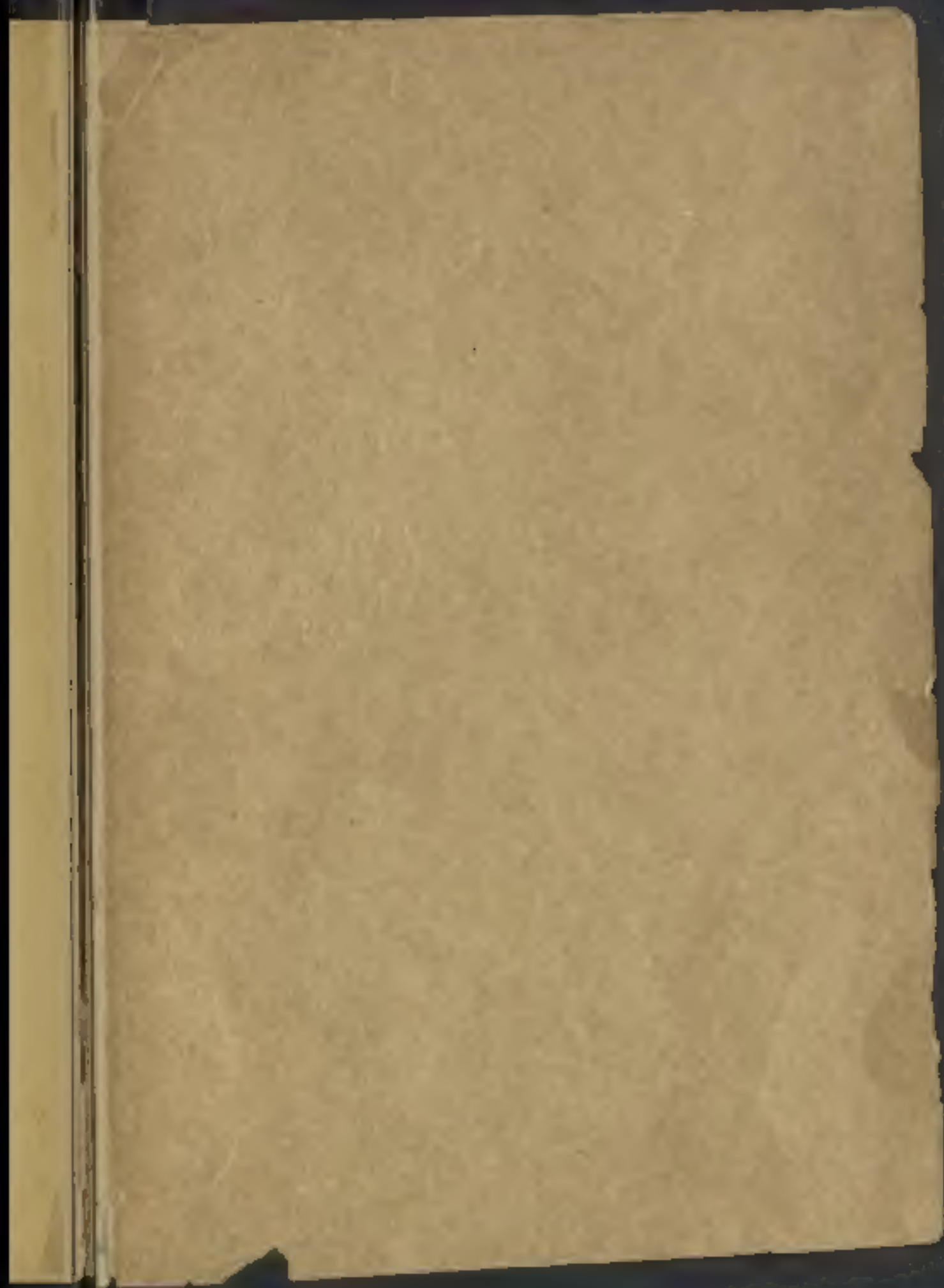
موضوعات الكتاب

المصحفة	
١	أهم المصادر
٣	المقدمة
٦	الخلافة ونظم الحكم
٦	الخلافة
٧	بيت الخليفة
١١	شكل التعمين
١٩	نظريات الفرق
٢٨	شبه المستشرقين
٣٤	حكومة الراشدين
٣٩	نظام الشورى
٤٠	الادارة
٤٥	الجيش
٤٨	بيعة السقيفة واستخلاف أبي بكر
٤٨	وفاة الرسول
٥١	مؤتمر الانصار
٥٢	سقيفة بني ساعدة
٥٤	وصف عام المؤتمر

(ب)

المسحيفة	
٦٣	أسباب الدعوة لمؤتمر
٦٦	نتائج المؤتمر
٦٨	الشورى
٦٩	الانتخاب
٦٩	البيعة
٦٩	برنامج الحاكم
٧٠	نشرة الترقى
٧١	بيعة أبى بكر
٧٢	تقدیر أبى بكر
٧٨	خلاف على وبنى هاشم وما قبل فيه
٨٨	حروب الردة
٨٩	اسباب الردة
٨٩	المتنبئون
٩٣	بعت اسامة
٩٥	لمبيعة أبى بكر
٩٧	الطاع عن المدينة
٩٨	المهجوم على المرتدين
١٠١	نتائج حروب الردة

الفتوح الاسلامية في عصر الراشدين	١٠٢
اسباب الانتصار	١٠٢
الروم	١٠٦
الفرس	١٠٧
حروب ابن بكر	١١٠
مع الفرس	١١٢
خالد بن الوليد ومالك بن نويرة	١١٨
مع الروم	١٢٢
تذييل	١٢٨



أهم المصادر

نشير في هذا إلى ما ينبغي أن يرجع الطالب
إليه في كتب التاريخ الإسلامي لتوسيع مداركه
وإلمامه بتاريخ حقبة من أرق أحقاب الدنيا بالمعظمة
والجلال، وهما هي ذى أهم تلك مراجع :

- ١ - كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري
- ٢ - الكامل في التاريخ لابن الأثير
- ٣ - المعبر والمعبر لابن خلدون
- ٤ - مروج الذهب للمسعودي
- ٥ - تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم
- ٦ - محضرات الأمم الإسلامية للرحوم محمد بك
الخضري
- ٧ - حياة محمد للدكتور هيكل باشا
- ٨ - الخلافة للسير توماس ارنولد (بالإنجليزية)

٩ - كتاب المرأة الوضعية للمستشرق فان ديك

الامريكانى (معرب)

١٠ - تاريخ العرب لسيد أمير على (معرب)

١١ - مذكرات أصول الدين في تاريخ الخلفاء

١٢ - الخلفاء الراشدين للمرحوم الشيخ عبد الوهاب

النجار

١٣ - تفسير الوصول لابن القيم الزيدى اليمنى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

دراسة التاريخ من أرقم الدراسات بين سائر العلوم
والفنون ، وليس من شك في أن كل إنسان مدفوع بطبيعته
لدراسة تاريخ أمته وبلاده ووطنه وأمتة وأسلافه الأقدمين
لمعرفة المدى الذي بلغوه والوسائل التي استخدموها حتى
يتجنب أخطائهم ويقتني آثارتهم في الحسنة من أعمالهم .

وإن تاريخ الإسلام مع كثرته وضخامته يرجع في
أصله إلى عصرين متشابهين . الأول منها عصر النبوة
الصافي . والثاني عصر الخلافة الرشيدة التي كان رائدها مثل
الأعلى في الدين والأخلاق ، والحرب والسياسة وأولئك هم
الرجال الذين قادوا الدولة الإسلامية في ذلك العصر . هم
أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وجزاهم عن

الفضيلة والمباذير خير الجزاء .

على أننا سوف نرى إذا تعرض لبسط الاحداث في ذلك العصر الثاني الذي نحن بصدده وان قد بدأ يبدو نحول ظاهر عن عصر الرسول الكريم . كما أننا سنشهد كثيراً من تشوش حتى اليون والاهوال التي لم تكن في عصر النبوة وسنحاول جهد استطاعت أن نعالج الخواص وأن نعلق على آثارها ، وأن نعطي صورة واضحة عن ذلك العصر ، بحيث تكون مجردة من الحق . وعارية إلا من الواقع .

أما طريقتنا في العرض فتتألف في أساسها تعرض الاحداث - في إيجاز مناسب - ثم نقف بالرأى بعد أن نزن تلك الاحداث بميزان الحق والواقع الذي تقررده المستندات التي نحص عليها أو نرجحها وإن لم نجد ذلك حاولنا أن نقارن بين الماضي والحاضر وأن نزن القديم بالحديث ثم نحاول الاستنتاج على هذا الضوء الذي لا يكاد نطمس له معالم .

أما الموضوعات التي سنقصر الحديث عنها في هذا

القسم من الكتاب فربي :

أولاً - الخلافة ونظم الحكم في عهد الراشدين الأربعة
وثانياً - بيعة السقيفة واستخلاف أبي بكر وحروب
الردة

وثالثاً - الفتوحات الإسلامية في عصر الأربعة
الراشدين .

وسنحاول ما أمكن أن نوجز لحوادث بما يتفق مع
منهج الدراسة في أصول الدين للـ سنة الثانية . مراعين في
ذلك ثقل "مب" في المواد الأخرى المقررة على الطلاب في
هذه المرحلة من التحكيم .

وانتالفتصرع الى الله وحده أن يعيد الاسلام مجده ،
ولبتيه عزتهم ، وأن يوفقنا لما فيه رضاه ، إنه نعم المسئول ،
ونعم المحييب .

[الخلافة ونظم الحكم في عصر الراشدين]

ملاحظة - بيت لطيفة - جلال الدين - محمد بن
 قاتورة الراشدين - عظمه الشورى - عظمه - عظمه - عظمه -

الخلافة

كانت زعامة المسلمين في حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، تتركز في شخصه ، وكان بذلك يطمح بوظيفتين
 (١) التبليغ عن الله الذي شرع الإسلام (٢) وإمامة المسلمين
 لتوجيههم إلى النافع وإبعادهم عن الضار في تلك الحياة .
 وإذا كان محمد - حسيبا أقرب من تعامله - خاتم النبيين ،
 فقد انتهت الوظيفة الأولى ، وبميت المسألة الثانية وهي
 ما منهم الدنيوية ، فلما توفي الرسول وعلم بالخبر أتباعه
 انجذبت أنظارهم إلى من يخلفه في قيادتهم وتوجيههم ، وفعلوا
 تاب الأنصار إلى سقيفهم وأخذوا يتشاورون في تعيين
 ملك عليهم يشرف على تنفيذ مبادئ الإسلام ، ويحفظ
 عليهم الدولة العربية في المدينة تحت راية الإسلام .

وهو يمكن المهاجرون أقل شأنًا من الأنصار في هذا
 المقادير فأنهم بمجرد أن تبايعهم أنبياء السقيفة لا يستقر لهم
 قرار حتى يسرعوا إلى الأنصار ويشارواهم بالحجج والبراهين
 على أنهم أحق بالخلافة منهم وأنهم عشيرة الرسول وأهله
 الأقربون ثم تنتهي المسألة بانتخاب بني بكر من المهاجرين
 مما منفصله إن شاء الله فيما يمد في موضعه .

على أن هذا الذي حدث في السقيفة كان منشؤه في مخالفة
 الحقيقة اختلاف وجهات النظر في البيت الذي يختار منه
 خليفة الرسول فلا أنصار يرون أنهم أصحاب العاصمة
 الإسلامية وأن في قصر يحاط وسمية من الرسول ما يعطيهم
 الحق في أن يكونوا أولاد الأمر من بعده ، وأن هجرة
 الرسول عن بلده وقومه واتخاذ وطنهم ووطنه ، وتأسيس
 دولته بينهم ما يجعلهم خلفاءه في الدولة ، وأمراء المسلمين
 من بعده .

وعلى ذلك نستطيع أن نقبين من نظرية الأنصار
 أنهم يريدونها قومية عملية باعتبار أصحاب البلد وأهل الحل

والمقد فيه وأن المهاجرين جالية جنيبة يجب أن يخضعوا
لحكمهم ، أو يجلوأ عن وطنهم . وهذا كان يتحدث خطباء
السقيفة .

وليس صحيحاً أن الأنصار كانوا يرون عدم التخصيص
بيت أو قبيل . إذ الواقع أنهم كانوا يرون قصر الخلافة على
قبيل الأنصار من بني ثعلبة . فهم سواء مثل القرشيين
الذين يريدون أن يجمعوها في بيت قريش . وبين كان الفريقان
على طوعى قبض . إلا أنصار يريدون أن تكون الإدارة في
الأوس والخزرج أصحاب يثرب . والمهاجرون يريدون أن
تكون في طبقة خاصة من مكة وهي مهاجرة قريش من
المسلمين السابقين وكان يصل النظرية القرشية بالمعنى السابق
أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ومن على رأسهم من المسلمين .
كان إلى جانب هؤلاء الضبقتين من الأنصار ومهاجرة
قريش ، فريق ثالث في القرابة القريبة من الرسول . مثل
علي والعباس من بني هاشم ، وهؤلاء ومن على رأسهم يرون
أن تكون الخلافة في أخص الطبقة القرشية من بني هاشم

على أن نظرية الفروية القريبة - في الواقع - كانت أقرب
إلى السلاية من النظريتين السابقتين ، لو أن المسألة كانت
وراثية ، أو مقررة في النباهة الإسلامية .

ونكن الذي حدث غير هذا ، فإن الكتاب - وهو
تستور محمد - يشرأبة إشارة إلى من يختلف الرسول
من بعده .

كذلك سنة النبي وتمامه واضحة في نية العصبية
النسب وصرحة في وجوب الاعتماد على الكذبية وبقدره
إلى جانب الشورى السكامة التي هي من أخص نعموت
مسلمين .

واقف كانت جميع مهاجرة مكة محسوم كاهل حول شيء
يحدث وهو أن قريشاً زعيمة العرب ولأناف قبيلة منها
من سيادتها ، لمجدها المديم ووضوح زعامتها ، ولم يعرض
أبو بكر - وهو سيد المهاجرين وخطيبهم في السقيفة -
شيء سوى هذا ، اللهم إلا بعض الفتات خفيفة نبه بها
لأنصار إليها مضافة إلى منزلة قريش وذلك مثل أن مهاجرة

فريش زعيمة العرب مرعط الرسول الأفر يون فوعشيرته
وأهله وأولى الناس بخلافته .

وهذا في الواقع لا يعد أن يكون تمزقاً لحق فريش
في سبادة العرب . ولكن قد يعنى بطونها بمن حمل لواء
المبادئ المحمدية ، وضحي في سبيلها ، فذا لك برهانان يقوى
أحدهما الآخر ، ويعزز حق المهاجرين في خلافة النبي الفريش
وأهل في هدا ، يشير الى أن تعاليم محمد لم تكن لقاب
الأوضاع وهذه النظم ، ولكن لأصلاحها وتنفيذها . وإزالة
الموانع من سبيلها حتى تحمد الدين ، وتحمم الإنسانية
على أن العرب تمت وما نزل ندين بالعصبية ، وتتداعى
بالاحزاب ، (وما غير المنظر) يدينوا فغير فريش سادته
البيت خير . . . وسيرة الرسول الكريم .

فلو أن لا تعارض تمروا وكانت خلافة فيهم المتصدع
تد له الدولة الإسلامية ولتثبت الحروب الأهلية ، والقضى
على الدولة الشنتة قبل تدعيمها وتنظيمها .

والذي يعنى من كل مسبق . ان (المسلمين بعد وفاة

الرسول كان كل همهم أن يختاروا أميرا يحسن تنفيذ مطالبهم
فيهم ويوجههم عنهم ، وأهم اشتوروا وقلبوا وجوه الرأي
وتطارت أراؤهم في البيت والاميرة ، والمقدرة والكفاية
وإن كل ، حدث لا يتجاوز حد المسائل العادية التي تحدث
بين كل جماعة قديمة في اختيار رئيسها ، انقوض اليه
الاشراف على شؤونهم .

والسبب الرئيس لكل ذلك هو في الواقع عدم دولة
الانتخاب الاصلح لادارتهم ، القدير على تدير دولتهم وادارتهم
وقبلتهم .

ولا يمكن أن نطلق على هذا اسم النظريات الا من
ناحده ، احده ، وهي ما نجم عن ذلك فيما بعد بين الفرق
الالامية ووجهها اراء ونظريات عزتها الى ذلك الحادث
الصادح الذي وقع للمسلمين بعد وفاة نبيهم .

لم يتبنيسة القبيصة عند العرب ورؤية ، إنما هي شكل التمييز
الانتخابية محضة ، براعى فيها مبدأ الانتخاب العام ، وجميع
أفراد القبيلة حق إعطاء أصواتهم في انتخاب رئيسهم .

ويجوز الاقتراح على غير أمرة الرئيس متوفى على
أساس الاستبصار في السن والجاه.

وقد روعيت تلك العادة القديمة في انتخاب أبي
بكر خليفة أبي. إذ أن المعلة أوجبت الإسراع في البيعة
دون أي انشاء فانتخب أبو بكر على جناح السرعة.

وقد كان أبو بكر يتمتع بتقدم العرب كرامة. نظرا
لكبر سنه وسمو مكانته بين أهل مكة، وكذلك كان يوفق
القبائل سبيد إلى أي قديمه على وكبرائه البيات غير منهم
على الدين وعبادته لوحيد الله المسلمين.

على هذا الأساس، وبما شكل العرب البيعة يرى
انتخاب أول خليفة الرسول أول إمامة المسلمين، ورئاسة
الدولة الإسلامية.

وبالرغم من البساطة التي سار عليها المسلمون في هذا،
فإن بعض الكتابين يحاولون أن يرجع هذا الانتخاب إلى نظريات
وقواعد وإسقاطات، وقد لا يعرف جماعة العربية الأولى

حقيقة كانت المسألة شسورية بين المسلمين ، وإلى جانبها
الانتخاب الحر من أوراثة الجماعة .

بيد أن هذا يعني نظام القياض العربية في شكل التعمين
لرؤساء القبائل ، إذاً هناك مسألة الاقتراع . لأن التطور
في الأوساط لا يستلزمها مع الإلزام . والقرآن ، وتعليق
الكفاية على المذاهب السابقة في سبيل إله ورسوله .

وعلى كل حال فقد كان شكل التعمين زمن الراشدين ،
ينحصر في أربعة أنواع . هي ما حدث في تعيين الخلفاء الأربعة .
١ - الطريقة الأولى ، طريقة الانتخاب الشورى ،
وذلك ما حدث في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه ، وقد
فضله في موضعه من مؤتمر السقيفة .

٢ - الطريقة الثانية ، ولاية العهد مع استشارة المسلمين
ورضاهم ، واسناد العهد إلى الامتداد من الجماعة بغض النظر
عن قرابته للخليفة وعدم قرابته .

وهذا هو الذي وقع في استخلاف عمر بن الخطاب .
اذ لما اشتد المرض على أبي بكر استدعى ذوي الرأي من

المسلمين ولما شارع في تولية عمر من بعده ، فكلهم رضى به
وزكاه عند الخليفة فعهد أبو بكر لى عمر وليست بينه وبينه
الا اخوة الاسلام وصحبة الرسول ، وان كانت تجمع
الاثنين لجهة النسب في أن كلا منهما من قبيلة واحدة ، ولكن
الاسرة مختلفة .

٣ - العاريفة الثالثة ، العهد بالخلافة الى واحد من جماعة
محدودة بيمينهم الخليفة ، ويعتبرون في نظر الجماعة خيرها
وأفضلها وهذا الشكل نجده واضعا في تعيين عثمان بن عفان
إذ عهد عمر بن الخطاب لخليفة القاسم بالامر حين أبى
الوفاء ، الى علي وعثمان ومعاوية والزبير وسعد بن أبي دقنس
وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عمر وأوجب تعيين
الخليفة من بعد في واحد من هؤلاء يتفقون عليه ، هذا العهد
عبد الله . فنص عمر على أن رأيه يؤخذ على سبيل الاستشارة
وليس له الحق في الخلافة . وقد حدد عمر مدة يتختم فيها
البث في أمر هذا التعيين ، كما أشار بقتل من يشق عصا
الطاعة على الاغلبية اذا اتفقت على شخص بيمينه .

وهذه الطرق الثلاثة السابقة ، كانت في الواقع برضا
 المسلمين واختيارهم في حملها ، ولم يعرف حدوث ضغط على
 أحد ليرغم على رأى بخلافه حتى تمتد كلمة لامة على خلافة .
 فعند ذلك يجب ارجاع الفرد الى رأى الجماعة بالقوة ، فان
 أبى يجب قتاله .

٤ - ولكن بعد أن ثارت أمصار الدولة الكبرى
 على عثمان ، وقتل وبيى المسلمون بدون أمير مدية ، حدث
 طريقة رابعة تبينها في الشكل الذي اختير به علي بن
 أبي طالب .

وذلك إنه بعد مقتل عثمان نزع الثوار في المدينة
 عاصمة الدولة الاسلامية ، وأخذوا بمرضون أمارة المؤمنين
 على المرشحين للخلافة ، فكلهم رفضها رفضا باتا ، حتى على
 نفسه ردها . ثم بعد أن يش الثوار وخشوا أن يقوم زعيم
 من بيت الخليفة المقتول . فيجمع المسلمين على حرهم
 واستئصال شوكتهم عمدوا الى تخريب العاصمة وبث الفتنة
 والفساد ان لم يقبل على أو غيره خلافة المسلمين .

وفي هذا الجو . وبهذا الشكل توجه الثوار اليه وبأيموه
 بالخلافة ورأى كبار المسلمين في الدولة إن ذلك خير انقاذ
 للموقف . وإن الامارة صادفت أهلها وخير المرشحين لها
 فبائع علي ملحة والوزير وغيرهما ممن كانوا يطمعون في
 الخلافة . وامتنع كثير من سادة المسلمين عن البيعة لأمن
 شك في كفاية علي . ولكن انتظروا ما يستقر عليه رأي
 الجماعة كلها بعد أن تهبط تلك الظروف الشاذة التي اجتازها
 الدولة بسبب قتل الخليفة .

على أن عليا نفسه كان يقدر جسامه المبهمة . ودقة
 الحالة في الوقت الذي يبيع فيه . ولا ينسى فولة السبئية
 بعد أول بيان أذاعه :

خذها إليك واحذون أيا حسن

أنا عمر الأمر إمرار الرسن

صولة أقوام كشداد السفن

بمشرقيات كشدان اللين

وتظمن الملك باين كالشطن

حتى يمرون على غير عتق

فقال على مجيبا لهم آسقا على قبوله .

إني عجزت عجزة لاعتذار

سوف أكرس بعدها واستمر

أرفع من ذيلي ما كنت أجر

وأجمع الأمر الثابت المنتصر

ان : يشاغبي المجلول المنتصر

أو تركوني والسلاح يبتدر

ولم يسكن السنية . ومحروكو الفتنه . كل ما يشغل

عليها . بل أن طلحة والزبير وعائشة مساهموا في إفلاق

راحته . إلى جانب ابني أمية ومعاوية وظل على مدة خلافته

في فضال عفيف مع مختلف الاعداء المتباين الاغراض

والاهداف حتى استشهد في رمضان من سنة ٤٠ هـ

وبتلخص الشكل الذي عين به في تغلب الثوار على الدولة

وإسناد أمارتها إلى واحد من خيرة رجالها يأمنون القدر

من جانبه ولو ردحا من الزمن .
 هذه الطرق الأربعة هي التي حدثت في شكل التمييز
 للخليفة في عصر الراشدين ، وفي جميعها توفرت الشورى
 ووجد الانتخاب وكانت البيعة ، وأسند الأمر الى
 ذي الكفاية .

أما ما قد يرى من بعض النقص في حرية التمييز كما
 حدثت في بيعة الأربعة على العموم ، فله يمكن منير النقد
 ذي بال في أيامهم لأن المهم أن يكون أمير القوم أصحابهم
 وهذا هو الذي كانوا يرجونه .

ومن ثم كانت حكومة الراشدين أصلح سائر
 الحكومات الإسلامية في دولة الاسلام بعد العصر
 النبوي الكريم .

ذات أنه حدث بعد علي آخر الراشدين أن تغلب معاوية
 على الحسن وتنازل هذا اليه وأصبح معاوية أمير المؤمنين ،
 بالقلبة والتفوذ ولما كبر وأحسن بقرب الوفاة عهد بالامر
 من بعده لابنه يزيد واستعمل في التوسل الى ذلك ضروبا

من القوة والوهاء مالا يسكاد بفكر فيه واحد من الاربعة
الراشدين . وبفلك سن ولابة المهد في اعادة المؤمنين لغير
الاصلاح ، والاقدر على تحمل الاعباء مع وجود السكف ،
القدير من غير بنيه أو أسرته .

وعلى اجله فان الخلافة بعد الراشدين أصبحت ملكا
وراثيا يرثه الابن عن الاب ، ولو كان الاخير طفلا لا يقوى
على النهوض بمصالحه الخاصة . واستمرت سنة معاوية طوال
عهد بني أمية وبني العباس وانتقلت الى المتغلبين في
مختلف اقاليم الخلافة في المشرق والمغرب مما ستمرض له
بالتفصيل في الاقسام التالية من هذا الكتاب
إن شاء الله تعالى .



وأما فيما سبق تشعب الطرق في اختيار خليفة ^{معه} _{الذي}
المسلمين ، وأوضحنا السبب في هذا ، أرجعناه الى مجرد
التقاليد العربية ، والمبادئ الاسلامية في الشورى
والتضامية .

يد إلتا حين فسار الزمن ، ترى الكتاب في التاريخ
 بعد عصر الراشدين يسجلون ثلاث مذاهب في الخلافة
 أبان خلافة الأربعة ، ويقولون أنها عبارة عن أراء كان يراها
 الناس منذ خلافة أبي بكر حتى خلافة علي . وهما هي ذي
 (١) الرأي الذي يقر على أو الجمهوري ، وهو أن تكون
 الخلافة في أي شخص يقع عليه اختيار الناس من أي بيت
 أو بلد ولو كان عبدا حبشيا ، وذلك رأى الخوارج (٢) ويقول
 المرحوم الخضرى انه أيضا رأى الانصار من قبل (٣) وقد
 أنشأنا الى أن الانصار قوميون ملكيون لا جمهوريون
أما الخوارج - ولم تكن لهم أراء في الخلافة حتى أواخر
 عصر علي - فانهم جمهوريون بالمعنى الكامل أي أنهم
 يسرون على النص الحرفي للحديث " استمعوا وأطيعوا وأن
 تأمر عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة " فهم يقولون أن
 الواجب أن يختار المسلمون أيما كان من برصونه لدينهم

١ - بلاءه أن الخوارج وجدوا في أواخر خلافة علي (٤١) اضطرابات

ودينارهم ولو كان عبدا حبشيا . وانه من الضرر قصر الاختيار

على طبقة معينة من المسلمين . ولو كانت فريشا نفسها

أما الانصار فان رأيهم واضح . وهو أنهم أحق الناس

بإمارة المؤمنين . وإن الخلافة يجب أن تسكون في طبقتهم

باعتبارهم أصحاب العاصمة الإسلامية من جهة . وباعتبارهم

الرؤسا . وهو الرئيس الأول للمسلمين ظل بينهم وأسس

دوائره في موطنهم . وصرح كثيرا لهم بأهم وراثته وأصحاب

الامر بعده فطبقة الانصار لهذا هي محل انتصاب أمير

المؤمنين . ولا ينبغي أن يفكر أحد في طبقة أخرى إلى

جانبا . وهذا يبدو واضحا في خطاب الحبيب الأخير ^(١)

فالانصار على هذا ليسوا من القائلين برأى الخوارج حتى

يعتبروا اسلافا لهؤلاء في نظريتهم في الخلافة

والرأي الثاني هو رأي (التخصص بطبقة معينة ، وهي

قبيلة قريش نظرا لماضيها في زعامة العرب ، ورعاية الكعبة

والبيت الحرام التي يعظمها جميع العرب وهذا الرأي كان

(١) انظر الظبي في تاريخ الامم

يقول به كبار المهاجرين مثل أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم
من المسلمين عدا عليا وبنى هاشم وقد انتصر هذا الرأي
بانتخاب أبي بكر خليفة وظل مقتصرا حتى سنة ١٣٢ هـ
حيث قامت خلافة العباسيين، ومن أنصار الرأي الثالث
الذي نذكره بعد

٣ - والرأي الثالث هو رأي التخصيص لطبقة خاصة من
قريش وهي القرابة القريبة من الرسول من بني هاشم وكان
برادها في عهد الراشدين على وبنائه، ولهذا سلك ابن
السوداء وشيعته سبيل الدعاية لعل وسيلة للظعن في عهد
عثمان، ووصح كثيرا من الأحاديث أسندها إلى رسول الله
ظلموا وعدوانا وهذا الرأي انتصر بعض الانتصار بولاية
علي وابنه الحسن وكان انتصارا محوطه الآلام والاشواق
من كل جانب حتى قضت عليه سياسة معاوية، ورجعت
الامر إلى يوم السقيفة فأصبحت الخلافة في قريش عامة،
وإن فقدت في معاوية كفاية أبي بكر، ونموه المفضلة لدى
(الرأي العام)

هذه هي الآراء الثلاثة التي سيحلها التاريخ اعتمادا على

مابدا من تعيين الخلفاء الاربعة ، واجلو الذي تولوا فيه

على ان من الحق ان تقرر ان النظريات الثلاثة التي

اسلفناها ترجع في جوهرها الى نوع واحد . وهو القول

بوجوب تعيين الطبقة التي يكون منها خليفة المسلمين ،

(فالانصار يرون تعيينه من طيقتهم ، والقرشيون بوجه عام

يرون وجوب نصب الخليفة من قبيلهم

(١٣) وآل البيت يرون انفسهم احق الناس بخلافة الرسول

باعتبارهم وورثته وادنى المسلمين قرابة اليه . والكفاية موفورة

في بعضهم مثل علي والعباس

ومن الغريب ان ابابكر احتج على الانصار بحجة آل

البيت ، وان الانصار لا يصح ان يرثوا حقا مع وجود من

هم اقرب منهم . ولذلك ترى عليا يحتج على أبي بكر وشيعته

بما احتج به ابوبكر على الانصار

سمع علي بما حدث من المهاجرين في السقيفة واحتجاجهم

بالقرابة من الرسول ، فقال علي : احتجوا بالشجرة وتركوا
التمر في حوز طويل سجله ابن أبي الحديد ^(١)

أما بعد . فهذه خلاصة آراء الفرق في ذلك العصر
وكلمها تدور حول الذاتية السياسية وحدها

أما ما ظهر بعد ذلك من فرق منظمة لها نظريات في
الدين والسياسة والاخلاق والاجتماع ، فهي خارجة عن
موضوع بحثنا

والكن نرى أن نشير - في انجازه - إلى مذاهب يظن
انها من صنع ذلك العصر وليست من عماله

وأول هذه الفرق أهل السنة والجماعة ، ومنهم في
الخلافة لا يخرج عما ابرم في السقفة من حمل الخلافة في
عموم بطون قرش

ومن هذه الفرق المتأخرة أيضا الشيعة وقد بنت
مذهبها على الارث والوصية ، ومن ثم قالت ان عليا هو
الخليفة الحق بعد الرسول وان غلب على أمره ، ثم اقتلعت

الشيعة

(١) انظر شرح نهج البلاطة لابن أبي الحديد

الى شعب كثيرة اختلفت في نظرياتها ومبادئهم ، ولسكنها
جميعا تدعو لآل البيت الا فرير

كذلك رى فرقة أخرى جدت في العصر الأموي هي
المعتزلة ، وهؤلاء ، تخرج مبادئهم من التمرض للسياسة العليا
وخلافة المسلمين ، وافترق المعتزلة كالشيعة إلى فرق
وأحزاب كثيرة يقول الخضرى بك

تناول العلماء في الدولة العباسية مسألة الخلافة
وادخلوها ضمن مباحث العقائد الدينية ، ويحتمل اليأس ان
أزل من وضعها هذا الموضع كان يرى رأي الشيعة ، فان
الخلافة عندهم من أمور الدين ثم جر اليه المستكلمين وصار
أمرها موضوعا جدليا كغيره من المسائل الدينية وكان
النزاع يدور بينهم على ستة أمور

١ - وجوب نصب الامام ، فهو واجب على الأمة من
طريق السمة كما هو رأي الجمهور ، أو من طريق العقل كما هو
رأي المعتزلة والزيدية ، أو من طريقهما معا كما هو رأي بعض
المعتزلة ، أو على أنه لحفظ قوانين الشرع ، كما هو رأي

الامامية ، أو على الله ليكون معرفاته وصفاته كما هو رأى
 الاسماعيلية أو لا يجب كما هو رأى الفوارج ، أو يجب عند
 الأمن دون الفتنة كما هو رأى هشام القوطي واتباعه ، أو يجب
 عند الفتنة دون الأمن كما هو رأى الاصم ومن شايعه من
 المعتزلة .

٢ - شروط الامامة . وقد عدوا منها شروطا لا خلاف
 فيها ، ومنها شروط فيها الخلاف ، كالمرشية عند الجمهور
 والهاشمية عند الشيعة والعلم بجميع مسائل الدين وظهور
 محبرة على يده عند بعض الشيعة

٣ - تثبت الامامة . وهو النص من رسول الله
 أو عن الامام الموجود ويذهب أهل الحل والعقد ، خلافا
 للشيعة ثم قالوا لا يحتاج الأمر الى اجماع أهل الحل
 والعقد ، بل يكفي الواحد والاثنان وقال بعضهم لا بد أن
 يكون ذلك أمام بينه عادلة ، وهل يجوز تعدد الأئمة
 أو لا يجوز ، وهل يجوز خلع الامام . ولأى شيء يكون
 ذلك .

٤ - من هو الامام الحق بعد رسول الله أهو أبو بكر

أم على

٥ - من هو افضل الناس بعد رسول الله

٦ - ما حكم امامه المفضول مع وجود الفاضل

وكانت هذه المناقشات مع حديثها وغوصها على معان جميلة شريفة في بعض الاحيان عديدة الجدوى من الوجهة العملية . لان هؤلاء يتجادلون بأسنة الاقلام في مدارسهم وعلى صفحات كتبهم واولئك يحكمون صفحات الحسام ، ولا يلقون بالا لتلك المناقشات كان شأنها لاهمهم^(١)

وفي القرن الرابع عشر الهجري جدت فرقة اورويمية مسيحية ، وهي فرقة الحكومة الثلاثية ، وخلاصة رأيها ان اول حكومة اسلامية بعد وفاة الرسول تأسست على مؤامرة ، قام بدور البطولة فيها عائشة زوج الرسول ، وابوبكر والذها وعمر وابوعبيدة صديقا ابى بكر ، وقد نجحت تلك المؤامرة اذ تولى أبو بكر وعمر وابوعبيدة

زعامة الدولة الإسلامية وقد كان أبو بكر هو الذي يحمل
لقب الخليفة . وعمر يصرف شئون القضاء ، وأبو عبيدة
قيادة الجيش ، فلما توفي أبو بكر تولى الخلافة عمر ، ولو أمد
الله في أجل أبي عبيدة لأصبح الخليفة بعد عمر^(٢)

ومع أن رأى هذه الفرقة يحمل في حياته ، ما يقطع
باختلافه ، إذ لا سند لهذه القولة من التاريخ ولا من الواقع
فوق أنها صدرت عن تعصب للمطابقة والجنس ، مما يحمل
رأيها أدبي إلى القدح والطنن منه وإلى الحق والتاريخ فائنا
ستوجز خلاصة المستندات التي اسند اليها هؤلاء ، ثم
ننقب بالرد عليها

وتتلخص أهم الأشياء التي ايد بها المستشرقون نظرية
التأمر فيها بأبي :

أولاً - ما حدث من مراجعة عائشة لرسول الله في
مرضه مونة حينما طلب أن يصلي أبو بكر اماماً بالناس بدله
المشركين^ب

٢ - اظر الحكومة الثلاثية للاب لاماني والملافة لتوماس ارتوك
ومثال للاستاذ عبد الحميد العبادي مجلة الثقافة

فيقولون ان الرسول ما طلب ايا بكر إلا بايعنا من زوجته
عائشة انما ابى بكر . وذلك من عائشة يعتبر نميها ليكون
أبوها خليفة على المسلمين لرسول الله بعد وفاته

ثانيا - رفض ابى بكر ان يسر فاطمة ميراثها من
أبيها مخافة ان يتطرق الأمر إلى فتح باب ميراث الخلافة
حق آل البيت المقرر

ثالثا - مجانبة ابى بكر لأمر الرسول التي منها
شكل نبى وصى وعلى وصى محمد

رابعا - مفاضلة ابى بكر لآل بيت الرسول وهجرانهم
مع ان صلهم وحبهم مفروض على جميع اتباع محمد

خامسا - تولية ابى عبيدة القيادة العامة للجيش
الاسلامية فى خلافة عمر بعد تولية عمر خلافة المسلمين ،
وتنحية الى البيت عن مقاليد الحكم فى الدولة الاسلامية

هذا إلى جانب ان هؤلاء الثلاثة قد ذهبوا إلى السقيفة
ولم يخطرأوا احدا من آل البيت ليبرموا أمر الخلافة سرا
فى غيبة آل البيت المشغولين بوفاة الرسول حتى استطاعوا

ان يظفروا ببيعة المسلمين فلما نمت البيعة لم يجد علي مجالا
 للاحتجاج بل غلب علي امره وسكت علي مضض
 علي ان مظاهر القسوة والاستبداد التي ابداهها زعماء
 الحكومة الثلاثية مع آل البيت تؤيد بوضوح وجود تلك
 المؤامرة واسفارها عن طوية الحكم الثلاثي الذي استبد به
 ابوبكر وصاحبا علي آل البيت أصحاب الحق وحدهم في
 خلافة يديهم

تلك خلاصة لأهم الشبه التي اخذ منها القائلون
 بالحكومة الثلاثية نظريتهم

أما ردنا علي مزاعم هؤلاء ، فاننا نجمله فيما يلي :
 ١ - مسأله رأي النبي في اسناد امامة المسلمين في
 الصلاة الي ابى بكر لم تكن ناشئة عن تدبير عائشة ، بل هي
 مسألة شخصية للنبي الذي لا تنطق عن الهوى وانما يصدر
 في جميع تصرفاته عن السماء ووحى الله

علي انه ثابت . في التاريخ الصحيح . ان عائشة لم تكن
 مخادعة في مراجعتها للرسول ، وانما كانت جادة كل الجدة ،

وصرححة إلى أقصى حدود الصراحة . كما هو معروف من خلقها .

كذلك نابت من القصة التي سجلها المؤرخون الثقات ان عائشة كانت تبغى صرف الامر عن أبيها لا استناد الامر اليه

وهذا يحتاج بطبيعة الحال إلى دراسة دقيقة للمصر الذي عاشت فيه عائشة وأبوها . وهؤلاء . التأمريون جهة بتاريخ العصر النبوي ، وروحه وخلق رجاله . ومن ثم كانت فريتهم على خير قوم الحججهم بتاريخ البشرية

على ان الذين قرأوا شيئاً من تاريخ سلف المسلمين يدركون مدى ما كانوا عليه من خلق ودين شهد به الله الاعداء قبل اخلص الاعداء

واسكن ماذا تفعل يقوم يقدسون الصور ويعبدون التماثيل ولا يدعون من طعن رجال نشروا المدينة وأسعدوا الكون . ولا ذنب لهم إلا أن يقولوا ربنا الله لا المسيح ولا المعذراء اللهم هذا بهتان عظيم

٢ - وأما عن منع أبي بكر فاطمة من ميراثها، مما
 رتب عليه هؤلاء رمى الصديق بالكآسة، فلم يكن أبو بكر
 يفتي من وراء ذلك ضد الفديعة حول مسألة الخلافة. على
 فرض صحة هذه الرواية فإن أبا بكر لم يمنع الميراث من
 نفاقه نفسه، ولكن لأن الرسول نص على هذا المنع بدليل
 الحديث الذي رواه لهم كفا في الرواية التي أوردها القائلون به
 على أن هذه الرواية ليست من الصحة بحيث يترتب
 عليها ذلك الجدل الكثير الذي أثير حولها

فإن الظاهر من أسلوبها أنها من وضع الشيعة الخلاة
 وليست من الأخبار التي يمكن الاعتماد عليها في البات
 حقيقة تاريخه

٣ - ما يزعمه هؤلاء من أن أبا بكر جانب النصوص
 الإسلامية مثل حديث الوصية الذي يذكره . جهل
 بالتاريخ فإن علماء الإسلام أبانوا في صراحة وحزم وضع
 هذا الحديث، وكشفوا عن واضعه وهو عبد الله بن سبأ
اليهودي، ولا يعرف التاريخ الصحيح أن أحدا من سلف

المسلمين كان يسمع بهذا الخديث حتى كانت فتنة عثمان ونشأت
المبادئ السبئية وذاعت مطاعنهم في عثمان وامرائه ، والدعاية
لآل البيت كشار لهمهم الوحيد وهو القضاء على الدولة
الاسلامية .

٤ - أما عهد أبي بكر باخلافة إلى عمر ، وتعيين عمر
أبا عبيدة قائدا عاما للجيش . فقد كانت برضا آل البيت
والمسلمين عامة ، ولم يثبت أن عليا ولا غيره أظهر استياءه
من هذا الصنيع . بل على العكس كان سرور المسلمين ومنهم
آل البيت . لا بقدر حبنا لهم بل بما صنعوه أبو بكر ، وراوا
في ذلك عين الصواب والسداد .

على أن هذا لا يعطى تأمر أبي بكر وصاحبيه كما يزعم
المستشرقون بل يفيد أن الرجاءين تأمرا بكفائتهم وقضائهما
وسلوك هؤلاء معروف لدى جميع المسلمين . حتى الشيعة
والخوارج بموضوع عن أبي بكر وعمر ، إلا نفر من السبئية
اليهود ، وبعض الرافضة من الشيعة فمن أين استقى الثلاثيون
هذه المعلومات ، وكيف ساء لهم أن يفتروا على الحق

والتاريخ بدعوى التجديد في التاريخ إلا أن هؤلاء المستشرقين
ومن لف لفهم من الشرقيين والغربيين قوم متحاملون
يمسكون إلى كتب الرفض والغلاة ويستقون منها معلوماتهم
ثم يسلطون عليها آراءهم وجهلهم بالعربية والتاريخ، ويخرجون
للناس نظريات هي مزيج من الجهل والرفض والتعصب،
ويصوغونها بأساليبهم وأفانهم زاعمين أنها الحق الذي
لامرية فيه، ويقولون لقومهم أنهم قد أخذوا هذه الحقائق
من كتب المسلمين، وإن استشراقهم يحسن الظن بهم...
وسبحان الله، فلولا أن أمثال المبادئ^(١) عرب هذه القرى
للرد عليها ما عيئنا بترويد حرف واحد في تفنيدها.

• • •

نظام الخلافة الإسلامية . يعتبر من غير شك نظاما
سياسيا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، ولذلك فاقنا سنحاول
أن نتعرف نوع هذا الضرب من الحكم . حتى نستطيع أن

حكومة
الراشدين

(١) الأستاذ د. الخليل المبادئ أستاذ تاريخ الإسلام في جامعة
المصرية وهو رجل حجة في التاريخ ، ومعروف في يومنا هذا حتى الآن

تقدر سلف المسلمين ، وهل كانوا مبتكرين حقا حتى في
السياسة ، أم أنهم كانوا عالة على الأمم التي سبقتهم ثم ما هو
السبب في عزوف المسلمين عن اتخاذ نظمهم السياسية عن
الدول العظمى في أيامهم .

سبق المسلمين الأول ، شعوب لها حضارات وتقاليد ،
وقد أخذت تلك الشعوب انفسها نوعا من الحكم يلائمها .
فالفرس مثلا كان نظامهم الحكومي : ملكيا وراثيا إستبداديا
مطلقا : وكذلك الحال عند الرومان في الشرق والغرب .
والملك عند هؤلاء سيد الشعب وراعيه ، وكلته قانون ،
والمخالفة له حتى في طاعة الله تعتبر جريمة توجب أزهاق
الروح ، والدين منفصل عن السياسة فلم يجوس يوت
غيرانهم ، وطقوسهم . ولا دخل لهم في سياسة الشعب إلا
أن يحثوه بالدين على العبودية لمولاهم الحاكم بأمره ، وذلك
عند الفرس أما عند الرومان فيتمثل رأيهم في تلك الكلمة
« دعوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » فالمسيحية في الكنائس
وأما السياسة فهي من شأن الحكومة المشرقة على الشعب

ولا يمكن أن يتدخل الدين المسيحي في سياسة الحكومة ،
بل ذلك متروك للقوانين التي هي فقط . من وضع الحكومة
ورسم الامبراطور ومن ثم كان جهل رجال الدين ، بالشئون
السياسة ، والقوانين الوضعية وكل ما يمت إلى الحكومة
بصلة ، حتى لقد ذاع بينهم أن قبول الوظائف من رجال
السياسة يعتبر جريمة لا تغتفر . لأن رجل الدين من أول
ميزانه العمل على تخريب الدنيا ، وتعجيل فنائها ، ومن شأن
الحكومات أن تصلح وتعمد ، بما يطيل بقاء الحياة . ويمد
في أجل الوجود الديني .

ومن هنا نرى ظاهرة غريبة في المصور الوسطى .
وتلك هي كثرة الأديرة وانتشارها في العلم المسيحي ، فرارا
من الدنيا ، وانتظارا لخرابها فتقوم الساعة وهم منقطعون
لعباداة الله ، وذاع مما ذاع بين المسيحيين أن الدنيا سوف
لا تبلغ أكثر من ألف عام ويضم مئات لا تصل إلى الألف
الثانية ، وإن خراب العالم أصبح قاب قوسين منهم " .

(١١) المصور الوسطى لما كثرت بعدهم زيادة (مع كثرة كلية أصول
الدين - تخصص المادة) .

نقول أن فصل الدين عن السياسة ، ترتب عليه تسرب
 اليأس إلى نفوس المتدينين فبعدد عن الحياة العامة
 وانعزالهم في سجون الكنائس والأديرة والبيع . . . وهذا
 ما كان عليه حال الشعوب المعاصرة للمسلمين شرقا وغربا
 على أن الحكم لوزرائ الاستبداد . كان من أهم العوامل في
 اضمحلال دواى الفرس والروم . مما عجل بالقضاء على هذا
 النظام الذى لا يصاح إلا للسوائم في عصور المبودية والجهل
 كان إلى جانب ذلك قوم في أوروبا الشرقية الجنوبية ،
 فرغوا أنفسهم للبحث والدراسة . وكونوا لهم نظريات في
 العلم والسياسة ، وأوشكتم اليونان فقد بحثوا في الملكية
 والدكتاتورية ، والجمهورية ، والديمقراطية ، وأنشأوا في
 بلادهم نظاما من الحكم قائما على أسس نظرياتهم . وكان جملة
 ذلك يرجع إلى ضربين منه يقومان في أثينا وتقلب
 عليه الصيغة الديمقراطية وفي أسبرطة ، وتبد وفيه قوة
 الدكتاتورية .

وعلى الجملة . فإن نظام الخلافة الإسلامية سبقته

وعاصمته أنظمة حكومية مختلفة. وكان في استطاعة المسلمين
أن يقتبسوا نوعا من تلك النظم لو أرادوا ولكن لم يفعلوا
بل أنهم عمدوا إلى ذلك النظام الحكوى (الخلافه) واختاروه
لهم دون سواه.

على أننا نرى إلى جوار نظم الحكم في الفرس والرومان
واليونان - نظام القبائل العربية. وكان يقع اختيار القبيلة
على أكبرها سناء وأعظمها جاهاً وأكثرها مالا وعصبية في
بطونها، فيستندون إليه رئاسة القبيلة والأساس في هذا
الانتخاب من جميع أفراد القبيلة.

وعلى هذا فإذا يمكن أن يكون نظام الخلافة الإسلامية
هل هو منكمي مطلق أو مقيد - أو هو جمهوري أو دكتاتوري
أو ليس واحداً من هذه الأنواع، بل هو نظام قبلي عربي
أم هو نوع متفرد عن سائر الأنظمة السابقة ابتكره المسلمون.
وفقا لتعاليم الإسلام ومبادئه العامة. مستعنيين في ذلك
بنظام القبائل العربية التي نشأ الإسلام في أحضانها.
إن المتتبع لتاريخ الإسلام، وانتخاب الخليفة الأول

والبيانات التي أذيعت من السقيفة ، والطريقة التي سار
عليها الخلفاء الأربعة في تعيينهم لا يكاد يشك في أن
الخلافة كنظام سياسي هي مزيج من تقاليد المروية
وتعاليم الإسلام .

وعلى ذلك فالخلافة الإسلامية ليست نظاما مذكيا
ولا جمهوريا . بل هي الخلافة الإسلامية . وكفى

كانت مقنن الحكم في عصر الخلفاء ، في يد الخليفة ، ^{نظام} الشورى
وبساعده في أمر يف مهام الدولة فحاش من الشيوع تتألف
عادة من الصحابة الأولين وكانوا يعقدون اجتماعهم في
الجامع الكبير ، وساعده غالبا جمع من الأشراف ورؤساء
البدن الذين كان يتفق وجوده في المدينة كذلك كان الخليفة
يسند إلى كثير من الصحابة أعمالا خاصة . فولي عمر القضاء
ونوزيم الصدقات ، وابند إلى علي تحرير الرسائل والأمراف
على الأيسر . وولي بعض الصحابة أمر النفقة على الجنود .
وعلى جملة كانت تبدل أقصى العناية في جميع شئون

الدولة ، ولا يفصل في شيء إلا بعد أخذ رأي مجلس
الشورى ^(١)

فنظام البرمائيات الحديثة ، ليس بدعاً في تعرف إرادة
الشعب بل أن العرب في جاهليتهم عملوا به ، ثم جاء المسلمون
فتبعوه وأضافوا إليه بعض التعديلات التي استلزمها مدينة
الحياة ونموس النذور . وظل المسلمون في أرق عصورهم
يعملون بنظام الشورى ، حتى طرأ عليهم ما طرأ على كثير
من الأمم من الضعف والانحلال . فمعد ذلك فقط هجروا
الشورى . واستأغوا لاستبداد وبذلك عادت الحياة
جاهلية طائفة ، حتى نقل أهل أوربا طائفة الإسلام وتدارسوها
وعرفوا أثرها في قوة المسلمين . فعملوا بها ، ففقدوها في
أقطارهم لكن على أنها من وضعهم ونجاساتهم . والخفيقه
السافرة تنادي بأنها من وضع أسلاف المسلمين ومعلمهم



الافتارة لما فتحت مكة ، وخضعت جزيرة العرب للمسلمين .

(١) - سيء التمييز في تاريخ العرب (لا يحرره)

اختار الرسول أمراء على الامصار السكتى ، وضع في
أيديهم السلطات المدنية والعسكرية وفوض اليهم الفص في
الخصومات في الاقاليم التي ولوا عليها

على أن المؤرخين يمتدحون ، عمر ، المؤسس الحقيقى
الإدارة السياسية في الاسلام . إذ قسم البلاد الى أمارات
وولايات السكى بتفرغ أمراؤها وولائها الى رقية مصادرها
فاعتبرت الاهواز والبحرين أمانة واحدة . وسجستان
ومكران وكرمان ولاية وأصبحت طبرستان وخراسان
ولايتين مستقلتين . وولى ثلاث أمراء على جنوبي فارس
كما جعل في العراق أميرين أحدهما في البصرة ،
والاخر بالكوفة .

وفي الشام جعل القسم الشمالى منه ولاية وعاصمته
(حمص) والقسم الجنوبى ولاية (دمشق) وجعلت فلسطين
ولاية مستقلة .

وفي أفريقيا ثلاث أمارات ، واحدة في مصر العليا ،
والاخرى في مصر السفلى ، وثالثة في ليبيا .

وأما جزيرة العرب ، فقد قسمت إلى خمس ولايات
ولاية مكة وولاية الطائف . ومنطقة صنعاء . وولاية
البحرين وما والاها وولاية الجند . أما المدينة فكان بها
كرسى الخلافة والحكومة المركزية فهي العاصمة الكبرى
لخلافة الاموية .

وكان يطلق اسم الوالي والنائب على حكام الولايات
الصغرى . أما الكبرى فكان يطلق على ولايتها اسم الامين
وكان الحاكم في معظم الولايات يحكم منصبه يعلى
بالمسلمين ، ويلقى خطبة الجمعة التي كانت تعتبر في الغالب
بياناً - سياسياً وعين عمر فلسطين ، دمشق وحمص وقسرين
فضاء الامامة في الصلاة ، والنظر في الاحكام . وانشأ إدارة
مالية باسم الدويان لتنظيم جمع الابرادات وصرفها . وكان
القسم الاعظم منها يستند في سد النفقات الادارية والحربية
ثم يوزع الباقي على أفراد المسلمين . ولهذا أمسكت
سجلات خاصة في الدويان لتسجيل أسماء جميع المستحقين .
وكان الامير هو الرئيس الاعلى في ولايته . واليه يرجع الفضل

في الامور العسكرية والمدنية أما الامور المالية والادارية
فكان يدير شئونها موظفون قديرون يمينون خصب صالطهم
الغاية . كذلك كانت الحكومة توجه أقصى جهودها لترقية
حالة الفلاح . وتحسين الصناعة . فمسيحت الارض حقلا
حقلا ، ووضعت احياء في مصر والشام والجزيرة وفارس ،
على أسس ثابتة منتظمة .

وكان عمر أول من عين نائب القضاة المميتين من
قبل الخلافة ، وقصل دوائر عن الدوائر التنفيذية ، وأطلق
عليهم اسم حكم الشرع وهكذا كانت الادارة الاسلامية
منذ أوائل عهدها تعترف قولا وعملا بنظرية الفصل بين
القضاء والسلطة التنفيذية وكان القضاء مستقلا في أحكامهم
والملك في اظهارهم سواء وكان الخلفاء يتعينون العرص
ليظهره الماشع انهم من أول يخضع حكم القضاء .

ومن الامور التي كانت منذ عهد عمر وجود جنود
للحراسة ، وما الشرطة قد توجد بهذا المعنى الا منذ عصر
علي بن أبي طالب .

كذلك الجباية كانت تسير على نظام محكم . فقامت
الى ثلاثة أنواع .

(١) الاعناق أو الركاكة ، وتؤخذ من أغنياء المسلمين ،
وتفرق في الجيش والوظفين المستخدمين في جمعها والفقراء
من المسلمين متبعين في ذلك نص الكتاب ، إنما الصدقات
للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، تؤانسة قلوبهم . وفي
الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله وابن السبيل ،

(٢) ضريبة الارض التي تفرض على الذميين ،
وكانت تسمى خراج .

(٣) ضريبة الاعناق أو الجزبة ، وكانت مروفة عند
الروم بنفس الاسم ، وموجودة عند الفرس في حكم الاساوين
يبدأ أن المسلمين ادخلوا عليها تعديلات ، وهدبوا من قسوسها
وحوزوها ، ففرعها لاسلام بالعدل ، وأعني بعض الذميين
من دفعها مثل الفقراء الذميين الذين لا يشق عليهم ادؤها .
ولذلك عومل أهل الكتاب من اليهود والنصارى بكل عدل
وانصاف لم يحلموا به في حكومات كسرى ولا قيصر .

كان الجيش العربي مكوناً من جنود البدو الجيش
المرتزقة ، ومن تطوعى المدينة والطائف وبعض المدن
الآخرى . وكانت عربياتهم تدفع من الاعشار ، ثم أصبحت
تدفع من الاعشار والجزية .

وكان الخليفة امين القناد العام الذي كان يختار الضباط
بنفسه . ويؤم المصليين في الصلاة .

وكان الجيش يتألف من المشاة والفرسان . وكان
الفرسان يتسلحون بالدرع والسهم والفتاب ، كما كان رماة
السهم يؤلفون المتحصن الفاتح في فرق المشاة الذين كانوا
يتألفون من ثلاثة صفوف يتقدمهم عادة حاملو الرماح
لصد هجمات فرسان العدو ثم يليهم حاملو السهم . أما الفرسان
فكانوا يقفون على اليمين واليسرة .

أما مسكرات الجيش فكانت في أول الامر عبارة
عن اخفاص مصنوعة من جريد النخل . ثم شيدت محاطة
عسكرية دائمة في أنحاء الدولة . كذلك أقيمت حاميات قوية
في المدن التي ليس بها نقط عسكرية ثابتة .

وكان أفراد الجيش يلبسون الدروع المصنوعة من
 السلسل ويضعون على رؤوسهم الخوذ الفولاذية التي كانت
 تزين غالباً بريش النسور. وكانوا جميعاً يسرون إلى ميادين
 القتال وهم يتلون كتاب الله، ويكثرون ذكره عند الهجوم
 وكانوا يستعملون الطبول. ويحملون معهم نساءهم وأولادهم
 في كثير من الأحيان، وخصوصاً بعد إنشاء مساكن
 خاصة في المحاط العسكرية.

وعلى الجملة. فإن النظم التي سار عليها الخلفاء الأربعة
 من أحسن ما عرف في عهدهم. كما أن عمر كان المؤسس
 الحقيقي لتلك النظم. بل أن سياسته في الدولة أثرت في
 أخلاق الشعب الإسلامي. حتى بعد وفاته.

كان عمر شديد الفيرة على العرب والعرونة. فعمل
 على إجلاء جميع العناصر غير العربية عن بلاد العرب. ووجه
 المسلمين إلى عدم التطرف في الفتح والتوسع؛ كما خطر
 على العرب الاشتغال بالأمور الزراعية خشية أن يركنوا
 إلى الأرض ويسكنوا إليها.

ولقد كانت سياسة عمر نحو الموالي : سببها في أنارة
 كثير منهم حتى أنه قضى بحيه بيد مولى من هؤلاء .
 في الوقت الذي كان شديد الحذب عليهم ، وإن كان يحب
 طردهم من شبه الجزيرة .
 (ولكن دسائس الموالي التي حفر منها عمر ، أصابت
 عمر نفسه فكانت فيها حياله .

بيعة السقيفة وأستخلاف أبي بكر

وفاة رسول الله . مؤتمر الأنصار . بيعة أبي بكر .
تقدير أبي بكر .

وفاة الرسول

في يوم الاثنين الثالث عشر من شهر ربيع الأول
سنة ١١ هـ (٨ يونيو سنة ٦٣٢ م) اختارني الله جوار ربه
وصعدت روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى ، وقد كانت
الرسول في حياته يضطلع بالقيام بأمرين خطيرين .
أحدهما لا يستطيع القيام به غيره وهو تلقى الوحي عن
الله وتبليغه إلى الناس ، والثاني القيام بأعباء الشؤون الدنيوية
المتعلقة بالنفوذ السياسي والأدبي والعسكري وكل ما يختص
بالتنظيم العام لشئى شؤون الدول والأفراد في حياتهم العامة
والخاصة فلما نهى الناعى رسول الله ، جزعنت نفوس المسلمين
واهتزت قلوبهم لهذا الحادث الجلل ، فلم يقو على الصبر على
ألم ذلك الخطيب الجسيم إلا رجل واحد هو أبو بكر الصديق

رضي الله عنه . أما في المسلمين فقد جزعت نفوسهم ، فهذا
 عمر بن الخطاب يقوم خطيباً في الناس ويقول : إن رجلاً
 من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفى . وإن رسول الله
 والله مامات ولكنّه ذهب إلى ربه ، ذهب موسى بن عمران
 فغاب أربعين ليلة عن قومه ثم رجع بعد أن قيل قد مات .
 والله أيرجع رسول الله فبقي طعن أبدي رجائي وأرجاهم
 يزعمون أن رسول الله مات :

وهؤلاء سادة الأنصار وعلى رأسهم سعد بن عباد
 والخطاب بن الأشقر يدعون إلى مؤتمر عام للأوس والخزرج
 في سقيفة بني ساعدة ليحددوا موقفهم من المهاجرين الذين
 يطمعون في رئاسة المؤمنين بعد رسول الله . وهذا فيما نظر
 لم ينشأ إلا بسبب حسامة الصدمة بوفاة رسول الله أحب
 الناس إلى قلوبهم جميعاً .

أما أبو بكر فإنه حين وفاة الرسول كان بالسنح من
 ضواحي المدينة فلما بلغته الوفاة أسرع إلى المدينة حتى نزل
 على باب المسجد . فوجد عمر يخطب الناس بما أسلفنا ، فلم

بالتفت إليه ، ودخل على رسول الله في بيت عائشة . ورسول
الله مسجى في ناحية البيت عليه بردعجده . فأقبل حتى كشف
عن وجهه . ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : يا بني أنت وأمي .
أما المودة التي كتب الله عليك فقد ذفتها ثم لن يصيبك
بعدها مودة أبدا . ثم رد الثوب على وجهه ثم خرج . وعمر
يكلم الناس ، فقال له أبو بكر على رسلك يا عمر ، أنصت .
فأبى عمر وواصل كلامه ، فتركه أبو بكر وانجه إلى الناس
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(أيها الناس . من كان يميل محمدًا فإن محمدًا قد مات . ومن
كان يميل الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا قول الله تعالى : وما
محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم
على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا
وسيجزي الله الشاكرين^(١) .

(بهذا أعلن أبو بكر وفاة رسول الله ، وآمن الناس بالله

ثم بوقاة رسوله الكريم وأخذوا يمدون قراءة الآية الكرمة
التي تلاها أبو بكر، وثاب عمر إلى رسله وعرف أن الرسول
حقيقة قد مات وكان يوما على المؤمنين من أشد الأيام بل
أشدّها وأفظمها في حياتهم كلها :

وقيل أن تنقل بكم إلى حديث السيفة بحسن أن
أن تشير إلى مواقف لآبي بكر تتعاقب بوقاة الرسول. وتشهد
لهذا الرجال بالعلم والروح وفي مقدمتها حفظه عن الرسول
معنى قوله : ماتت بنى إلا دفن حيث مات . . وقد رواه
أبو بكر للناس حينما اشتد خلافهم في الموضع الذي يدفن فيه
الرسول حتى كادت تكون فتنة كذلك موقفه في الردة وبعث
أسامة مما سنّفصله في موضعه من هذا الكتاب إن شاء
الله تعالى .

مؤتمر الأنصار

أما عن مؤتمر الأنصار وحديث السيفة بمباراة
أسلافنا من مؤرخي العرب ، فإن حديثنا عنه ينحصر
في نقطتين .

١ - أولا وصف هذا المؤتمر والأسباب الدافعة
إلى انعقاده .

٢ - ثانيا النتائج النظرية والعملية التي نجمت عنه
تطور هذه النتائج في الدولة الإسلامية فيما بعد أننا
قبل الكلام عن التقطيع السابقتين نرى أن نوجز جملة عن
السقيفة التي كانت مكانا لهذا الاجتماع .
- سقيفة بني ساعدة

كانت تلك السقيفة بمجاورة سوق المدينة ، وهي عبارة
عن ظلة كبيرة مبسطة لجوانب ، واقع في أرض بني ساعدة ابن
كعب من الخزرج وكانت من الأمكنة التي اعتاد أهل المدينة
الاجتماع إليها والتشاور في شئونهم الخاصة والعامة فكأنما
هي باد يشبه دار الندوة لدى قريش في مكة ولقد كان لهذه
السقيفة في توجيه الملك الإسلامي أثر بعيد الفور لا يقل
عن أثر نور أو حراء في توجيه الرسالة المحمدية مع فارق
واضح وهو أن نورا وحراء يتصل أمرهما بأقدس رسالة
أنزلها الله على أشرف إنسان خلقه الله . والسقيفة

أمرها متصل بسياسة الدنيا وحماية الدين ، والسكل خطره
والكل آثاره .

وإن مما تنبئ الإشارة إليه تحت الألفاظ القومية
حينما أعلنوا عن مكان اجتماعهم في صميم أرض مندوبية إلى
بعض بطونهم وقد إنشأوا عقد مؤتمري في مسجد الرسول
مثلا أو غيره من الأماكن العامة وليس مما يستلزم في
المنطق أن يقال إنهم أرادوا بهذا أن يبعدوا عن اجتماعهم
غير المرغوب فيهم ، فإن حتى هذا القول يحمل في ثناياه
نفس الجواب عليه . وهو أنهم كانوا يريدون إعلان القومية
المدينة والعينون رئيساً على المجتمعات في السقفة من أصحاب
السقفة دون المهاجرين من غير أهل المدينة . . . وذلك إلى
جانب أنه لا يعقل أن يكون بينهم في أخطر مسألة لهم
الأمّة كلها مما لا يذاع إلا بعد إتمامه ، إذ على فرض هذا
فانه أن يكون ملزماً للامّة . ولا مقبولاً لدى الجماعة ولكن
مقبول أن يكون اختيار الألفاظ لهذا المكان لإعلان أنهم
أصحاب البلد وأمرهم .

١ - وصف عام للمؤتمر

في ساعة رهيبة من ساعات اليأس القاتل . ساعة نعى
الرسول الكريم ظل الانتصار أن الأرض تموج من تحننهم
وإن الزمن الذي اختطف أحب الخلق إليهم من بين أظهرهم
وقد كان باسم شغاه نفوسهم وراحة رحمة تلويهم ، ويا كبر
حياة لأرواحهم ، لا يمكن فيه الثقة بصدق مهما بلغ من
الوفاء . في هذه الساعة الرهيبة نقرأ الانتصار إلى طبيعة عربية
قدمة قدموا إلى اجتماع السقيفة ، وتابوا إلى هذا المكان
وجسد الرسول مسجى في حجرة عائشة والمهاجرون وبنو
هاشم مشغولون بشجهيرته وأداء مراسم الحنازة وأقد أوشك
الانتصار أن يختاروا سمد من عبادة أميراً على المؤمنين أو على
الأقل على الانتصار من المسلمين ، لو أن المنافسة التي كانت
بين الأوس والخزرج دفعت بعضهم^(١) لأن يتسللوا إلى
المهاجرين لاخطاراً بما يصنع الانتصار في سقيفة بني ساعدة

(١) هذا البعض من بنو بني ساعدة الأوس ، فصار من على الانتصار

(الطبري ج ٣ ص ٣٠٨)

فكان أن قابل بعض الانصار أبا بكر وعمر وأخبرهما خبر
الانصار في السقيفة . فأمرع الرجلان الى حيث الانصار
والتقى بهما في الطريق أبو عبيدة بن الجراح . ووجدا الثلاثة
الانصار في السقيفة فوجدوهم قد أصغوا لخطاب سعد
ابن عباد الذي كان مريضا جالسا يبلغ عنه ابنه ما يقول ،
وكان من قوله : يا معشر الانصار اسمك سابقة في الدين وفضيلة
في الاسلام ليست لقبيلة من العرب . ان محمدا عليه السلام
ليست بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن
وخلع الانداد والاثنان فما آمن به من قومه الا رجال قليل
وكان ما يتدرون على أن يمتنعوا رسول الله ولا أن يمزوا دينه
ولا أن يدفعوا من أنفسهم شيئا ثموا به حتى اذا أراد بكم
المضيئة ساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة فرؤفكم الله
الابحان به وبرسوله وانتم له ولاصحابه والاعزاز له وتدينه
والجهاد لاعدائه فكنتم أشد الناس على عدوه مشك . وانتم
على عدوه من غيركم حتى استقامت العرب لأمر الله فتويعا
وكرها وأعطى البعيد مقدمة صاغرا داخرا حتى أنقذ الله

عز وجل ترسله بكم الارض ودانت بأسيا فكم له
العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قريب عين .
استفيدوا بهذا الامر دين الناس فانه لكم دون الناس ،
فأجابوه بأجمعهم أن قد رقت في الرأي ونصبت في القول
وإن نعدوا ما رأيت نوليك هذا الامر فانك فينا مقنع
واصالح المؤمنين رضي^(١) .

لعل أن أبا بكر وصاحبيه ما كذبوا بدعاه في السقيفة
حتى قام خطيب آخر من الانصار وأخذ يذم بقوله : أما
بعد فنعن أنصار الله تعالى وكسبية الاسلام وأنت معشر
المهاجرين رعيه منكم وقد دفت دابة من قومكم فإذا هم
أرادوا أن يخلعوا من أماننا وأن يحضنوا من الامر^(٢) .
(و) يكذبه الخطيب بفتنه من الله كلمته حتى نزع عمر
وأراد أن يخطب في الانصار ليضع الامور في نصائبها ولكن
أبا بكر رجا عمر أن يترث وأن يدعه هو يتولى الحديث مع
الانصار فوافق عمر ووقع أبو بكر فحمد الله ونفى عليه ثم قال

ان الله بعث محمدا رسولا الى خلقه وشهيدا على امته
 ليعبدوا الله ويوحده ويؤمنوا به ويؤمنوا به
 ويؤمنوا به لا اله الا الله وحده لا شريك له
 ويؤمنوا به لا اله الا الله وحده لا شريك له
 ولا ينقسمون له شراكة ولا ينقسمون له شراكة
 الا ليقربونا الى الله زلفى .

فهو اعظم على العرب ان يتركوا دين آلهم فحصى الله المهاجرين
 الاولين من قومه بنصديقه ولايمان به والمواثقة له والمصير
 معه على شدة كثرة قومه لهم وانكذبهم ايهم وكل الناس
 لهم مخالف زار عليهم قد يستوحشوا لقله عددهم وشنف
 الناس لهم واجماع قومه عليهم فهم اول من عبد الله في
 الارض وآمن بالله وبارسول واولايتهم وعشيرته وأحق
 الناس بهذا الامر من بعده ولا ينزعهم ذلك الا قتال .

وانتم يا معشر الانصار من لا ينسركم قضاكم في الدين ولا
 سابقكم العزيمة في الاسلام رضيكم الله انصار الدين ورسوله
 وجعل اليكم هجرته وفيكم جلة ازواجه وأصحابه فلايس

بعد المهاجرين لاولين عندنا فتمتكم فنعين الامراء وانتم
 الوزراء لا تفتشون بشورة ولا تقضي دونكم الامور (١)
 فقام الخياط بن المنذر فقال لا والله لا نقبل منا امير
 ومنكم امير فقال ابو بكر لا والله لا نقبل الامراء وانتم الوزراء
 لن يعرف هذا الامر الا لهذا الخي من فريش هو اوسط
 العرب دار واعربهم احبابا (٢) فقام الخياط بن المنذر فقال
 بامير الانصار اما سكو عاييسكم امرأة فان الناس في
 فيشكم وفي ظلمكم وان يخرجون بشورة على خلافكم
 ولن يصدر الناس الا عن وايكم اني هؤلاء الا
 ما سمعتم فمنا امير ومنهم امير فقال عمر هيهات لا يجتمع
 اثنين في قرن (٣)

وشد الارضى العرب ان يؤصروكم ويحبسها من غيركم
 وانكن العرب لا يمتنع ان تولى امرها من كانت النبوة فيهم
 وتولى امورهم منهم .

(١) الخياط بن المنذر من بني النضير في النخيلة بمصر ٢

(٢) الخياط بن المنذر من بني النضير في النخيلة بمصر ٢
 اميران على دولة

وانا بذاك على من أتى من العرب الخجة الظاهرة
 والباطن المبين من ذاتنا زعنا سلطان محمد صلى الله عليه وسلم وإمارته
 ونحن أولياؤه وعشيرته الأمدل بياطل أو متجانف لأنهم
 أو متورط في هاسكة فقام الحباب بن المنذر فقال يامعشر
 الانصار ملكوا على أيديكم ولا تسمموا مقالة هذا
 وأصحابه فيذهبوا بتصيدكم من هذا الأصر فإن أبوا عليكم
 ملبس القوم فأجلوه عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور
 فأنتم والله أحق بهذا الأصر منهم فنه بأسيدوكم دان لهذا
 الدين من دان معن لم يكن يدين .

أنا جريها (١) انحككت وعز بقها (٢) المرجب والله أن
 شتم ليعيدنها جذعة (٣) فقال عمر إذا قتلت الله تملأ قل
 الحباب . بل إيك يقتل فقال أبو عبيدة يامعشر الانصار .
 إنكم أول من نصروا آزر فلان تكونوا أول من بدل وغير
 فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال : يامعشر

(١) جريين تصير جريين وهو الموت الذي شكت به جري .

(٢) المرجب السحق الكثير القصر ومعنى حارة أنه يضرب به غضبه على جري .

الانصار . قالوا لله أشكنا أولى فضيلة في جهاد المشركين
وسابقة في هذا الدين ما أردنا به الأرض وبنوا وطاعة ديننا
والكفرح لأنفسنا في ينبغي لنا أن نستطيع على الناس
بذلك ولا ينبغي به من الدنيا عرضا . قال الله ولي الله ماينا
بذلك . ألا أن محمدا ^{صلى الله عليه وسلم} من قرش وقومه أحق به وأولى
وأهم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الأمر ثم اتقوا الله ولا
تخافوه ولا تنازعوه . فقال أبو بكر : هذا عمر وهذا
أبو عبيد . فبهم ما شئتم فبيحوا . فقال عمر لا والله لا نقول
هذا الأمر عليك فالت فضل الله عربن وثاني ثين ذهبا
في القار وخليفة رسول الله على الصلاة . والصلاة أفضل
دين المسلمين . فمن ذا ينبغي له أن يقدم أو يتولى هذا
الأمر عليك . بسط يدك بيدك . فذا ذهبا لبيد . وسيفهما
إليه بشير بن سعد . فبأمره . فمعد الحباب ابن المنذر .
بابشير بن سعد ما أحوجت إلى مصصعت أنفست على ابن
عمك الامارة . فقال : لا والله ولا كنى كرهت أن أنزع
قوما حقا جملة الله لهم

ويديعة بشير الخزر حتى كسر على سعد بن عباد ما كان
 يفتظر ونهاقت الاوس على بيعة أبي بكر . وازدحم
 الناس على البيعة حتى لقد وضوا سعد بن عباد في
 واقبات امر بجرحها حتى تضايق بهم السمك فبأمر
 ابا بكر واقبل الناس من كل جانب يسمعون لابي بكر ولم
 يخالف عليه أحد سوى سعد بن عباد الذي كادت تؤخذ
 البيعة له وكن مريضاً فنقل من السفينة الى بيته بعد ملاحاة
 مع عمر حتى كادت توجب فتنة لو لا تدخل ابي بكر
 بهذا استطاع ابو بكر وصحاباء عمر وابو عبيدة
 ان يسكنوا هذه الفتنة التي كادت تهدد لدولة الاسلامية الفاشنة
 في اخرج ظروفها .

واذا كان لنا الى تقاسم عن الخافز لحولاء المؤمنين
 الذين صحبوا الرسول في أدق الظروف . وكانوا عصب الدعوة
 وحماتها ، فان من أول ذلك وأقربه الى العقل ما نسجله
 فيما يأتي .

(١) تاصل الروح القبلية في نفوس العرب .

وقد كان المسلمون في حياة الرسول يتمتعون الى قبائل
شتى . ويطون مختلفة وأجناس متباينة ، وكان إلى جانب هذا
اخلاط من اليهود المشافقين يا كنون هؤلاء المؤمنين في
المدينة وغيرها . فلما ذمى الشاعى رسول الله وقع ذلك من
نفوس المسلمين موقع الرعد والصواعق . فزها هزا عنيغا
وكاد يأتي على ببيان الايمان من القواعد .

أحل . جزع الانصار اذ قيل رسول الله قد مات وفاق
نفوسهم وغدى اليهود والمشافقون هذا الفلق بانارة الاحقاد
العربية القبلية وأذكوا روح المنافسة القديمة بين قبائل العرب
فهدج صوت الايمان في قلوب كثير من نقباء الانصار فثار
هؤلاء الى سقيفهم ، لا بوصفهم انصار الاسلام ، بل
باعتبارهم اصحاب البلد ، وأبناء الاوس والخزرج وأنه من
الخير لهم أن يرموا أمرهم في غيبة من المهاجرين الذين وقدوا
عليهم صعبة للرسول الكريم^(١)

(٢) تهرجحات الرسول للانصار .

(١) اظهر في هذا خطاب الحيات نجد فيه هذا المعنى واضحا

ثم أن الانصار يتمكون بتحديث أثرت عن
 رسول الله تفيد أن الرسول رجل من الانصار ، والله آله
 وعشيرته فظن الانصار أن ريادة المسلمين بمذ رسول الله
 يجب أن تسكون فيهم وحدهم ، ولهذا رأوا أن يولوا أمير
 المؤمنين منهم وأن يجتمعوا على زعيمهم سعد بن عبيدة ،
 وأن المهاجرين إذا علموا بذلك لا ينازعون في هذا

الانصار إذن متاولون مجتهدون ، فهم مأجورون وإن
 أخطأوا إذ غايهم وضع الأمور في نصابها وإن أخطأ والمحجة
 في نظر الأغلبية .

أما تلك التصريحات التي استند اليها الانصار
 فن أهمها .

أولاً - ما ورد في بيعة العقبة الكبرى . إذ قال الرسول
 لوفد المدينة مع مصعب بن عمير الدم الدم والهدم الهدم
 يعني أنا منكم وأنتم مني أيها الانصار . وهذا عندما قال
 الانصار للرسول . فهل عيت ان نحن بإيمانك وقاطعنا

اليهود ، ثم أظهر ك الله تعالى ان نرجع الى قومك وتدعنا :
فعند ذلك صرح لهم ذلك التعريض الانف

ثانيا - ما حدث في غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ
(٦٢٤ م) فقد أخذ الرسول يستشير الناس في لقاء المسلمين
فشاورة المهاجرين فوافقوا على قتالهم ، وجندوا مصادمتهم .
ولكن الرسول لم يقدم على الحرب ولم يهتم برأي هؤلاء
المهاجرين .

ثم أعاد الاستشارة ووجهها الى الانصار فوافقوا
فعند ذلك استطاع الرسول أن ينشب القتال وهو مطمئن
إذ كان المدد والشوكة في الانصار ، وهم الاكثرية الساحقة
في جيش المسلمين . وبهم وحدهم كان النصر الذي كان سببا
في لقاء هيبة المسلمين في نفوس المشركين .

ثالثا - وفي فتح مكة ، كان الانصار هم الذين أدرعوا
قريشا على الضاعة بما أهم من المدد والسلاح ، فهم عضد
الرسول وساعده عند الشدائد ، وهم فأنحوا مكة فلهم السيادة
بحكم الفتح على قريش .

وبوم حنين ، وقد غنم المسلمون مغانم كثيرة ، فأعطى
الرسول ناسا لما يرى فيهم من ضعف ونفاق ، وترك الانصار ،
فظنوا ان ذلك هو سهم على الرسول . فتحدثوا واكثروا ،
فعلم بهم رسول الله فجاءته ، وحسنهم ورضيهم موقدا لهم
ان نصر محاته السابقة باقية ، وانهم آله وعشيرته ، وأنه أصبح
رجلا من اهل المدينة لا من اهل مكة . ثم قال : أفلا
ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير ،
وترجعوا برسول الله الى رحاككم . فوالذي نفس محمد بيده
لولا الهجرة ، لكنت مراء من الانصار ، ونو سلك الناس
شعبا وسلك الانصار شعبا لعلت شعب الانصار
أقول . يمثّل هذه النصر محات ، والتجديد ، نشبت
الانصار بأحقيتهم في أمانة المؤمنين بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

٣ - الروح القومية

كذلك رأى الانصار انهم أصحاب العاصمة الاسلامية
وم ممالك الاراضي ، وأصحاب الفروع والفرع في المدينة

وانهم وقد أقاموا دولة الاسلام في بلادهم وبسوا عدم -
لا ينبغي في شرعة السياسة أن يتحلوا عن السيادة في وطنهم
لقوم أجنب عنهم ، وان كانوا أعزة عليهم . ومتفقين وأبهم
في دينهم وماتهم . لان هذا معناه تسامح في بعض شئون
الوطن مما يجعل الاجنبي يتحكم في رب الدار . وهذا ليس
من منطق المصاحبة ولا أسلوب الحكم والادارة بل أن
الذي نرضيه الجماعة أن يكون أميرها من بينها ، ومن
أقربهم الى أفرادها .

(كان الانصار إذن مدفوعين بمامل القومية : ولذلك
كانت ثورة أحد ساداتهم تدور حول هذا المعنى . فهذا
الخطاب يقول . فان أبي المهاجرين أن يؤمرهم عليهم ،
فأجنوهم عن بلادكم .

(وهذا لم يصدر من الخطاب إلا لاقتناعه بأنه صاحب
البلاد . والمواطن الاصيل) - في رأيه - ومن ثم فانه إما أن
يوافق المهاجرين على امتداد الرياسة إلى الانصار ، أو فليخرجوا
من المدينة التي هي بلاد الانصار ، بيدانه مع وضوح هذا

السبب من الانصار ، ترى من الحق ان تشير إلى أنهم قد
 غفلوا عن مبادئ أخرى وضعها الرسول ، ودعمها بالقول
 والعمل . وتلك هي أن رسول الله قد آخى بين المهاجرين
 والانصار وجعلهم شركاء في المدينة . وبهذا أصبح المهاجرون
 مواطنين كالأنصار سواء بسواء .

كذلك ترى الرسول يصرح في مناسبات متعددة بأن
 المسلمين كتلة واحدة . وجسم واحد ، وأن ذمتهم واحدة
 بقوم بها أديانهم وأن الاسلام يحجب ما قبله من حزازات ومنافسات
 وقوميات وأن كل من يعتنق الاسلام من أى جنس ولون
 يكون له مال المسلمين وعليه ما عليهم ، وأن كل أمور المسلمين
 يجب أن ترض عنهم ويهدي كل فرد فيها رأيه ، وإن أكرم
 المسلمين أنقامهم سواء كان مكيا أو مدينا ، وإن المناضلة في
 جميع الشئون الدينية والسياسية وغيرها ألا تكون إلا بالتقوى
 وهي التمسك بروح الاسلام وحسن التدبير ، وقوة الصبر
 مع الله . واجتهاد في سبيل دينه ورسوله .

ومن كل ذلك نستطيع أن نقول . إن الانصار كانوا إيعاة

(قومية محلية وأما المهاجرون فكانوا يريدونها قومية إسلامية)
 أو جامعة إسلامية ولعل الفرق بين الرأيين يتضح لنا إذا
 افترضنا نجاح الانحياز في تأمير أحد الدينين على مسلحي
 المدينة كما أراد الحبيب ، فتكون دولة إسلامية في المدينة تنفذ
 أوامرها على شرب ققط .

أما المهاجرون فليس حالوا دون هذا . إذ كانت نظريتهم
 أن ينتخب المسلمون جميعاً في جميع أنحاء البلاد الإسلامية
 أميراً عليهم يرعاهم ويشرف على دينهم وديارهم وهذا ما قد كان
 وهو الموافق لحكم التتاليم الإسلامية

يقول أن تشير إلى النتائج التي أسفر عنها مؤتمر السقيفة
 وما يق منها في المسلمين في العصور التالية .

الشورى وأول هذه النتائج . الشورى التي بحث واضعة في
 مبايعة أبي بكر . إذ عرضت المسألة على بساط البحث
 وأدلى كل برأيه ، ثم تغلب رأي المهاجرين فبويع أبو بكر ،
 وقد ظلت الشورى تكبداً في سيرة الخليفة وولى عهد طوال
 دولة الخلفاء الراشدين والدول التي تلتهم ، وإن تطورت بتطور

العصور . فتراها في عصر الملك الوريثي زمن الامويين
والمبشرين بالاصبحت الشورى مسألة رسمية شكلية
يتظاهر الملوك بالعمل بها لا أكثر . والحقيقة سافرة عن
الاستبداد ونيل الشورى .

كذلك سنت السقيفة (مبدأ الانتخاب لا صاحب
الموجودين من كبار رجال الدولة ، وقد عمل بهذا أيام
الأربعة الراشدين ، وترك بعدهم مباشرة فلم يعمل به أسرة
من الأسر التي حكمت المسلمين بوجه عام .

ومن المبادئ التي سنها السقيفة (مبدأ البيعة) ، وهي البيعة
أن يصافح الناس أميراً علامة على الرضا بأمارته ، وقد ظل
هذا المبدأ ، وتطور بتطور الزمن ، بيد أنه ظل على كل حال

ومما سنته السقيفة ، أن يتقدم الأمير بخطاب بين
يدي حكمه وبعد مبايعته يبين فيه منهجه وخطته في الحكم
ليرناح إليه المحكومون ويعرفوا مسلكه في الحكم . وقد
ظل هذا المبدأ معمولاً به حتى الآن وهذه عادة قديمة ورثها

الاسلام عن الأمم السابقة ولم يفسخها بل فرها واستحسنها
المسلمون فصاروا عليها .

تشو الفرق على أن من أم التتبع التي أسفر عنها هذا المؤتمر نشوء
بذور الفرق الإسلامية التي تشكات فيها بعد .

فقد كان فريق لا نصار وء الدين لا يريدون تأمير
قريش ووافقهم بعد مدة صائفة الخوارج ، مع فارق بسيط
وهو أن هؤلاء يريدون بالبداء الجمهوري المحض ، ولا نصار
يريدون صرف الخلافة عن قريش لتكون في أهل المدينة
دون سواهم .

كذلك كان هناك فريق يرون حصر الخلافة في آل
البيت ، وهؤلاء هم الذين انطقت على أسمائهم فرق الشيعة
في العصور التالية وإلى جانب هؤلاء وأولئك كان الجمهور
الاعظم الذي يابح لأبي بكر وهذا الجمهور هو الذي جاء على
أسمائهم فريق أو حزب أهل السنة والجماعة .

وعلى هذا يكون مؤتمر السقيفة أساسا لنشوء مذاهب
أهل السنة والشيعة ، ولا نصار ثم الخوارج ، وأخيرا

المعزلة أن صبح إن فريفا من المسلمين اعتزل المهاجرين
والأصهار ورفض أن يبايع لأحد من هؤلاء أو هؤلاء وهذا
لا يؤيده مستند يوثق به .

بيعة أبي بكر

وبالشكل الذي أضافت بيعة أبي بكر في السقيفة ،
ولكن هل يمكن أن يعتمد المسلمون خلافة أبي بكر بهذا
الاتحاد العابر ، ولم يحضر جلستهم وحال كبر أنهم هذه البيعة ،
بل أنهم بدعوا إليها ولم يعلموا بها . الواقع أن هذا يعني
أنه يجب عن أبي بكر ، ولذلك نراه بعد أن يتم تجهيز الرسول
ومواراته ، بطاب من المسلمين أن يجتمعوا لأمر هام ،
فيحضر كبار المسلمين ، وكل ذي رأي فيهم ، ثم يقف عمر
بينهم ويخطبهم قائلا .

أيها الناس ، إني قد كنت فاتكم بالأمس مقالة
ما كانت إلا عن رأي وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت
عهدا عهد إني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن قد
كنت أرى أن رسول الله سيد أمره حتى يكون آخرنا ،

وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن اعتمدتم به هداة الله ما كان هداة له . وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ، ونأى اثنين إذ هما في الفار ، فقوموا فبايعوا ، فمئذ ذلك بايع الناس بيعة العامة ببيعة السقيفة^(١) .

وعلى ذلك تعتبر بيعة أبي بكر . ناسئة عن شورى ورضا من المسلمين ويعتبر انتخابه حرا لا جبر فيه ولا استبداد لأنه بعد ما سكن العترة في السقيفة وكانت حينئذ بيعة^(٢) لم يكتب أبو بكر بها ، بل جمع الناس وعرض عليهم ما كان في هذه السقيفة ، فبايع المسلمون بيعة فيها وجدوا له التأييد بالبيعة له ، ولم يخاف عليه أحد . لا من ذكرنا من مثل سعد بن عبادة وأحباب بن المنذر . وكان ذلك في السقيفة أما حين بيعة المسجد العامة في اليوم التالي ، قال الطبري يروى أنهما بيعة ، مختارين . وإن كانت هناك روايات أخرى أيضا نقول بامتناعهما مدى الحياة^(٣) .

(١) آخر الطبري ٢٠٠ ص ٢٠٠ . (٢) غير المصدر السابق .

أما ما يقال من امتناع بني هاشم وعلى رأسهم المعبس
وعلى عن مبايعة أبي بكر فانه استنجدت عنه حديثا أوفى
بعد قليل .

بعد أن انتهى عمر من خطبته السابقة بين يدي أبي بكر
وقام المسلمون فيارمواله . قام أبو بكر على المنبر فحمد الله
وأثنى عليه بالمدى هو وأهله . ثم قال .

أما بعد . أيها الناس فاني قد وليت عليكم ولست بخير
فان أحسنت فاعينوني وإن أسأت فعفوه وني . الصدق أمانة
والكذب خيانة . والضعيف فيكم أقوى عندي حتى أربح
عليه حقه إن شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندي حتى
أخذ الحق منه إن شاء الله ، لا بدع أحد منكم الجهاد في
سبيل الله ، فانه لا بدعه قوم . لا ضررهم الله بالذل ، ولا نسيح
الذاحشة في قوم إلا عذبهم الله . أطيعوني ما أطعت
الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم .
قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله . وبهذا البيان البديع ،
والخطاب الحكيم افتتح أبو بكر خلافته وحدد منهجه ، وأحال

برئانه . ولم يفس أن يؤكد لهم وجوب النصيحة للخليفة
وطاعته متى أضاء الله ورسوله . كما أكد لهم فريضة الجهاد
وأسهب في الحث عليها :

تقدير أنى بكر

كان أبو بكر رضى الله عنه قبل إسلامه يعيش في مكة
تاجرا موسرا بزازا يبيع الثياب . وكان رأس ماله حوالي
الأربعين ألف درع ، وكان عانا بالنسب العرب وأخبارها .
هف النفس واللسان ، حرم خمر على نفسه في جاهلية . وكان
كرما معوانا لضعيف ، بارا بأقاربه صريحا في الحق ، صدوقا
في القول .

وأبو بكر من أولئك المشرة الذين انتهت بهم الحارم
من فريش . فكانت إليه « بلا شناق » وهي الديار والمغارم
فكان إذا احتمل شئ فسأل فيه قريشا صدقوه . وأمضوا
ما احتمل وإن احتملوا غيره خذلوه ويؤكد مؤرخون أن الصدافة
انقضت بينه وبين الرسول قبل الإسلام .

ولما أسلم أبو بكر صباه الرسول ، عبده الله ، وكان
أعداؤه يكتنونه أبا فضيل وهو أول من أسلم مع الرجال .
وإذا شك أحد في هذا ، فلا مجال للشك في أنه من أسبق
أعوان الرسول ، وأخلص المؤمنين بدعونه ذلك الإيمان
الذي بلغ درجة اليقين المحض . يقول الرسول صلى الله
عليه وسلم . ما دعوت أحد إلى الإسلام إلا كانت له كبرة
غير أبي بكر . وفي حديث آخر . ما طلعت الشمس ولا
غربت على أحد أفضل من أبي بكر إلا أن يكون نبي
وبلغ من إيمانه ، أنه لما نزل قوله تعالى « ولو أنا آتينا عليهم
أن يقتلوا أنفسهم » قال يا رسول الله ، لو أمرتني أن أقتل
نفسى أفعلت . فقال الرسول صلات الله وسلامه عليه
وعلى آله « صدقت » .

لما يتسرب الشك إلى نفسه حتى في حديث الامراء ،
حين كان الناس بين مصدق ومكذب ، وحين اراد الناس
من كانوا آمنوا . أما أبو بكر فقال : أتى لا صدق بما هو

أبعد من هذا . أصدق في خبر الله ، في غدوة أو روضة ،
فمن أبو بكر الصديق من يومئذ .

كان أبو بكر ابن الحبيب ، كريم الشئ ، فاجتهدت
هذه الصفات بحبة النسيء له ، وأجلهم أقدروا . فأسند على
يديه رجال عظام منهم عثمان بن عفان وساحبة بن عبيد الله
وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام . وعبد الرحمن
ابن عوف .

م ثم تكن نضحية أبي بكر قاصرة على إخلاصه للمبادئ
الإسلامية ، بل لقد اتفق في سبعين هذه المبادئ . حوالي
خمسة وثلاثين ألف درهم من خالص ثروته . حتى إذا كانت
الحجرة لا يبق له سوى خمسة آلاف درهم اتفق كل هذا
في طاعة الله . وقد اتفق سبعة آلاف بمذهب في الله . فكان
يعتق المجازر والنساء حتى قال له أبو بكر . أي بني أراك تعتق
أنسا ضاغا فلو أنك تعتق رجلا أقويا ، يقيمون مملك
ويتممونك ويدفعون عنك . فقال . أي أبت أن أريد
ما عند الله .

وفي أي بكر نزل قوله تعالى : فأما من أعطى واتقى
 وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الآية من سورة الأعلى
 وعلى جملة . فإن أي بكر كان نسيج وحده في الدين
 والخلق ، والعز والكرم وكان آية ترحولة في أنقى صفعاتها
 وأقبل نموتها ، وكان يجمع إلى دمنة الخلق شجاعة القلب ،
 وقوة الإرادة .

حدث على رضى الله عنه فقال : أخبروني : من أشجع
 الناس ، فقالوا : أنت فقال : أما في ما رزت أحداً لا انتصفت
 منه . ولكن أخبروني بأشجع الناس . قلوا : لا نعلم فن :
 قل أبو بكر ، أنه لما كان يوم بدر فجعلنا رسول الله عريشاً
 فقلنا من يكون مع رسول الله لئلا يهوى إليه أحد من المشركين
 فوالله ما دنا منا أحد إلا أي بكر شأهراً بالسيف على رسول
 الله لا يهوى إليه أحد إلا هوى إليه ، فهو أشجع الناس
 وقد أثبتنا سبق موقفه من وفاة الرسول ، وكيف ثبت
 في أدق مرحلة عرفتها الدولة الإسلامية ، ثم كيف استطاع
 أن يسكن فتنة السقيفة من لا داعى لاعادته .

خلاف علي وبنى هاشم وما قيل فيه

على الرغم من ان ثقات المؤرخين يذكرون ان ابا بكر كان متفقا عليه من جميع المسلمين ، ولم يتخاف احد من بيعته ، حتى سعد بن عبادة نفسه يروي انه بايع في بيعة العامة كما اسلفنا .

بل على الرغم اننا لم نسمع في التاريخ ان عليا ثار على ابي بكر ، على الاقل . كثورة الانصار في السقيفة . ولم يقف في الجمع الحاشد حين بيعة العامة . يندد بأبي بكر ومن بذل له البيعة .

على الرغم من هذا كله نرى ان ابن الاثير وغيره يتحدثون عن خلاف علي على ابي بكر ، وامتناءه وبنى هاشم عن مبايعته . ويسندون هذا الحديث الى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها (١)

(١) انظر تيسير الوصول ج ٣ ص ١٦٠ ، وقد جاء في هذه =

ومما ينبغي ذكره هنا ، ان صاحب الكامل ، والخضري
وغيرهما قد رجحا رواية هذا الخلاف . وتبعهما من ألف
لحمها في ذلك .

ولكننا بعد الموازنة بين الحقائق التاريخية . نرى ان
عليها بايع منذ بيعة العامة . وان المسلمين جميعا عدا - عدي بن
عبادة قد بذلوا البيعة مختارين لابي بكر . ولم يتخلف على
ولا بنو هاشم عن مبايعة الخليفة الاول . وذلك امدة امور .

الرواية انه انت فاطمة . العباس (رض) ابا بكر (رض) يلتزم . ان
ميراثهما من رسول الله (ص م) فقال ابو بكر . سمعت رسول
الله يقول . لا نورث . ما تركناه صدقة . . . فبهرته فاطمة فلم
تكره حتى ماتت بعد سنة شهر فدفنها على ليلا ولم يؤذن بها
ابا بكر . وفي هذه الرواية ايضا ، فما رآني على انصراف وجوه
الناس عنه خرع لي ومخالفة أبي بكر ، ثم تذكر هذه الرواية
ان عليا تقابل مع أبي بكر وتعانبا ثم بايع لابي بكر ، وتبعه بنو
هاشم ، فرضى الناس عن عني . حين راجع الامر بالمعروف ،
الشيخ ابي تيسر الواسع ص ٢٦ - ٢٧

أولا - ما ذكره الطبري في تاريخه ^(١) من أن عليا بايع
من أول الأمر وقد رواه بسنده عن سعيد بن زيد ^(٢)
وحبيب بن أبي ثابت ^(٣) وكذلك مراجعته لأبي سفيان
ابن حرب ^(٤)

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٠٩ وما بعده .
(٢) من الآثار الواردة قال عمر بن حريث لم يبد بين زيد .
شهدت يوم قد رسول الله (ص م) . قال : نعم قال : فتي يورع أبو بكر
قال يوم مات رسول الله (ص م) . كرهوا أن يقولوا من يوم
وليسوا في جماعة . قال : وهي خلاف عليه . أحمد . قال : لا إلا
مرتداً . ومن قد كان يرتد . لولا أن الله عز وجل ينقدهم من
الأعداء . قال : هي قعد أحمد من المهاجرين . قال : لا . تناف
المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوه .
(٣) من حديثه . وكان على في بيته أدنى فقيل له قد جالس
أبو بكر بيعة فخرج في قميص ما عليه زار ولا رداء عجل
كرامية أن يمضي . عنها حتى يابسه . ثم جلس إليه وبعث إلى
توبه ف . فحمله وزم مجلسه .

(٤) ذلك أن أبا سفيان قال علي بعد مبايعته لأبي بكر في
البيعة العامة وقال له : ما أرى هذا الأمر في أقل حي من قریش
والله إن شئت نسلاها خيلا ورجلا . فقال علي . يا أبا سفيان
ما من ما عادت الإسلام وأهله فلم تضره بذلك شيئا . إنا وجدنا
أبا بكر لها أهلا وصيبي أنه متى وجد علي أبا بكر أهلا للخلافة .
أفاته أن ينزعه . وذلك الذي قد كان فيما نرى .

ثانياً - ان عليا كان الى جانب ابي بكر في حروب الردة وكان على من جنوده المخلصين حتى لقد وكل اليه قيادة فرقة الانقباط مع الزبير وابن مسعود^(١) وهي الفرقة التي كانت مهمتها حراسة الطريق المفتوحة ابو صيلة الى العاصمة عند غارات المرتدين

ثالثاً - ان عليا بايع فيما بعد لعمر بن الخطاب ووقف الى جانب عمر ، وصاهره عمر فتزوج ام كلثوم ابنة علي من قاطمة وعمر ولى عهد ابي بكر وخليفة المسلمين من بعده فلا يعقل ان يتنح عن بيعه ابي بكر ، ويبايع لعمر الذي هو اعدى منزلة وقدر من ابي بكر

رابعاً - ان عليا كان ملازماً للخطباء الثلاثة السابقين عليه ، فبايع عثمان كبايع اصحابه من قبل ، بل انه كان اصوع لعثمان من بناته في الوقت الذي باعده اليميد والقريب ، وثارت عليه امصار الدولة ولائته عائشة ام المؤمنين والسكن عليا لم يخلد عثمان وما يمن عليه . بل صدقه

أذ كذب الناس ، ودافع عنه اذ تركه معاوية نفسه

فهل لمثل هذا الرجل يقال انه خالف ، قلبيما جفاء
الناس وافق وهل في التاريخ قرية أشنع من هذه على رجل
كله خير واعراض عن الباطل واستمسك بروح الاسلام
ثم ان خاق على وسجاياه التي طفعت بها كتب التاريخ
نجعلنا نعتقد ان عليا ليس من اولئك المتسلقين الذين بالدين
ياكلون وبالمدارة يعيشون ، ويننون بمجدهم على نفاق الغوغاء ،
ومخادعة الدهماء

لقد حدثنا التاريخ ان عيب علي الوحيد ، يتركز في
سلوكه سبيل الحق في معاملة الجميع ، فلا يعطى احدا فوق
ما يستحق ، ولو في ذلك ضياع سلطانه ، حتى لقد كانت
هذه السياسة من ام الاسباب في اخفاقه ضد معاوية الذي
كان يقشد الملك ويهون كل شيء في سبيله ، وقد كان يعطى
ولا يمنع ، ولا يبالي ايؤخذ بحق ام يباطل ، مادام في هذا
النجاح سياسته

هذا الذي اجمع عليه المؤرخون برينا صورة علي على

تقاتلها فهو لا يداهن في دين الله ، ولا يقبل غير الحق ولو
كلفه ذلك فصل هامة

فهل يمكن لمثل هذا ان يحامل الناس فيطيعهم اذ
يظفر بالسلطان ؛ ويمصيههم اذ يتصرف عنه الجاه والنفوذ
اللهم لا

خامسا - واخيرا فان رواية الخلاف التي اشرنا اليها ،
على ما بها من اضطراب وتفكك ، هي متناقضة . في نفسها
اذ يدعى يتحدث الراوى عن الميراث . اذ به يخلط بها مسألة
الخلافة مما بدانا على ان واضعها من الشيعة الغلاة الذين يقولون
بان الخلافة بالنص لا بالشورى

ومن هنا كانت حملتنا عليها وعلى ما تضمنته من امور
لوصفت لغيرت تاريخ على من اساسه . وذلك قلب للحق
ولما اجمع عليه المؤرخون وفي مقدمتهم الشيعة الذين . فيما
ظن - هم المؤافون لرواية الخلاف هذه

وقبل أن نختم الحديث عن السقيفة وما تلاها ، نرى
 أن نعرض مسألة أخرى تشبه هذه المسألة تماما ، وتلك هي
 ما نسب إلى أبي بكر من أنه عند ما ذهب إلى السقيفة
 وشهد حال الأنصار ، روى لهم حديثا عن الرسول فعند
 ذلك بأبعوا له ، وسكنوا ، وكفوا عن الخلاف .

أما هذا الحديث المزعوم فهو (الأئمة من قریش) .
 وقد ذكر ذلك الخضرى فى محاضراته ، وسبقه إليه ابن
 خلدون فى تاريخه ومقدمته .

والذى يهمنى فى هذا المقام أن رأينا مخالف لآى الخضرى
 واسلافه ودليلنا على ذلك ما نوجزه فيما يلى :

١ - عدم وجود هذا الحديث ضمن خطب أبى بكر
 سواء فى السقيفة أو المسجد ، فى البيعتين العامة والخاصة ،
 ولا فى خطب عمر أو غيره ، كما أثبتنا آنفا .

٢ - أن اجتماع السقيفة ، وتداول الأنصار فى الأمر
 ومقارعة المهاجرين لهم بالحجج الإقناعية يدل بوضوح على
 أنه ، تكن هناك نصوص تقيد المسلمين بقبيلة معينة أو بيت

معين ، بل ترك الأمر للمسلمين بتشكيلونه حسب المصلحة
المامة لدولتهم .

٣ - أن هذه الرواية لم نجد لها أصلاً في الصحيح من
أحاديث الرسول بهذا النص وكل الروايات ، على علاتها -
التي وردت في هذا الشأن بأساليب مختلفة ، لم تكن فيها
رواية بهذا النص " .

٤ - كلمة (إمام) الواردة في هذا الحديث لم تعرف
بلفظ ذلك العهد ، كنعيم على خليفة الرسول (أمير المؤمنين)
بل هي اصطلاح على إمام الصلاة أو إمام الدين حسب ،
وبين يدينا ألقاب الرئيس الأعلى للدولة الإسلامية ونراه
بلفظ أولاء الخليفة ، ثم خليفة الخليفة) ثم (أمير المؤمنين)
ويظل ذلك علماً على كل رئيس يتولى رئاسة الدولة الإسلامية
حتى كان العصر الثاني للدولة العباسية ، فنتاً هذا اللفظ (إمام)
وأطلق على خليفة الاسلام ، وقد كان ذلك عند ما أصبحت
للشيعة دول تنافس الدولة العباسية ، وتنازعها السلطان ،

(١) أنظر تيسير الوصول (- - خلاصة) .

فانخذ هؤلاء كلمة الأئمة . أحياء لذكرى أئمتهم الذين نكل
بهم الأمويون والعباسيون .

وأما إطلاق كلمة الإمام على إبراهيم بن محمد العباسي
في أواخر الدولة الأموية ، فلا يتناقض ما ذكرنا . إذ كان
الإمام المذكور مجرد رئيس للجمعية السرية التي تسمى للوصول
إلى الحكم على انتقاض الأموية ولذلك نرى أن أول خليفة
يتولى الحكم بألقاب أمير المؤمنين ، ويظل يخاطب به سائر
خلفاء العباسية .

هـ - على أن روح الإسلام - وهي شورية مضمنة -
تنبو عن هذا الحديث ، لأن النص لا تحيل معه الشورى
والانتخاب ، ويترب على ذلك - أن صرح - الزام المسلمين
بالوقوف عند حد المنصوص طبقاً للمعامل الإسلامية ويكون
جدل الانصار مخالفة صارخة لمبادئ الدين ، كما أن خروج
الامارة من فريش يعتبر خروجاً على الإسلام الذي ينص
على أن الامارة يتحتم أن تكون فيها . وكل ذلك يخالف
لاحق والتاريخ . إذ الانصار من خيار المسلمين ، والامارة

خرجت من قریش فی عصور كثيرة . وروح الاسلام
لا تتفق مع هذا الحديث والكتاب الذي هو ميزان الاسلام
لا يشير على المسلمين الا بعمل الاصلح في دينهم ودنياهم ،
بل انه اصرح ان التقوى . هي الاساس في وزن الرجال
«ان اكرمكم عند الله اتقاكم» . وكذلك الحديث الصحيح ينادي
بانه . لا فضل لمرئي على عجمي الا بالتقوى : اسمعوا
وامطيعوا ولولا امر عليكم عبد ، ولهذا وشباهه نرى ان هذا
الحديث . سواء كان على سبيل الخبر او الانشاء . لا ينسجم
مع روح الاسلام . ولا مبادئ النبي في السياسة والادارة
فقد امر زيدا واسامة ابنه وهما من الموالى على كبار رجالات
قریش . وفعل ذلك أبو بكر

وانما كل ما في المسألة ان الشيعة الذين ديجوا مسألة
امتناع على م كذلك وضموا هذا الحديث لينصروا به مذهبهم
في التنصيب على الخليفة وذلك ليتوصلوا الى النص على
(ارض) وهو ما يقصدونه وما دعوا اليه السجنية من قبل . وان

كانت السبئية تقول بالوصية الى علي بالقات . وتري رفض
امارة غيره من قريش وباجلة فهذا الحديث في رأينا غير
صحيح . لما اسلفنا

أما عن مسألة التأمير التي برمي بها المستشير قونابا بكر
وعمر وابا عبيدة وعاتشة فقد اوجزنا فيما سبق ردا عليها (١)
• حروب الردة • في جزيرة العرب

لم يكذب فتنسرخ خبر وفاة الرسول خارج المدينة حتى
نارت نفوس الاعراب الجائعة واشتد هلع المؤمنين المخاضين
كما ارتدت بعض القبائل التي لم تتأثر بنعاليه الاسلام ، وظهر
كثير من المتفنيين الادعياء الذين كانوا قد ظهروا في حياة
النبي في الجهات البعيدة ، وأضحى الدين الجديد في خلال
مدة وجيزة محسورا في المدينة وحدها . وهكذا أخذت
يترقب على عاتقها من جديد أن تعارب القبائل العربية المرتدة
إلى الوثنية .

(١) انظر فصل الاول من هذا الكتاب .

أما أبواب الردة فيمكن أرجاعها إلى العرب :

أحدهما تلك المبادئ الأخلاقية الصارمة التي فرضها
الإسلام فرضاً ، والثاني ، نفور العرب من أداء الزكاة ،
واعتيارها إناوة تؤخذ منهم قسراً^(١) .

على أن مما ساعد على تفاقم أمر هؤلاء الخارجين على
حكم المدينة ، أن وجد بينهم قوادس يخطون على حكم المسلمين
بها ، أدعى بعضهم النبوة وحاول أن يقلد رسول الله في جمع
العرب من حوله ، وتكوين دولة تحت زعامته وكانت قبائل
بني حنيفة وبني ثعلبة ، ومذحجة ~~بالحسين~~ من أظهر القبائل التي
أدعى زعمائها النبوة .

ففي بني حنيفة ظهر مسيلمة ، وادعى أنه نبي ، وكان
أول ظهوره في حياة الرسول . وكانت بنو حنيفة تنزل
بالجماعة قريب البحرين . فكانت بذلك بعيدة عن عاصمة الدولة
الإسلامية ، وقد حاول مسيلمة هذا أن يصالح النبي على

(١) مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي (الألفية) .

أن يكون له جزء من جزيرة العرب والرسول الباقي ،
فرفض النبي طلبه^(١) .

كذلك قام قرب نجد - طليحة وثيس قبيلة بني أسد
وادعى النبوة وجمع له أتباعا في حياة الرسول . ولكن لم
تنجح هذه الحركات إذ أخذها الرسول في حياته ، وظل
مسيلة وطليحة مظلومين على أمرهما طوال حكم الرسول
للدولة الإسلامية ، مع تظاهرها بالاسلام والطاعة .

أما في اليمن ، فإن عيلة الأسود من قبيلة مذحج .
عن له أن يحرق على قومه ، فتيمة خلق كثير ممن يحبون
الفوضى والأباحية . ويبغضون النظام والسلوك الفاضل .
وبذلك تقوي الاسود وخرج مدعيا النبوة . فأغار على
أطراف الدولة لاسلامية باليمن ، واستطاع أن يخرج عمال
النبي منها حتى أن المرشد العام لاقايم اليمن وحضرموت
يستطيع أن يأمن على نفسه إلا يحوار قبيلة قرية .

والمرشد العام هنا هو معاذ بن جبل الذي أقامه الرسول
معلماً متنقلاً بين جميع مخاليف اليمن وأمصارها ، وقد صاهر
قبيلة السكون ليأمن شمر الاسود حين تقافم شأنه .

على أن خطر هذا المنفى الجديد ، لم يقتصر على اليمن
وحضر موت ، بل تمدهاها إلى الحجاز حيث وصل نفوذه
إلى الطائف بجوار مكة ، وخشى الرسول أن يصل نفوذه
إلى المدينة نفسها .

لذلك اتخذ الرسول الحيلة وسيلة في القضاء على هذا
الدمى الذي أباح الابضاع والاموال ، وأشاع الفساد
في الارض .

كان عامل الرسول على اليمن منذ أسلمت ، بأدام ^(١) أحد
الانبياء ، فلما مات هذا فرق الرسول عمله بين رجال عدة .
واسكنه احتفظ اشهر بن بأدام بامارة صنعاء قصبة اليمن .

فلما كانت حركة الاسود ، قتل شهر بن بأدام أثناء
قتاله مع الاسود . وقد ملك الاسود صنعاء ونزوح امرأته

(١) حذفت في الطبع ، وفي الانوار بأدام .

شهر وهي من الابطناء " ، وقد دبرت هذه المرأة الفارسية
الموتورة من الاسود قتله زوجها شهر بن باذان ، مؤامرة
مع بعض الابطناء ، وتمكن فيروز من قتل الاسود ونحايص
صنماء من شير . وكان ذلك قبيل وفاة الرسول بآيام

غير أن قتل الاسود بقيت على حركته ، فقد
اصطحب هذا الرجل كثيرا من عرب اليمن ، وجند جيشا
كثيفا لغزو البلاد ، حتى ليقال أن فرقة الفرسان بلغت
سبعمئة فارس مجهزة بأحدث الاسلحة في عهده . وسبعمئة
فارس عدد كبير في ذلك الوقت وفي شبه الجزيرة .

ولذلك ظل الخطر على الدولة الاسلامية ماثلا في انبعاث
الاسود وجنوده المدربين حتى تولى الخلافة أبو بكر
في سنة ١١ هـ .

...

١١١ هـ : جماعة التي اتهمت باليمين من العرس منسوبة اليهم الي ايران
قبل الاسلام وقد ضحك العرب على هؤلاء الايرانيين لقب الابد . .

وفي "المحرّم من سنة ١١٩ هـ ضرب الرسول على الناس بيثا
 إلى الشام، وأمر على الجيش مولاه وابن مولاه أسامة بن زيد
 بن حارثة، وأمره الرسول أن يدخل نخوم البقاء والداروم
 من أرض فلسطين، فتجهز الناس، وانضم إلى البيث
 المهاجرون الأولون جميعا، واستعدوا للخروج.

في هذه الأثناء بدأ مرض الرسول صلى الله عليه وسلم
 وشغل المسلمون بحركات مسيلة والأسود، واستأخر
 خروج البيث، حتى لقد كثرت المناقشون في عيب إمارة
 أسامة للمولى النبىء، على كبار المهاجرين، ونقباء الانصار
 وباغت الرءول قائمهم، فغضب ورد عليهم بقوله: "أن قنوا
 في إمارة لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله، وإن كان أبوا خليفا
 الامارة، وإنه لخايق لها، فانفذوا بيث أسامة، لمن الله

(١) هذه رجع الروايات في بدء الاستعداد، ويقال أن
 أن ذلك كان في آخر صفر.

الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد^(١) .

ونظرا لتصميم الرسول على خروج بميث أسامة ، فقد
فصل من المدينة وعسكر بالجرف خارجها . وظل أسامة
وجنده يرقبون حركات المتفبين ، ولا يتعدون عن المدينة
لاشتداد المرض على رسول الله

وبينما الحال على ذلك ، توفي الرسول صلى الله عليه وسلم
واشتدت المفاجعة على المسلمين فنفرق بميث أسامة . وكانت
مسألة السقية وبويع أبو بكر ، تخفف من ألم الكارثة .
وناب المسلمون إلى رشدهم ، ودفن الرسول في اليوم التالي
لوفاته وفي نفس ذلك اليوم أعلن أبو بكر عودة بميث أسامة
إلى مكانه بالجرف كما أمر رسول الله ، واستأذن أسامة لبعض
معاونيه الذين لا يستطيع الاستغناء عن رأيهم ومؤازرتهم
مثل عمر بن الخطاب وبعد أن استعرض الخليفة الجيش

(١) الأمم والملوك ٢٠٣ .

وزوده بتلك النصيحة^(١) الخالدة سار ماشيا في ركاب اسامة
الذي عزم عليه ان يركب أو ينزل هو فيمشيا معا ، ورفض
أبو بكر طلب اسامة قائلا ، والله لا ركبت ولا نزلت وما على
ان أغبر قدمي ساعة في سبيل الله . وبعد أن فصل جيش
أسامة ، توارث الأنبياء من أنحاء الجزيرة يتمرد القبائل
وارتدادها عن الاسلام ، فدعا أبو بكر كبار المسلمين وعرض
عليهم ما وصله من أخبار الأطراف ، وتمرد العرب ، فأشار
غالبية بتركهم حتى تهدأ فودعهم وحدها ، فقال بعضهم إنه

(١) نص النصيحة رواية الطبري ديانها الناس ففوا أو صيكم بمشر
فاحققوها عني لا تخونوا ولا تغفروا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا
صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه
ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا
الا لأكله وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع
فدعوههم ما فرغوا أنفسهم له . وسوف تقدمون على قوم ياتونكم
بآنية فيها الوان الطعام فإذا أكلتم منها شئ بعد شئ فأذكروا اسم الله
عليها وتلقون اقواما قد غصوا اوساط رؤسهم وتركوا حوايا
مثل الحماث فاحققوهم بالسيف خنقا . اندقموا يا أمم الله . افناكم
الله بالظمن والطعن (ص ٣٥ من ١٣٢)

مادام هؤلاء قد رفضوا دفع الزكاة ، وأقروا بالمبادئ
 الأخرى فلاداعي لقتالهم ، ولا سيما وزهرة شباب الجيش
 الاسلامي مع أسامة في مشارف الشام ، وهم مهددون بالفناء
 ان لم يقبلوا عرض المرندين .

بعد ان ابا بكر رفض هذه الآراء وأخذ يناقشهم في
 قتالهم الرسول ، وانه قال أمرت ان تقتل الناس حتى يقولوا
 لا اله الا الله - الحديث .. وان من حق الاسلام الزكاة
 وان الذي يقول لا اله الا الله ويفرق بين الصلاة والزكاة
 هو الذي لا يقولها سواء اذ آمن ببعض وكفر ببعض
 والاسلام كل لا يتجزأ ، فاما ان تعمل به جملة واما ان ترفضه
 جملة ولا تألت لها

ويمثل هذا المنطق افهم ابو بكر كبار المسلمين وضمهم
 الى جانب رأيه واستفاد الجميع بشرح ابي بكر ، وآمنوا بأن
 الرأي الحازم هو الذي رآه وهو قتال المتعدين والمرندين
 حتى يراجعوا لاسلام والطاعة ، أو يفتح الله بينهم وبين
 المتعدين باحق .

ولكن نظرا لان الجيش اكثره خارج المدينة : فان
 ايا بكر اتخذ خطه الدفاع مدة ثقيب اسامة بالجند ، وقد اغار
 في هذه الفترة بعض القبائل على المدينة ولكن اقرروا كيدهم
 الى نحوهم واستطاع ابو بكر بحسن النظام ، ودفعه الدفاع
 واحكامه ان يحل المغيرين الى قوى القصة ، بل انه التقى بهم
 في هذا الموضع وهزمهم هزيمة منكرة وبذلك أبعد الخطر
 قليلا عن المدينة

غير ان ما حدث كان من امثال عبس وذبيان القريبتين
 من المدينة والذين قصدوا السلب والنهب . اما الخطر الحقيق
 فكان ما تلا في الجاهات النائية مثل الحمامة التي قام بها مسيلة
 ابن حبيب الذي جمع حوله اعداد كثيرة من بني حنيفة ثم
 بنى تيم الذين قاذمهم سجاح وانضمت الى جيوش مسيلة
 واصبحت وياها بدا واحدة ضد المسلمين

كذلك كان هناك قبيلة من بني اسد وقد سارت ورواه
 طليحة نبيها الدعي . هذا الى جانب انباغ الاسود العنسي
باليمن - وهؤلاء كثرة هائله وسبق لها ان اقتطعت من
 اموال المسلمين مالا يحصى

وعلى الجملة فان ابا بكر بمهارته وعزمته استطاع ان
يصد خطر المرتدين عن المدينة ، وظل مدافعا قويا حوالى
الشهرين وبعض الشهر

وفى جمادى الاولى من سنة ١١ هـ قتل جيش اسامة الى
المدينة . وقد صاحبه النصر فى حملة الشام . فاستقبله المسلمون
وعلى رأسهم الخليفة ابو بكر ثم رأى الخليفة ان يأخذ الحشد
وقائده فسطا من الراحة . فانابه ابو بكر عنه فى المدينة .
واذن للجيش بفترة استجمام حوالى الاسبوعين . اعلن بعدها
الخليفة التهيئة العامة على الذين اعلنوا العصيان على حكم
المدينة فاجتمع عدد عظيم من المتطوعة ولذلك رأى ابو بكر
ان يضرب المرتدين فى وقت واحد وفى عقر دارهم . فقسم
الجيش الحرفى بلألفى احدى عشر فرقة ، وعين كل فرقة
قائدا . وعين له الجهة التى يتوجه اليها . وكتب عهدا من نسخة
واحدة لجميع القواد^(١) كما اصدر منشورا عاما الى جميع النواحي

(١) لما جاء فى هذا عهدا من ابى بكر خليفة رسول الله
لفلان حين بعثه فيمن بعثه ثم بعد ان يعطى القائد يبين له الطريقة
التي يتبعها فى قتال المرتدين فيقول د ان يعترف اليهم فيدعهم

الى حدث فيها المصيان ^(١) وزود القواد بالنصائح الاسلامية
في ادب الحرب والقتال .

ومن اشتهر القواد الذين اختارهم ابو بكر في قتال المرتدين
خالد بن الوليد .

ووجه ابو بكر الى طلحة بن خويلد الاسدي بزاخة ^(٢)
فاذا فرغ منه قصد مالك بن نويرة بالبطاح

= بداعية الاسلام فان اجابوه امسك عنهم . وان لم يجيبوه شن
قارته عليهم حتى يقرؤا له . ثم يتبشهم بالذي عليهم والذي لهم
فياخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم ، الخ وهي نصيحة ثمينة
راجعها في الطبرى ٣٨ من ٢٢٧

(١) في هذا المنشور دعا ابو بكر المرتدين الى مراجعة الطاعة
والجماعة ووعظهم باقائه وذكرهم بآياته وايمانهم في صراحة وحزم
ان الرسل بشر كسائر البشر . وان الله ارسلهم للاصلاح وانهم
عموتون كما عموت الناس جميعا وان الله الحى القيوم هو وحده
الباقى . ثم قال لهم . انى بعثت اليكم فلانا في جيش من المهاجرين
والانصار التابعين باحسان وامرت ان لا يقاتل احدا ولا يقتله
حتى يدعوه الى داعية الله فن استجاب له واقرب وكف وعمل
صالحا قبل منه واعانه عليه . ومن انى امرت ان يقاتله على ذلك

الطبرى ٣٨ من ٢٢٦

(٢) بزاخة ماء بالقرب من نجد

ومنهم مكرمة بن ابي جهل . وكان أمير الفرقة التي
 سارت الى مسيلمة بالجمامة وأرسل قائد فرقة أخرى في اثر
مكرمة وهو شرحبيل بن حسنة

كذلك كان من قواد ابي بكر المهاجر بن أبي أمية وسار
 الى الاسود العنسي لمعاونة الابطال باليمن

ومن القواد العظيم ايضا حذيفة بن محصين الذي ذهب
 الى همان . وعريفة بن هرثة الذي أمر بالخطأ مهمة اليمن
 على ان يجتمع مع عريفة اذا انتهى أحدها من مهمته قبل
 الآخر . والمسلاة بن الحضرمي الذي توجه الى البحرين .
 وطاريفة بن حاجر وميدان بن وسام وهو اذن . وعمرو بن العاص
 وفرقة الى فصاعة . وخالد بن سعيد . وميدان حربه مشايف
 الشام

وسار هؤلاء القواد بفرقهم الى الجهات التي عينها
 الخليفة وحدثت بينهم وبين المرتدين مواقع كان النصر في
 نهايتها للجيوش الاسلامية وقد ظلت الحروب بين المرتدين

حوالي عام كامل صبر فيه المسلمون وأبلاوا أعظم البلاء،
ونالوا النصر في النهاية

هلى ان نتائج هذه الحروب تقتصر على اخضاع
الاعراب المتمردين وتوحيد شبه الجزيرة تحت حكم المدينة
بل انها كانت لها آثار عظيمة في توسيع رقعة الدولة الاسلامية
ونشر حضارة الاسلام خارج جزيرة العرب
ذلك ان بعض الفياق التي قاتلت في الشمال والشمال
الشرقي وقع احتكاك بينهما وبين الفرس على حدود العراق،
وبينها وبين الروم على الاراضي الشامية التي كانت تدعى بالولاء
للروم الشرفيين

واذا كان هذا التصادم بين المسلمين وبين دولتي ^{تاريخ} الروم والفرس
الفرس والروم قد ادى في النهاية الى انهزام الدولتين الكبيرتين
بل الى انهيار احدهما نهائيا، فان مما لا ريب فيه ان نصر
الدولة الاسلامية عليها قد ادى من ناحية اخرى الى انتشار
المبادئ المحمدية والحضارة الاسلامية خارج شبه الجزيرة.
مما جعل الفرس الوثنيين والروم المسيحيين يفكرون جدوا

في الدين الجديد ، وبحسبون حسابا لاتباعه بعد ان سفروا
بالامس القريب من رسل النبي حيث مزق كسري كتاب
رسول الله لا لبس سوى انه دعاه الى الله وشهادة الحق ،
استكبارا في الارض ، وعلوا فسادا

ولنا عودة الى الحديث عن الفرس والروم عند الكلام
على الفتوحات الاسلامية في عصر الخلفاء الراشدين



الفتوح الاسلامية في عصر الراشدين

سرعة انتصار المسلمين - حال الفرس والروم - حروب
ابي بكر - حروب عمر - حروب عثمان - نتائج هذه الحروب .

ابن ابي سبيك كيف فضي ابو بكر على المرتدين ، واشرفنا
الى ان جيوشه ما كادت تفتي من حربهم حتى وجدت
نفسها مرغمة على الاشتباك بدوائى الفرس والروم نتيجة
وصول جنود الاسلام الى حدود الدولتين

ونريد ان نوضح في هذا الفصل ما حدث من حروب

انتصار
المسلمين
اسبابه

بين المسلمين وجيرانهم في الشماليين الشرقي والقرني لشبه
الجزيرة العربية

يبدأ انفاقيل النخول في وصف الحروب ، نرى ان
نوجز كلمة عن احدى الاسباب التي جعلت النصر من نصيب
المسلمين ، ثم عن حال الفرس والروم لتستطيع ان تقدمون نصر
الاسلام على وجهه التاريخي

(١) واولى تلك الاسباب يجب البحث عنه في هزيمة
القبائل العربية في حركة الردة اذ ان هذه القبائل لم يكن
من المنتظر لها ان نواصل خضوعها للخلافة . وقد هزمت
اهام جيوشها . لذلك رأى الخليفة ان يستغل ذلك الميل القطري
في العرب الى المقاتلة في ناحية الفتوح والتوسع ، ونشر الاسلام
خارج شبه الجزيرة

ولقد برهن العرب في هذه الحروب على شجاعتهم التي
بضرب بها المثل قد وخوا جيوش الدولتين المتفوقتين عليهم
في العدد والصلاح

(٢) على انه كان الى جانب ذلك ما لحق المار تدبير من

التدم والحسرة على ما فرط منهم حين ارتدادهم بعد إسلامهم
فأرادوا أن يكفروا عن خطائهم في حق الله ورسوله بالاستشهاد
في القتال في سبيل الله . ولهذا كان الموت أحب إليهم من
الحياة ومن أحب الموت وهبت له الحياة

(٣) وهناك سبب يتعلق بالمرب انفسهم . فقد كان
هؤلاء محبوسين في عقر جزيرتهم قائلين بصحرائها ومفاوزها
وأرضها الجرداء الا ما شد في اليمن وأمثالها .

وكان شغل القبائل العربية مقصورا على الحروب القبلية
لأنه الأسباب ، وما زادم ضيقا على ضيقهم . وحفر كثيرا
منهم لآل يثد ولده خشية الفقر والموت

فلما جاء الاسلام ، وكرر الوعد بأن يسلم بالفتى والسيادة ،
وحد الجبهة العربية وجمع شملها . ثم وجه أبو بكر هذه القوى
السكينة في القبائل الى ما يعود عليهم بالفتى الوفير ، والسيادة
المطلقة ، ولذلك استتمت العرب في الحروب الفارسية
والرومانية . ولموا نتيجة النصر ، فقويت روحهم المعنوية
وقهروا عدوهم بسهولة لا تتصور

(١) على ان دعوة الاسلام التي قامت على توحيد الله
واسناد كل الامور اليه وحده ووضوح هذه الدعوة . كان
مما فتى في عضد الوثنية التي دان بها الفرس والرومان حتى
في العصر المسيحي . وبذلك كانت مبادئ الاسلام سريعة
الوصول الى قلوب الامم المجاورة

وهذا الى جانب كفالة الاسلام للعدالة المطلقة اسائر
الشعوب التي انتصر عليها . مما جعل دعايا الفرس والروم
يتماقتون على الانضواء تحت راية الخلافة الاسلامية . وذلك
بطبيعة الحال بفضل اولئك الرجال الافاضل الذين وجهوا
تلك الحروب ، ونشر هذه المبادئ ، وكانوا هم اول العاملين
بها المستمسين بنصوصها وروحها

وإذا كانت مبادئ الاسلام وديم المرئيين على ما قرط
منهم من **الاسباب** في سرعة المسلمين في فتح البلاد ،
وتوسعهم في ضم الاقاليم ، فان من عوامل انتصارهم السريع
ما كانت عليه الدولتان الفارسية والرومانية من تفكك وانحلال
نتيجة الحروب الاهلية والخارجية

فهذه دولة الروم - وهي مجاورة في الشمال والغرب
لدولة الاسلام - اناخ عليها الضعف والهزال منذ أوائل القرن
السابع الميلادي ، اذ مضى عهد جستنيان وفتوحه وتنظيماته
على ان خطر الاضمحلال كان ماثلاً حتى في ايام جستنيان
فقد نالت الفوائت على الدولة حتى حشى عليها . فمن فساد
خلق الى آخر سياسي ، وزادت عليها نكبات طبيعية اذ
اجتاح لوباء اقاليم الدولة من الشرق . فكانت الدولة عند ذلك
كأنها سائرة الى الدمار لا ينجيم منه شيء ، فكان حكم فوكاس
حكماً ظالماً قائماً على جيش فاسد ، تسنده عصبة فاسدة
من الاشرار

ولذلك ثار هرقل على فوكاس واستطاع بمؤامرة
محكمة ان ينزله من عرش الامبراطورية ، وان يوجهه ويهدمه
ويبطل به

ولسكن في الوقت الذي البس فيه هرقل تاج
الامبراطورية . كانت دعوة الاسلام قد اوشكت على البروز
وبدت بوادر الانقلاب في افق السياسة الدولية

وحوالي سنة ٦٢٩ م سار هرقل يقصد الحج الى
بيت المقدس في أول الربيع وأراد عند ذلك أن يعيد الصليب
الى محله ، وقد كان استلبه الفرس حينما غلبوا الروم منذ
سنتي ٦١٤ ، ٦١٥ م . وقد استرده هرقل الآن أي حوالي
سنة ٦٢٧ (٦١٦ هـ) وفي هذا التاريخ أرسل الرسول كتبه
ورسله للملك العالم يدعوهم الى اعتناق الاسلام ومبادهه ولم
يسكن ذلك كل ما أحاط بال دولة الرومانية - في ذلك
الوقت - بل أن غارات المتبرزين من الشمال والشرق ، وتفاقم
الخلاقات المنهية المسيحية في طبيعة المسيح ، وسوء الادارة
الرومانية . كل ذلك ساهم في انحلال الرولة الرومانية فوق
تقسيمها الى شقين ، واتسعار القسم الغربي منها الذي
مركزه « روما »

أما الفرس فلم تسكن دوائهم أسعد حالا من الدولة
الرومانية . بل أن عوامل الانحلال قد أخذت تنخر في
كيانها ، وتعمل بزوالها فقد خرج الثأر المصاب بهرام على
كسرى حفيد أنوشروان ، بعد ولايته بأيام قلائل وطرده

من بلاده ، فلقية الامبراطور موريق مرحبا به حتى يقال
 أن كسرى تزوج ابنة الامبراطور الروماني موريق
 على أن المهم في هذا أن حفيد أنوشروان العظيم ،
 وعدو الامبراطور الروماني قد أستعبد الان بدولة معادية
 لدولته . وبجيوشها استرد عرشه المقتصب في دولة الفرس ،
 واتخذ مقناريه من الروم

ومع ذلك فان العداء التقليدية بين الفرس والروم طفر
 من جديد وعادت الحرب بين كسرى أنوشروان وبين
 الروم ، وفي الجزيرة التي كانت ميدان النضال العنيف اتهم
 الفرس ، وضموا إلى أملاهم بلاد الشام وفلسطين ومصر
 وأهدى كسرى الصليب إلى زوجته المسيحية وظل الحكم
 الفارسي يظل تلك الجهات من سنة ٦١٥ إلى سنة ٦٢٧م أي
 مايقرب من اثني عشر سنة

كانت عاصمة الفرس حتى أواخر حياة النبي همدان .
 على شطى المدجلة الشرق والغربي ، وقد بنيت هذه المدينة
 منذ ملك أردشير بن بابك ، ثم غلب ملوك الطوائف

واستفيد بالامر دونهم ، فوحد كلمة الفرس وأدخل في ملكه
العراق وما جاوره من بلاد العرب ، وكان يلقب شاهنشاه
أي ملك الملوك .

ولقد ظلت المدائن عاصمة الدولة حتى ولاية كسرى
أنوشروان المتقدم ذكره .

ثم جاء بعد كسرى هرمز ، ثم كسرى أبرويز وهو الذي
أرسل إليه الرسول كتابه فزقه . ودعا عليه الرسول
واستجاب الله دعوة نبيه إذ قام عليه ابنه شيرويه فقتله
واستلم ملكه ، ثم مات هذا وتولى المرثى بنه اردشير
وهو طفل صغير ، فقام بعض القوادق لالامبراطور الطفل
وتولى الملك من بعده .

واسكن هذا الامبراطور المنتصب في يهنأ بالمرش
ضوبلا . اذ اجتمع أمراء البيت المالكي واجمعوا أمرا على قتله
فقتل لاربعين يوما من تملكه . وبعدها تولى عرش الفرس
اباطرة ضماق بسبب اختلافهم وتفرقهم . وهكذا حتى كان
آخرهم بزجير بن شهریار الذي زالت في أيامه الدولة الفارسية

واضيفت إلى الخلافة الاسلامية في خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه

حروب ابى بكر الخارجية

قبل أن نتحدث عن حروب ابى بكر مع الفرس
والروح نرى ان نوجز كلمة عن الرجل حتى نستجلى صورة
عن القائد الاعلى لجيوش الاسلام الطاهرة
من هو ابى بكر :

ولد أبو بكر لسنتين من عام الفيل ، وأبو ما بوقعافتمن
بني نهم بن مرة بن كعب ابن لؤى من قريش ، وأمه أم الخير
بنت صخر بن عامر من بني نهم بن مرة من قريش كذلك
فهو قرشي أباً وأماً .

شب أبو بكر على الاخلاق الفاضلة ، وكان ذا يسار
يشتغل بالتجارة وينفق ماله في مساعدة الفقراء والمعوزين
وكان محترماً لدى قريش كلها لكرمه وشجاعته ، وغناه
وشرف نفسه ، وحسبه فيهم وكان مصافياً للرسول قبل

النبوة ، فلما شرف الله محمدا بالرسالة سارع الى الايمان به فكان
أول رجل آمن بالله ورسوله ، ولما تمكن له كسوة في إسلامه
وقد سماه الرسول « الصديق » .

تزوج أبو بكر في الجاهلية فتيلة من بني عامر من قريش
وتزوج أم رومان من بني غنم بن مالك بن كنانة ، وقد ولدت
له الاولى أسماء زوجة الزبير وعبد الله ، وانجبت له الثانية
عبد الرحمن ، وعائشة أم المؤمنين وتزوج في الاسلام أسماء
بنت عميس أرملة جعفر بن أبي طالب فولدت له محمدا الذي
تربى في حجر علي بن أبي طالب .

كذلك تزوج في الاسلام حبيبة بنت خازجة فولدت له
أم كلثوم أما عن أخلاقه . فقد كانت آية في العظمة والجلال
وكنى من ذلك لقب الصديق الذي عرف به منذ أسلم حتى
لقى الله يريد أن من أبرز صفات الصديق مضاء العزيمة ، وقوة
الارادة وخصوصا فيما يقتضيه الحق ، وقد ظهرت هذه
الخصائص في حروب الردة التي شملت شبه جزيرة العرب
هذا الحجاز ، ففضى عليها أبو بكر بعزيمة لا تليق ، ووحده

جزيرة العرب كعهدهما منذ أواخر عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومنشأ الحروب مع الفرس والروم في خلافة أبي بكر في الواقع - احتكاك المسلمين بحيرانهم بسبب حركة الردة

مع الفرس في سنة ١١ هـ وبيننا الملاء بن الحضرمي قائد لواء البحرين ، يشتغل باخضاع المردة في تلك الناحية ، انضم إلى الحبشة قائد عظيم من سادة العرب وهو المشي بن حارثة فسام في تمجيد نصر الملاء على أهل البحرين .

ومنا ثم للمسلمين النصر في البحرين ، زحف المشي بفرقة البالبة ثمانية آلاف جندي ، صوب الشمال حتى وصل إلى نهر الفرات ، فأرسل إليه أبو بكر كتاب تشجيع بأن يواصل زحفه والتقى المشي بالقبائل الفاطنة مصبات الفرات وكانت تفوق جيشه في العدد والعدة ، لذلك اتبع خطة الدفاع عن مراكزه وأخطر المدينة بأمره طالبا المدد من الخليفة . فأرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد الذي كان قريبا منه ، أن يسير إلى المشي لتجديده ، فسار خالد ومنع جيشه إلى جيش المشي ، وقسم

الجيش الى فرق . تولى هو احداها والمثنى على فرقة أخرى
وعياض بن غنم على الفرقة الثالثة .

وقد رابط خالد على مصب الفرات ، وأرسل عياض
ابن غنم الى خلدة لفتحها وبعث المثنى الى بلدة الابله على مصب
الفرات لفتحها وضمها الى الدولة الاسلامية . وقد حاصر عياض
دومة الجندل مدة .

وفي المحرم من سنة ١٢ هـ (٦٣٣ م) وصل الى خالد بن
الوليد خطاب تعيينه قائدا عاما على الجبهة الفارسية . فسار الى بلدة
الحمير الواقعة على الحدود بين بلاد العرب وأملاك الفرس
وكان معه عشرة آلاف جندي ، فضم اليه جند المثنى وقسمها
الى ثلاث فرق . جعل على احداها عدى بن حاتم ، وعلى
أخرى المثنى المتقدم . ثم كتب الى هرمز عامل الفرس على
كلدة والفرات كتابا يطالب منه التسول في الاسلام ، أو دفع
الجزية عن يد وهو صاغر فاتصل هرمز بملك الفرس وأخبره
بكتاب خالد ، وأخذ في الوقت نفسه يتجهز للقتال والدفاع
عن بلاده ، فاعجله خالد على القتال ، وبدأ باليارزة ، فصرح

خالد هرمرز قائد الجيش ، وبذلك وقعت الهزيمة على الفرس ،
 ففروا من وجه المسلمين ، ومن بقي من أهل البلاد خضعوا
 للمسلمين وقبلوا حسابهم ودفع الجزية التي فرضها
 عليهم المسلمون .

أما الحيرة فلم تلبث عقب مناوشة هافيفة ان أذعن
 بالتسليم ، وحذا حذوها دهاقين كلدة ، فابقام الخليفة على
 أراضيهم مشروطا عليهم دفع الجزية كما أقر الفلاحين
 على حالتهم .

غير أن استيلاء المسلمين على الحيرة أدى بحكومة
 الفرس أن تدرك الخطر المحدق بها ، فعشدت جيتا جرارا
 وأنفذت لاجلاء المسلمين عن كلدة والجزيرة ، وفي هذه الاثناء
 أرسل الخليفة خالد بن الوليد على رأس قوة كبيرة الى الشام
 كما أرسل الشئ الذي لم يلبث ان سحب صرا كره الامامية وعاد
 مسرعا الى المدينة ليحدث الخليفة في أمر تعزيز قوته ، فوجده
 على فراش الموت ، والى هنا وصل بنا المطاف الى جمادى
 الآخرة من سنة ١٣ هـ وفي ذلك التاريخ توفي أبو بكر الخليفة

الأول لرسول الله ، واستخاف بعده عمر بن الخطاب الذي
انقب بأمير المؤمنين لأول مرة في الدولة الإسلامية .

وقيل أن تغادر هذا الميدان من الجبهة الفارسية ، ترى
أن تقول كلمة انصاف لمسلك خالد بن الوليد القائد
العام لجيوشها .

وقد كان خالد من الرجال الممتازين بين العرب ، فقد
استطاع أن يحدد حركة الردة في أكثر من ميدان ، واخضع
معظم أقاليم العراق ، والجزيرة وما جاورها في بضعة عشر
شهوراً فقط . كما أن سياسته نحو البلاد المفتوحة ، وما أتبعه
من عدل وانصاف مكن للمسلمين في هذه الجهات وهامو
ذا كتاب عهد لاهل الخيرة :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما عاهد عليه خالد بن
الوليد ، عديا وعمرا ابني عدي ، وعمرو بن عبدالمسيح وأياس
ابن قبيصة . وم نقباء أهل الخيرة ورؤسـاء بذلك أهل الخيرة
وأمرؤهم به وعاهدوهم على مائة وأسمين ألف درهم (١٩٠ درهم)
تقبل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا رهبتهم وقسميهم

إلا من كان منهم على غير ذي يد حبيسا عن الدنيا بآراكا لها
وعلى المنعة ، وإن لم ينعمهم فلا شيء عليهم حتى ينعمهم . وإن
غدروا بضعل أو قول فالذمة منهم برثة ، وكتب في شهر ربيع
الآخر من سنة ١٢ هـ كذلك لم ينعم خالد أن يعطي عهدا
لبعض القرى حينما طلب أهلها ذلك مثل يانيقبا . وباروسما ،
وكذلك مع كل من ضاب ذلك من دهاقين البلاد .

وأن مما يستحق الذكر أن خالد أبعد استولى على الأجزاء
السابقة من بلاد الفرس ، وضبطها وولى عليها الأمراء والعبيدة
وأبقى بها مسالحي حمايتها أرسل إلى ملك الفرس كتابا ، وإلى
المرازية آخر . وقال في الأول :

من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس . أما بعد . فالحمد لله
الذي حل نظامكم ووهن كيدكم وفرق كائنكم ، ولولا بفعال
ذلك بكم لسكان شرا لكم . فادخلوا في أمرنا ندعكم في
أرضكم ، ونجوزكم إلى غيركم ، وإلا كان ذلك وأنتم كادهون
على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة .

وقال في كتاب المرازية : بسم الله الرحمن الرحيم .

من خالد بن الوليد الى مرزبة فرس أما بعد. فسلموا انفسهم
والا فاعتقدوا منى القمة وأدوا الجزية والا فقد جشتم بقوم
يحبون الموت كما يحبون شرب الخمر.

وعلى اجملة. فان الحرب في هذه الجبهة تكون بالسهولة
التي قد تتصور فان الفرس من الامم القديمة ذات الحضارة
والقوة. وكانت تدافع عن تقاليدها بحرارة. بيد أن خالد
كان متفوقا بالمهارة والقوة الحربية مما عوضه عن الكثرة
والاسلحة. واستطاع بذلك أن يهزم الفرس منذ الجولة الاولى
وأن يكسب الجولات التالية.

وبهذا فتح المسلمون كلدة والخيرة واستولوا على بانقيا
وباروسما وأليس. وأوقفوا بالفرس على نهر التي تلك الموقعة
التي غنم منها جيش خالد مقام كثيرة.

كذلك انتصر المسلمون في معركة الوجبة^(١)، وأليس^(٢)
وفرات بادقلى على مصبات الفرات، والانباروعين التمرودومة

(١) الوجبة ندى كسكر من البر (٢) بلدة على نهر الفرات

الجنادل وكلها مواضع بأمر اق.

كذلك استطاع هذا القائد العبقري أن يركز فتوح
الاسلام في دلتا الفرات ، وأن يعلى كفته في تلك الجهات التي
دانت لاتباع زرادشت قرونا من الزمن .

وفي ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٢ هـ اختلس خالد هدأة
النضال قليلا وانسل إلى الحجاز حاجا شاكرا أنعم الله على
ذلك النصر الذي توجه به هامة الاسلام في أرض كسرى .
وموطن المجوس ، فأدى نسكه وعاد وكان له بغداد ميسرة
القتال ، حتى أن الخليفة نفسه لم يعلم على التحقيق خبر حجه
إلا بعد برهة حيث عتب عليه في ذلك .

وأما ما ينسب إلى ذلك القائد من قتله مالك بن نويرة
وتزوجه من زوجته فإن الخطيب العمري جده يسير . وجالية
المسألة كما حققها ابن الأثير في تاريخه أن خلافا بعد أن انتهى
من طليعة بزاخة توجه نحو البطاح موطن بني بربوع ،
وسيدم مالك بن نويرة الذي كان قد تبع المرتدين وشجع
سجاسا ووادعها . ثم ندم وراجع الاسلام . وغشيتهم خيل خالد

وهم على تلك الحال ولم يعلم بهم خالد. فلما رأى بنو ربوع
 تفرقوا في شعاب واديهم وخشوا صولة خالد، ولأن خالدا
 لم يعلم بنو قبيلهم. أمر بان يحبسوا حتى يرى فيهم رغبة، ثم أن
 الجو كان باردا شديدا الرطوبة فتأذى مشادي خالد بان يدق
 المسلمون أسراهم. وكانت عبارة أذفاء الأسرى بلغة كنانة
 يراد منها القتل. بخلاف لغة فريش التي تفسر الذف. بمعنى
 الممروف وهو إشعال النار لازلة البرد، وذلك ما قصد اليه
 خالد يريد أن البربوعيين ومنهم مالك - أسوة حظههم - كان
 الحراس عليهم من كنانة فإنا سمعوا نداء خالد حتى أسرعوا
 بقتل أسراهم فلما بلغت خالد الأنباء الأسرى وفيهم مالك غضب
 وتألم ثم أراد أن يواسي زوجة مالك فزوجها وضمها إلي كنفه
 يريد أنه حدث بعد أن قتل مالك ومن معه أن كان
 أبو قتادة - وهو من صحابة الرسول الأواين - حاضرا
 فاحتج على خالد واتهمه بالغدر فغضب منه خالد، وانتهره
 فذهب أبو قتادة مخاضيا حتى أتى المدينة والتقى بالخليفة وعمر
 ابن الخطاب وقص عليهما قصة خالد مع الأسرى وكيف

قتل هؤلاء بعد أن شهدوا شهادة الحق ، وأقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة ، فقال عمر لأبي بكر إن سيف خالد فيه رهنق
وأكثر عليه في ذلك . فقال أبو بكر هيه يا عمر . فأول
فاخطأ فارفع أسانك عن خالد ، فاني لا أنسيم سيفاسله الله
على الكافرين . وودى أبو بكر ماله وكتب إلى خالد أن
يقدم عليه ففعل ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز في
عمامته أسهما . فقام إليه عمر فترعها وحطمها وقال له : أرتأه
فقلت أمراً مسلماً ثم تزوت على امرأته والله لا رجعتك
باحجارك . وخالد لا يكلمه . بعض أن رأى أبي بكر مثله ،
ودخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره
وتجاوز عنه وعنفه في التزويج للذي كانت عليه العرب من
كراهته أيام الحرب . فخرج خالد وعمر جالس فقال : هلم
إلى يا ابن أم سلمة ، فمدرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه
فلم يكلمه^(١) .

هذه هي القصة كما تبين من رواية ابن الأثير ، وهي

(١) انظر ابن الأثير ٢٢٠ ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

المعقولة في نظرنا . أما حلة عمر على خالد ، فلمعها نشأت
 من الاداعات التي وصات إلى المدينة ، والتي لم يقصدها
 أصحابها مجرد الحق ، بل كانت مشوبة بالاعتقال وعدم
 التثبت من الحقيقة . على أن من الحق أن نصرح لكم بأن خالداً
 لم يكن موقفاً حين حبس بنى يربوع وقد راجعوا الاسلام .
 وإن اختلفت أقوال ثقاته في إظهار اليربوعيين لشعار الدين
 إذ يكفي أن يشهد مثل أبي قتادة بأذانهم وصلاتهم حتى يخلي
 سبيلهم ، ثم بعد حبس القوم لاستجلاء حقيقتهم لم يكن
 ينبغى أن يكون إعلان إكرام الأسرى والمسجونين بمبارات
 غامضة يتأولها الناس كما يشتهون مما سبب أرافة دماء
 هؤلاء القوم .

وأخيراً فإن ما يزيد الضغط على خالد من مثل عمر
 أن يخرج خالد على تقليد عربي مجمم عليه وهو أن لا يتزوج
 الجندى أو القائد في ميدان القتال ، وقد خالف خالد هذه
 العادة المريبة وتزوج في ميدان الحرب ، وليته تزوج من

غير من قتل أزواجهم خطأ . بل عمد إلى امرأة سيد القتل
خطأ وتزوجها فزاد النار استعاراً .

ولذلك ظل عمر بفرك القائد على عمل خالد طوال عهد
أبي بكر ، فوائته الفرصة بعد توليته حتى سارع بعزل خالد
من قيادة الجند وولاهما أبا عبيدة عامر بن الجراح .

ومهما يكن من شيء . فإن ذلك لا يقدح في كفاية خالد
المسكوبة ، ولا في عبقرية كفاية مجرب ، وإن نال من
بعيد من ودد الرجل ، وودعه كما ظن عمر .

ومما سبق نرى أن أهم الفتوحات التي كسبها المسلمون
في الميدان الفارسي أو الجبهة الشرقية إنما كانت بسبب
(النهج الحربي الدقيق الذي وضعه خالد بن الوليد وهو القائد
العام لتلك الجبهة ، ثم لبراعة ضباط الفياق الذين عملوا تحت
إمرة خالد مثل النسي بن حارثة ، وعياض بن غنم وغيرهما .

مع الروم أما حروب المسلمين مع الروم في خلافة أبي بكر ،
أو الميدان الغربي الذي انتصر فيه الخليفة وضم إلى دولته
أجناد الشام وقلع عين ووصلت حدودا لدولة إلى القلزم على

حدود مصر . فان أهم قوادسه في هذا الميدان هم عمرو بن العاص
وأبو عبيدة بن الجراح ، وبزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل
ابن حسنة ، ثم معاوية بن أبي سفيان ويقود فرقة الأمداد .
ثم . وأول اشتباك للمسلمين مع الروم كان على أثر الحملة
التأديبية التي قادها أمية بن زيد إلى بادية الشام ، فأنارت
هذه الحملة حفيظة القبائل الضاربة في هذه النواحي وقام
هؤلاء الأعراب يثارون لأخوانهم الذين تربطهم بهم أوشاج
الدم والقرابة .

وكانت البلاد الواقعة غربي الجزيرة وكعدة خاضعة
يومئذ للدولة الرومانية الشرقية ، وكان للرومان في تلك
البلاد معاقل حصينة تحرسها حاميات قوية كقبطرية على
على البحر ، وأريحا ، والقدس وعفلاط وعزة وبافا . وعكا
وصور . كذلك كان يقع في شمالي فلسطين ، سوريا وأبر الشام
التي من أهم مدنها دمشق وحمص وحلب وأنطاكية ، وكانت
تحرسها كلها حاميات رومانية مجهزة بأحدث الأسلحة إذ ذاك
وفي ذلك الميدان منى المسلمون بهزيمة فادحة في أول

حملة أرسلها أبو بكر بقيادة خالد بن سعيد الذي لم يكن من
المهارة بحيث برزاح الخليفة إلى خطته وتصرفاته الصامة
ولذلك لم يلبث أن عزله ، ولم يعد عن فتح الشام بل أخذ
يتجهز جادا في لقاء الروم بهذه الجهات . فجمع أبو بكر
جيشا بلغت عدته ٣٥٠٠٠ خمسة وثلاثين ألف مقاتل ولى
عليهم أربعة فواد ، ووجههم إلى بلاد عينها لهم .

فهذا أبو عبيدة بفود فرقة ، ويتوجه إلى حمص ،
ومقره الجابية . وأسنده إلى عمرو بن العاص قيادة فيلق
فلسطين وهدفه فتح هذه الناحية .

وأمر يزيد بن أبي سفيان على جيش دمشق ، كما عقد
الشرح على جيش الأردن واتيح هذه الجيوش الأربع
يعدد من الجنود كاحتياض للجيش العامل ، وأسنده رئاسته
إلى معاوية بن سفيان .

زحف عمرو بن العاص على فلسطين السفلى مهددا
الحرّة وبيت المقدس ، بينما أخذت الجيوش الثلاثة الأخرى

(١) برمسيرة

(٢) دمشق

(٣) مصر

(٤) فلسطين

(٥) الأردن

(٦) دمشق

(٧) جيش

(٨) دمشق

(٩) دمشق

(١٠) دمشق

(١١) دمشق

(١٢) دمشق

(١٣) دمشق

(١٤) دمشق

تناوى. بصرى^(١) ودمشق وطبرية. أيدان مجموع جيش المسلمين بدافلة لا يمكنه الصمود لجيش الروم الذي بلغت عدته حوالى ٢٤٠.٠٠٠ جندي مجهزين بالسلاح والذخيرة ، وقد كان من السهل على هرقل إمبراطور الدولة الرومانية أن يجمع هذا المدد. إذ كان يدين لحكمه عدا آسيا الصغرى الشام وفينيقيـا وفلسطين ومصر وأفريقية.

ولذلك لما علم بزحف العرب أسرع إلى حمص وحشد فيها أربع فرق كبرى. أما القواد المسلمون فلم يلبثوا أن أفضوا أن حشدوا قواتهم في صعيد واحد في «جولان» بالقرب من نهر اليرموك الذى ينبع من جبال حوران ، ويصب في نهر الأردن على بضعة أميال من بحيرة طبرية ، ثم يستدير على بعد ثلاثين ميلا من التقائه بنهر الأردن ليكون شبه دائرة تحتضن سهلا فسيحا منبسطا يصلح لأن يكون معسكرا لجيش كبير. كذلك بالنهر انحناء يؤدى إلى

(١) هي دمشق ثم هي الحالية. وبصرى تناوى سبب مرور النهر عليها ومقارنته لبصرى الشام.

فضاء مدطح يسمى « الواقصة » .

واقدر أي الروم في ذلك الموضع المتقدم معسكرا طيبيا
محصنا خشدوا جيوشهم فيه دون أن يحسبوا حسابا للمسلمين
الذين ما كانوا يتعمرون بخفا عدوهم حتى عبروا النهر وعسكروا
بجانب الوادي الضيق الذي يقع على استدارته ، وأخذ
الجيش أن يترقبان حوالى الشهرين حتى مل الخليفة الانتظار
فأرسل خالد بن الوليد الذي كان في كعدة بالميدان الشرقي ،
فأسرع خالد إلى الشام : ومعه حوالى خمسة آلاف انضمت
إلى الجيوش الإسلامية في هذه النواحي فبلغ جيش المسلمين
حوالى ٤٠٠٠٠ أربعين ألف جندي : وفي صباح آخر يوم
من جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ (٦٣٤ م) وقعت المركة
الفاصلة بين الفريقين . شغل العرب على أعدادهم حملة
صادقة وظلوا يوقعون بهم حتى أفتوا البعض وأغرفوا
البعض الآخر في النهر . وبهذا تم النصر للمسلمين وفتحوا
جنوبي الشام ، وهذه الموقعة تسمى موقعة الرمك .
وهنا حدثت وفاة أبي بكر . الذي يقال أن خبر الوفاة

وصلت إلى قائد المعسكر قبل إنشأ القتال فكتمه حتى
 كسب المعركة ، ثم أذاعه ، وكان القائد حتى هذه
 اللحظة خالد بن الوليد ، وسبب كتمان الوفاة أن الرسول
 الذي جاء بالخبر كان يحمل معه خطاب عزل من القيادة العامة
 لخالد ، وإسناد إمارة الجيش إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح
 وكان من المصاحبة في رأي خالد أن يظل هو بنفسه الخطبة
 الحربية التي وضعها لهذه المعركة ، ثم يسلم الأمر إلى القائد
 الجديد ولذلك ترى أنه بمجرد أن تنتهي المعركة يسرع خالد
 إلى أبي عبيدة ويسلمه جواب القيادة ، ويشدح هوى الجيش
 كفرد عادي .

ويشول أبي عبيدة قيادة الريدان الغربي نكون قد
 ودعنا عهد أبي بكر وأصبحنا في خلافة عمر الذي ازدهرت
 الفتوحات في عهده كما سترى بعده .

هذا هو القائد
 خالد بن الوليد

و تذييل ،

حول المؤامرة الفارسية

ارتقى عثمان الخلافة بذلك الشكل الطريف الذي أشار به
عمر حينما ألقوا عليه في تعيين خليفة على الناس . أن كان
لا يرى أن يستخلف : فإن رسول الله لم يستخلف ، وما كان
ممر بالذي يعدل في الناس رسول الله أحداً .

لذلك رأينا عند ما طعن « رضى الله عنه » بالمسجد
الجامع بالمدينة بأمر بعض^(١) خاصته من المسلمين أن ينظر
من قتله حتى إذا عرف أن الذي^(٢) « نولى فلك من » علوج
فارس بحمد الله أن لم يحمل منيته على يد واحد من المسلمين
بحاجه يوم القيامة ، ثم يطلب منه أن يستخلف على الناس
فيحييهم بأنه « إن لا يستخلف فإن رسول الله لم يستخلف
وهو خير الناس ، وإن يستخلف فقد عهد إليه من قبل
من هو خير منه - في رأيه - وهو أبو بكر رضى الله عنه .

(١) عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما .

(٢) غلام المفيرة بن شعبة المجوسى .

ثم كثر عليه الطلب في تعيين خليفة من بعده ، وإنه لو كان
الانسان داعيا لتطيع من الابل أو من الغنم ، ما حل له أن
يدعها بدون داع " وكأنا عمر كان يتنازعه عاملان مختلفان
فانه ليرى في رسول الله خير أسوة ، ومع ذلك لم يعين خليفة
على الناس ، وبين يديه أبو بكر حب رسول الله ، وأفضل
الناس من بعده ، وقد سلف أن عهد إليه ولكن بعد أن
استشار الناس ، واملأهم إلى رضام لعمر الى أنها حيرة
لا يخرج منها إلا بحسن توفيق من الله . رسول الله لم
يستخلف . هذا حق .

ولكن . (ألا يكون ذلك لأنه رسول الله . ولا
ينطق عن الهوى ، فلو أنه عين شخصا أو جماعة لكانت
لهؤلاء دولة ، ولترك لذلك الأفضل من الناس ، وقالوا
إن هذا عينه رسول الله ، والذي يخالفه يعصى الله ورسوله .
ثم شكل الخلافة ، أهو وحى من الله . يجب على الناس

أن لا يعدوا ما يرسمه الرسول . لو كان . . . أم هو من
شئون الدنيا ، وخصائص الأيام - فلكل مقام مقال ، ولكل
زمان دولة ورجال - فقد تكون طريقة أبي بكر وعمر خيرا
للناس في الوقت الذي كان فيه أبو بكر وعمر ، وقد يبتدع
الناس ضرائق من الاستخلاف ربما كان فيه خير للناس ،
وبقيا للمسلمين ، وقد يبدعون فيها عن أبي بكر وعمر حسبا
برونه من المصلحة العامة للإسلام والمسلمين .

ثم أبو بكر - وهو من نعرف في تقواه وورعه ،
وعقيدته ودينه أن يخالف رسول الله في أمر يكون العصيان في
فعله ، والخير في تركه . هذا ما لن يكون من وجل كأي بكر
يعرفه عمر ويظهر إلى أنه لن يعتمد مخالفة رسول الله بحال
ما ، بل يعرفه أكثر من ذلك منذ قبض رسول الله ، وذهل
عمر وثبت أبو بكر . فثبت الناس ورجعوا إلى الحق ، وإلى
قول أبي بكر .

ثم منذ حركة الارتداد العربية إثر موت رسول الله
وقد كان الناس جميعا في جانب وأبو بكر في جانب ، وفي

وفي النهاية رجع الناس إلى رأي أبي بكر فكان هو عين
اليقين : ودعامة الحق الذي مكن للمسلمين فيما بعد
في الأرض .

ما نطق ذلك كله إلا وقد فكر فيه عمر ، وقلبه من
جميع وجوهه ، وشق مناحيه ، ثم برز ذلك أخيرا في عهده
إلى أولئك الستة الذين قال رسول الله أنهم من أهل الجنة
والذين قبض رسول الله وهو عنهم راض^(١) فانهم حتى مقتل
عمر لم يبدلوا تبديلا .

وأخيرا انتخب عثمان من هؤلاء الستة ، وبعد أن أخذ
عليه أن يعمل بكتاب الله ، وسنة رسوله ، وسنة النبيين
من قبله^(٢) . أما تفصيل الطريقة التي اختبر بها عثمان فاننا
نجمله في ما يلي :

بعد أن رأى عمرو وسمع من حال الناس وحديثهم أنهم
يريدون أن يوصى بالخلافة لبعض المسلمين ، وأنه إن لم

(١) تيسير الوصول لابن الربيع الوبيدي ج ٢ ص ٥٢ .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٧ .

يفعل فقد تكون فتنة ، وإن علم عهد الرسول لأحد من
الناس ، لأنه صاحب الشريعة ، وعمله سنة واجبة الاتباع
وأيضاً لعل الله سبحانه لم يوح إليه أن يستخلف بل : الحق
أنه لم يوح إليه . وإلا لاستخلف اطاعة لأمر الله تعالى
وعلى ذلك فقد عهد أبو بكر إلى عمر خشيبة فتنة الناس ، ولهذا
أيضاً آثار عمر بيعة واحد من هؤلاء الستة : علي ، وعثمان ،
وطليحة ، والزبير وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي
وقاص ، ووضع لهم نظاماً للبيعة حتى لا يختلفوا ، وتنشق
عصا المسلمين ، وم لا يزالون في رباع دولهم ومبتدأ
أمرهم . قال عمر :

ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين
نوفى رسول الله وهو عنهم راض فسمى علياً وعثمان ، والزبير
وطليحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعداً رضي الله عنهم
وقال يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من هذا الأمر
شيء . - كهيئة التعزية له - فن أصابت الأمانة سعداً فذاك
وإلا فليستن به أيكم ما أمر ، فاني لم أعزله من عجز ولا

خيانة . فلما فرغ من دفن عمر . اجتمع هؤلاء ، الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم . فقال الزبير قد جعلت أمري إلى علي ، وقال طلحة قد جعلت أمري إلى عثمان ، وقال سعد قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف . فقال عبد الرحمن : أيكما نبرأ من هذا الأمر فنجعل إليه ، والله عليه والاسلام . لينظرون أفضلهم في نفسه . فأسكت الشيخان . فقال عبد الرحمن : أفتجعلونه إلى والله على والاسلام أن لا آلو عن أفضلكم . قالوا نعم . فأخذ بيد أحدهما . فقال : لك من قرابة رسول (صلى الله عليه وسلم) والقدم في الاسلام . ما قد علمت . فأله عليك لن أمرتك لتعدلن ، ولئن أمرت عثمان لتسمعن وانطينن . ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك . فلما أخذ الميثاق قال : أرفع يدك باعثمان فبايعه وبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه ^(١) ، قال الذهبي ^(٢) : اشتور أهل الحل

(١) تيسير الوصول ج ٢ ص ٥٢ . المطبعة السلطانية بمصر

(٢) دول الاسلام للذهبي ج ١ ص ٩ مطبعة دائرة المعارف

النظامية مدينة حيدر آباد الدكن

والمقد بعد عمر ثلاثة أيام ، وانفقوا على مياينة عثمان بن عفان
 الأموى - رضى الله عنه وهو من بنى عم النبي (صلى الله عليه وسلم)
 « ويقال له ذو النورين . لأنه فوجى النبي (صلى الله عليه وسلم) بابنتيه .
 رقية ، وأم كلثوم . رضى الله عنهما . فسار بسيرة عمه
 ستة أعوام » ^(١)

قال ابن الأثير ^(٢) « فلما دفن عمر جمع المقداد أهل
 الشورى في بيت المسور بن مخرمة ، وقيل في بيت المال ،
 وقيل في حجرة عائشة باذنهم ، وطلعة غائب ، وأمروا أبا طلحة
 أن يحجبهم وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا
 بالباب . فخصبهما سعد وأقامهما . وقال تريدان أن تقولان حضرننا
 وكنا في أهل الشورى . فتنافس القوم في الأمر ، وكثر
 فيهم الكلام فقال أبو طلحة . أنا كنت لأن تدفموها أخوف
 مني لأن تتنافسوها . والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم

(١) نفس المصادر السابق

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزرى ج ٣ ص ٣٦ ، ٣٧

على الأيام الثلاثة التي أمرهم أن يجلس في بيتي فانظروا تصنعون
وفي الحق أن بيعة عثمان بن عفان - رضى الله عنه -
كانت غريبة في شكلها وهيئتها كما أن كثيرا من الناس كانوا
يرون أحقية غيره بها من أمثال علي - رضى الله عنه - وقد
الصفوا من أجل ذلك كثيرا من الهم للنيل من بيعته . فقد
قيل أن عبد الرحمن بن عوف حابي عثمان ، لصهره وقرابته
ولتكون له من بعده وقد دفع المقصد عفيرته قبل أن
يفرغ الناس من البيعة بالاحتجاج على تصرف عبد الرحمن
بصرف الامارة عن علي وآل محمد (صلى الله عليه وسلم) الى بنى أمية وعبد
شمس ذلك والبيعة لم تتم بعده ، والامارة لم تكسب يسلم بها علي
عثمان . ولعل الناس لحظوا في عثمان فرط حياته ، وبروز لينة
مما لا يتناسب والبيئة العربية اذ ذاك .

بل لعله فوق ذلك . كانت فكرة التشيع لآل البيت
وأنهم ظلموا غير مرة . قد تركت في نفوس كثير من
القوم ، وصادفت هوى من نفوسهم فأرادوا أن يعطوا

الامر أهله ، والقدس بلربها - وأنه ليقين لنا ذلك من
حديث المقداد وغيره أثناء بيعة عثمان رضى الله عنه .

(وإذن فلم يكن استغاب عثمان باجماع من القوم ، وإنما
كان هوى لاغلب الناس ، مكنت له ظروف خارجية ، وأبدى
فعل عبد الرحمن بن عوف في خلق نفسه من الامارة ، وان
قلم بها بتفويض من اخوانه حتى يختار لها الأصلح من بينهم
بعد استئثافه منهم ، ومن أنه - عوف لا يفضل ذا رحم لرحمه
ولا صهرا لصهره ، وإنه سيفعل الموافق لمقتضى الحق والعدل
والتقوى والاسلام.)

ولكن هل فعل ابن عوف ما أخذ نفسه بأن يفعله
ذلك ما استعابله فيما يأتي وعلى ضوء ما سلف أن قررناه .

بعد أن انضم الزبير الى علي وسعد الى عبد الرحمن
وطلحة^(١) الى عثمان رأى عبد الرحمن - رضى الله عنه - أن

(١) كذا في تيسير الوصول ، ولكن ابن الاثير الجزري
في الكامل يذكر ان طلحة كان غائبا ولم يحضر الا بعد المبايعة

بحكم مادة الخلاف . فرض عليهم اقتراحا وهو . من يخلع
منهم نفسه من الامارة . على أن تكون له مدة الأيام التي
حددها عمر لهم ، حتى يختار خليفة من بينهم ، لا باليوم جهدا
في تحري العدل والحق ، ونبد الجهل والعصبية ، ثم رأينا
يتقابل مع المسلمين ، ويناقشهم في عثمان وعلي ، وشعر
رأيهم فيمن يصلح منها للامارة ، وهكذا مضى ابن عوف
حيادا فيما أخذ به نفسه من تعرف إرادة الأمة ، ومن نوله
سلطانها ، وتمتعه تفضيلها من ذينك الرجلين ذوي الاسبقية
والقدم في الهجرة والاسلام .

هذا . ولم يمتص الايام الثلاثة إلا ونرى عبدالرحمن يجمع
الناس ثم يأخذ بيد علي ، ويقول له . عليك عهد الله وميثاقه
لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده
قال علي . أرجو أن أفعل فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي . ودعا
هم أن فقال له مثل ما قال لعلي . فقال نعم نعمل فرفع

لعثمان ، وعليه ظم يذكر القصة التي فيها الضمام بعض أهل
الثوري الى بعض .

عبد الرحمن ، رأسه الى سقف المسجد ويده في يد عثمان .
 فقال اللهم أسمع واشهد . اللهم اني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك
 في رقة عثمان . فبايعه . فقال علي . ليس هذا أول يوم تظاهروا
 فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ؛ والله
 ما وليت عثمان إلا ليرد الامر اليك ، والله كل يوم هو في
 شأن ؛ فقال عبد الرحمن يا علي لا نجعل على نفسك حجة
 وسبيلا ؛ فخرج علي وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله ^(١) .

فذلك ما كان بين عبد الرحمن بن عوف وبين الرشيعين
 للخلافة من اخوانه وزملائه أهل الشورى ، ومنه يبد وأن
 عليا - رضي الله عنه - كان غير مطمئن الى عبد الرحمن بن
 عوف . أن كان يرى نفسه أولى الناس بهذا الامر ، ولكنه
 وافق علي رغم منه ، لانه كما قال للمباس عمه رضي الله عنه .
 أنه يكره الخلاف ^(٢) - وأما جمهور المسلمين من غير أهل

(١) ابن الاثير ج ٣

(٢) ابن الاثير ج ٣ وتيسير الوصول ج ٢ والطبري في تاريخ

الامم والملوك

الشورى : فالظاهر أن كثيراً منهم كان فلاناً من نتيجة هذا
الانتخاب وبدا ذلك جلياً في حديث المقداد إبان البيعة اعمان
فقد قال المقداد لعبد الرحمن . أما والله لقد تركته . بقصد
علياً . وأنه من الذين يفضون بالحق وبه يعدلون . فقال
عبد الرحمن : يا مقداد . والله لقد اجتهدت للمسلمين . قال
إن كنت أردت الله . فأثابك الله ثواب الحسين فقال
المقداد . ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبهم
إني لا أعجب من قرئت إنهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أن
رجلاً أقضى بالعدل ولا أعلم منه . أما والله لو أجيد أعوانا
عليه . فقال عبد الرحمن . يا مقداد اتق الله فإني خائف
عليك الفتنة ^(١)

ذلك . وإن هذه الصائرة على قصرها بين المقداد بن
الاسود . وبين عبد الرحمن بن عوف لتدل دلالة واضحة على
ما كان يبعث بنفوس القوم من أفكار وآراء . ظهرت فيما

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣

بعد، (وانسبت في خلافة عثمان رضى الله عنه. عندما وجدت
مرتما خصبيا من لبن عثمان . وحياته الجلم الذى لمسه فيه
الرسول نفسه حتى قال : الا استحيى ممن تستحي منه
اللائكة، (٢٣)

ثم أمر آخر تعيينه من محاورة العباس لعل . ومفاجأة
أبي طاحنة لها وهما يتعادان - والخلاصة الحديث أن
العباس بن عبد المطلب اتى عليا رضى الله عنه بعد أن خرج
أهل الشورى لأول اجتماع لهم . فقال على . عدت عنا ،
فقال وما علمك ، فقال قرن بى عثمان ، وقال . كونوا مع
الاكثر فان رضى رجلا من رجلا ، ورجلا من رجلا ، فكونوا
مع الذين فيهم عبد الرحمن فسمد لا يخالف ابن عمه ، وعبد
الرحمن صهر عثمان . لا يختلفون فيوليا أحدهما الآخر ، فلو
كان الاخران معى لم يشفعاني ، فقال له العباس لم أرفعك في
شيء إلا رجعت الى مستأخرا لما أكره . أشرت عليك عند

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسأله فيمن هذا
 الأمر فأبيت فأشرت عليك بعد وفاته ان تاجل الأمر فأبيت
 وأشرت عليك حين سمالك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم
 فأبيت . احفظ عني واحده . كل ما عرض عليك القوم . فقل
 لا إلا أن يولوك . واحذر هؤلاء الرهط . فانهم لا يرحون
 بدفعونا عن هذا الأمر حتى يقوم لئسابه غيرنا ، وأنهم الله
 لا يناله إلا بشر لا ينفع معه خير فقال علي . أما أن بنى عثمان
 لا ذكره ما أنى ، ولئن مات ليتداولونها بينهم ، ولئن فعلوا
 لتجدني حيث يكرهون . ثم غثل .

حلفت برب الراقصات عتية

غدون خفافا فابتدون المحصيا

ليعتليا رهط ابن بمر فارسا

نجيما بنو السداع وردا مصليا

والتفت على فرأى أبا طلحة ؛ فكره مكانه . فقال

أبو طلحة لن تراع أبا الحسن .

ونستطيع ان نستنتج من هذه المحاوره بين العباس

وعلى عدة أمور كان لها أثر فيها بعد في مقتل عثمان رضي الله عنه ، بل وقبيل نجم عن ذلك من نتائج وخيمة ، سمرت نار الحروب الأهلية شهورا واعدوا ما بين الذين كانوا بالامس الدابر كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى . فمن ذلك ان بذرة التشيع لال البيت كانت قد اختتمت في انفس كثير من عظماء الصحابة أمثال المقداد بن الاسود الذي جعله عمر بمنزلة الرقيب على هؤلاء المرشحين لعرش الخلافة ، والذي لم يكدرى الميامة لعثمان حتى يحتاج على تصرف ابن عوف . وانه تخطى عليا بفريق حق وكذلك أبو طلحة الذي وكل اليه عمران يستعمل القوة في أرغام المرشحين على انتخاب واحد منهم في المدة التي عينت لهم ، وانهم اذا اختلفوا ولم ينتخبوا واحدا من بينهم كان أبو طلحة في حل من أهدار دماء المخالف منهم . هذا الرجل الذي كان بهذه المنزلة رأيتاه بعطف على علي وآل البيت فعند ما كان المباس يتحدث وعلياً أطلع عليهما أبو طلحة فذكر مكانه على . فطمأنه أبو طلحة . وصارحه الحب والتفضيل

من هذه العبارة : لن نراع أبا الحسن ^(١) ، مع أن عليا كان
يتحدث والعباس في منهي الصراحة منتقدا السياسة
للناس في تفضيلهم غيرهم عليهم مع أنهم أحق الناس بهذا
الامر . ومعلنا أنه سوف يتأمر بالانغضاء عن هفوات
الناس هذه المرة أيضا . ولكنه سوف يخالفهم في المستقبل
إذا أصرروا على هذه السياسة التي وضعت الأمور في غير
نصابها ومن هذه الأمور أيضا . أن عليا رضى الله عنه كان
يشمر بأنه قد ظلم . وخصوصا في بيعة الشورى . فإن عمر
نفسه قد صرح بأنه كان يود أن يمهّد إلى الرجل الذي هو
أحرى أن يحملهم على الطريق . وهو علي بن أبي طالب لولا أنه
أنه عشى عليه فرأى حول علي برا وفاجرا . فعدل عن البيعة
له خاصة وجعلها شورى بين النفر الذين يمتدحونهم دون
القوم وخبرهم والذين هم في نظره لا يبدلون الخبيث بالطيب
ولو قل الطيب وكثر الخبيث . فوق أن رسول الله قال أنهم
من أهل الجنة :

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٦

وإذا كان بعض الناس يميل إلى أن علياً رضي الله عنه ، لم
 يخلعهم في البيعة لواحد من الثلاثة ، فإن ذلك لم يكن إلا لما
 صرح به على نفسه من أنه فقط - بكرة الخلاف - والا
 فإنه كان يرى أنه أحق الناس بهذا الأمر وأن الذين يصرفونها
 عنه إنما كانوا مخطين في هذا الصرف ، ولو بعض الخطأ -
 واليك رد على عبد الرحمن عندما قبل هذا خلع نفسه
 من الخلافة قال عبد الرحمن : أيكم يخرج منها نفسه ، يتقلدها
 على أن يوليها أفضلكم ، فلم يجبه أحد ، فقال فأتانا انزع منها
 فقال عيان أنا أول من رضي ، فقال القوم : قد رضينا ، وعلى
 ساكت ، فقال : ما تقول يا أبا الحسن ، قال أعطني موثقاً
 لتؤثرن الحق ، ولا تتبع الهوى ، ولا تخص ذا رحم ، ولا
 تألوا الأمة نصعاً ، فقال أعطوني موثيقكم على أن نكونوا
 معي على من بدل وغير ، وأن ترضوا من اخترت لكم ، وعلى
 ميثاق الله أن لا أخص ذا رحم لرحمه ولا الوالمسلمين فأخذ
 منهم ميثاقاً وأعطانهم مثله . فقال لعل تقول أني أحق من حضر
 بهذا الأمر لقرايتك وسابقتك ، أحسن أترك في الدين

ولم تبعد في نفسك . ولكن أرايت لو صرف هذا الأمر
عنك فلم تحضر من كنت ترى من هؤلاء الرهط الحق به .
قال عثمان . وخلا بمنزلة فقال . تقول شيخ من بني عبد مناف
وصهر رسول الله ﷺ وابن عمه ولي سابقه وفضل ، فإن
يصرف هذا الأمر عني . ولكنه لو لم تحضر أي هؤلاء
الرهط الحق به . قال . على :

فانت ترى ان عليا كرم الله وجهه لا يتمحل لاجابة
على ابن عوف لا بالانجاب ولا بالسلب . وإنما يلتزم السكوت
في الوقت الذي يعيب عثمان بقوله « أنا أول من رضى »
ثم يردفه القوم بأنهم أيضا رضوا ولكن عليا لا يزال مصرا
على التزام الصمت حتى يوجه اليه عبدالرحمن الحديث مرة أخرى
فيجيب علي بأنه يوافق ، ولكن علي أن يعطيه المهد والميثاق
أن لا يتبع الهوى ، وأن لا يؤثر ذارحم لرحمه ، ولا صهرا
لصهره واذن فعلى كان — كما قلنا — غير مطمئن الى واحد
من القوم لا يرى أنه وحده الحق بهذا الامر من سائر الناس .
وأنه ظلم ، وبني عليه ، واليك حديثا آخر دار بين سعد بن

ابن وقاص . وبين علي ، بوضع لنا ناحية أخرى من النواحي التي
 كان يرى فيها على أنه أحق الناس باختلافه من سواء : لقي
 علي بعد ما قال له : اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام . أسألك
 برحم ابني هذا من رسول الله ﷺ وبرحم عمي حمزة منك
 أن تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظييراً ، وهذا قبل أن يدور
 ابن عوف على الناس ليعرف اتجاهاتهم نحو علي وعثمان :
 هذه جملة موجزة لبيان الكيفية التي انتخب بها عثمان لأمانة
 المسلمين وما آحاط بها من عوامل ، وما بدا فيها من أغراض
 ونيات ، وفيها أيضاً بيان موجز لصورة العصر الذي حدثت
 فيه هذه البيعة ، وعرض لبعض الشخصيات التي كان لها أثر
 بين فيما بعد في الثورة ، وفي الحروب الأهلية بين علي
 ومعاوية ، وبين علي وأصحاب الجمل ، ولا بد من تسجيل
 صورة ولو مختصرة لبعض هذه الشخصيات العثمانية والمלוية
 التي لعبت دوراً مهماً في انتخاب عثمان ، وفي بيعة علي ،
 واليك ما حدث بالمسجد يوم البيعة لعثمان :
 بعد أن جمع عبد الرحمن الرهط من أهل الشورى ،

وأهل المسابقة والفضل من المهاجرين والأنصار وأمرأه
الاجناد . قال :

أيها الناس إن الناس قد اجمعوا على أن يرجع أهل
الأمصار إلى أمصارهم . فأشيروا على فقال : عمار أن اردت
أن لا يختلف المسلمون فبائع عليا ، فقال المقداد ابن الأسود
صدق عمار . أن بايعت عليا فلنا صممنا وأطعنا ، وقال ابن أبي
سرح . أن اردت أن لا يختلف قريش فبائع عثمان ، فقال
عبد الله بن ربيعة . صدقت . أن بايعت عثمان فلنا صممنا وأطعنا
فتيسر بن أبي سرح فقال عمار مني كنت تنصع المسلمين ،
فتكلم بنو هاشم بنو أمية فقال عمار . أيها الناس . إن الله
أكرمنا بنبيه وأعزنا بدينه . فاني نصر فون هذا الأمر عن
أهل بيت نبيكم . فقال رجل من بني مخروم لقد عدوت طورك
يا ابن سمية . وما أنت وتأمير قريش أنفسها . فقال سعد بن
أبي وقاص . يا عبد الرحمن افرغ قبل أن يفتش الناس فقال
عبد الرحمن . إني قد نظرت وشاورت . فلا نجعان أيها
الرمط على أنفسكم سبيلا : -

وإذا كنا لا نحب أن نسهب في التعليق على هذا الذي
حدث بين عمار ومن على شكلته ، وبين ابن أبي سرح ومن
يتعزب له ، فإما ذلك . فقط لأننا نجل جميع الأصحاب الذين
رشفوا من معين الوحي النبوي . أن نزل قدم بمد ثبوتها ،
مهما اشتد بينهم خطب الخلاف ، وتفاقم عندهم سمير الاضغان
لذلك سوف نمر - على كل ما حدث بين صحابة رسول
الله ﷺ من الكرام فندجل ما يستحق القجيل - من
غير تعليق كبير - وننبذ - يستوجب التنبذ - من دون
أن نحفر أو نستبين ، أجلا لا أصدر الاسلام واكبارا لسلف
العامة من أهل الإيمان :

وبعد ان استقر الامر لعثمان بن عفان - رضي الله
عنه - التفت الى شؤون الدولة الاسلامية ، فبدأ بمسألة عبيد
الله ابن عمر وقد كان قتل قاتل أبيه أبا أوادة (١) ، وقتل
جفينة ، وقتل الهرمزان ، فلما ضربه بالسيف . قال :

(١) يروي ابن الاثير انه بعد أن قتل نفرا من الصحابة
بعد عمر . نحر نفسه بخنجره . ولكن هذه رواية الضري

لا اله الا الله : فلما قتل هؤلاء أخذهم سعد بن ابى وقاص
 وحيداً في داره ، وأخذ سيفه واحضره عند عثمان ، وكان
 عبيد الله يقول : والله لا فتلن رجلاً من شرك في دم ابى
 يعرض بالمهاجرين والانصار . اما السيب الذي من اجله قتل
 عبيد الله هؤلاء جميعاً . مع انه : يباشر قتل عمر منهم غير
 ابى اؤاؤة ، فقد قيل — ان عبيد الرحمن بن ابى بكر قال غداة
 قتل عمر — رأيت عشيبة أمس : الهرمزان ، وثباً اؤاؤة ،
 وجفينة . وقد يتباحثون فلما رأوني ناروا وسقط منهم خنجر
 له رأسان نصابه في وسطه . وهو الخنجر الذي قتل به عمر
 فلما سمع ابن عمر ذلك غضب وقتل هؤلاء جميعاً فلما ولى
 عثمان . قال أشيروا على في هذا الرجل الذي فتن في الاسلام
 ما فتن فقال على رمى الله عنه — أرى أن تقتله ، فقال بعض
 المهاجرين . قتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم ، فقال عمرو
 بن العاص . ان الله قد اعفك ان يكون هذا الحدث ولك على
 المسلمين سلطان ، فقال عثمان . انواليه . وقد جعلتها دية
 واحتملها في مالي .

على انه قيل في سبب اطلاق عبيد الله قصة أخرى
 يرونها ابن الاثير (١) وهي : قال الفاديان ابن الهرمزان : كانت
 العجم بالندبة يستروح بمضها الى بعض . فر فيروز ابو
 لؤلؤة بالهرمزان : ومعه خنجر له رأسان . فتناوله منه وقال
 ما تصنع به : قل : استعين به . فرآه رجل . فلما أصيب عمر .
 قال : رأيت الهرمزان دفعه الى فيروز . فأقبل عبيد الله فقتله
 فلما ولي عديان امكنى منه . فخرجت به ، وما في الأرض
 احد الا معي . الا انهم يطالبون الى فيه فقاتلهم . الى قتله
 قالوا نعم ، وسبوا عبيد الله . قتل لهم افاكم . منعة . قالوا
 لا وسبوه فتركه الله ولهم . فحملوني . فوالله ما بلغت المنزل
 الا على رؤوس الناس .

هاتان روايتان أوردهم الثورخون في قصة اطلاق
 عبيد الله بن عمر . وعدم قتله في ثلاثة اوراق دماءهم من غير

حق فظاهر ، اللهم ألا فيروزا - على فرض حياته بعد طعن
عمر - ولو كان في قتاله حق له ، لما كان ذلك اليه وإتاهو
الى من ^(١) وكل اليه اقامة الحدود ، وتأمين السبل ، والزام
كل حده ، وطوره . لا جرم أن تمسك على بقتل عبيد الله
وظل على رأيه ^(٢) ذلك حتى ولي الخلافة ، فطلب عبيد الله
فهرب منه الى معاوية - رضى الله عنه

(١) قال ابو حنيفة ان القصاص لا يستوفى الا بالسيف
يقصد ان الامام أو نائبه هو الذي ينفذ حكم القصاص لا الافراد
وامن ذلك هو المناسيب مع احكام الشريعة الاسلامية ، ولا
لكان الامر فوضى و الشريعة تأمر بالنظام

(٢) تمسك على بعد ذلك دليل على ان عثمان لم يحكم به
وهو صاحب الامر على المسلمين . فيكون حكمة واحب النفاذ
ولا يصح الرجوع فيه لمن رأى بعده من الائمة ، وقد يكون
حدث ذلك مجرد تهمة التوراة . ودفع المفسدة مقدما على حب
المصلحة - اذ لا ضرر ولا ضرار ، وما رأى على عدو لانه
ان قد هدأت الفتنة بهذا الامر طالب عبيد الله بن عمر ، فلذلك
هرب وآوا معاوية ، وظل عنده حتى قتل في الحرب بينه وبين
على في صفين =

ذلك ... ولا بد من المقارنة بين الروايتين : وما تلقى
كل منهما من شماع على مقتل عمر ، ثم ايتبين من خلالهما
من قصد اتهام الهرمزان وجفينة ، ومشاركتهم ما لغيره أو
نيرتهما ، ونفى التآمر عنهما

أما في الرواية التي تثبت الأهمة على الهرمزان وجفينة ،
فإنها تحكى عن بعض الثقات الذين لا غرض لهم من ورائها

هذا وأعل علينا كان يرى خطأ عثمان في هذا الحكم . وأنه
حكم في رأيه بغير ما أنزل الله ، لأن عبيد الله قتل جماعة بعضهم
أظهر إسلامه وقت قتله وهو الهرمزان ، والآخر أقل ما فيه أنه
له ذمة في أعناق المسلمين ، ما ينبغي أن تخفى ولا حجة له في قتلهم
في أعلى - رضى الله عنه - أن يتجاوز عن مثل هذا الدم الذي
أريق من غير حقة ، وهو يعلم أن مناعة الخليفة في هذا غير
واحدة ، إذ لا مناعة لمخلوق في معصية الخالق ، وقد قال الله سبحانه
« والكم في القصص حياة يأتون الالساب ، وقال « النفس
بالنفس » الآية فلعل كل الحق - وأثمان شيء من العذر ،
ونفرت الله لعثمان ورضى الله عن علي ، وعن سائر السابقين الأولين
من المهاجرين والأنصار والذين تبعين لهم بإحسان

وهو شاهد عدل لما رأى ، وقد أخبر بأنه رأى هؤلاء الثلاثة
يتناجون ومعههم شيء بينهم قلمسا رأوه ناروا فسقط منهم
خنجر له رأسان وهو الذى قتل به عمر رضى الله عنه

نعم — قد يقال . ماذا لم يلتقط عبد الرحمن هذا الخنجر
ماداموا قد ناروا لرؤيته ، ولم يثبتوا مكانهم . مما يدل على أنهم
شارعون فى أمر رعا قلب الدولة الاسلامية ، وامن عبد الرحمن
كان خالى الذهن من مثل هذه المؤامرات ، فهو ام يعمد امثاله
كثيرا فى البيئـة الاسلامية ، كما انه كان يستبعد مثل هذه
الافكار أن تسكن فى رؤوس نفر اذلة بين قوم سادة أعزة
لو أنهم فعلوا انقطعوا اربابا ، ولمزقوا بددا

وأما فى الرواية ، الأخرى . فلها . مع اثباتها اصل
الاجماع . نسفى أن يكون بقصد التآمر منهم جميعا ، وإنما هو
استرواح بعض المعجم الى بعض ، ولم يكن إمساك الهرمزان
بالخنجر للثبـت من قيامه بمهمة صاحبه ، وإنما هو مجرد
الاستطلاع فقط ، كما أن جفينة ايضا كان جاهلا كل الجاهل بما
حدث حتى قتله عبيد الله وهذا فوق أن فى الرواية الأخيرة

كثيرا من الشكف - ونواحي من اللف والدوران - على
 انها تروى عن ابن الهرمزان نفسه ، وكأنه أن يريد ينق عن أبيه
 نهمة القادر على رئيس المسلمين خشية منه وحذرا - لذلك
 يقول ابن الأثير . والاول اصح في مطلق عبيد الله . لان
 عليا بعد ذلك طلبه فهرب منه الى معاوية بن ابي سفيان
 على أن أمرين آخرين لا بد من تنفيذهما قبل مغادرة
 هذه المسألة : وهما

١ - هل حدث قتل عبيد الله بهذا المفروفت وفاة عمر
 أو بعدها ٢ - هل اترك كعب الاحبار في هذه الواقعة الخطيرة
 ولماذا لا يتعرض له ابن عمر كما تعرض لصاحبيه ، مع أن
 النهمة له أظهر

١ - اما عن المسألة الأولى . فانه ليغيب الينا . أن القتل
 لهؤلاء الفرس إنما حدث بعد موت عمر . فانتا لا نجد رأيا له
 رضي الله عنه . في مثل هذه المسألة على خطورتها . على أن
 الهرمزان ليس بالشخصية المجهولة . فهو قد كان من عظماء
 فارس . وهو أيضا لا يزال موضع اجلال عمر ، يستشيرهم

ويأخذ برأيه في كثير من مشاكل الفرس الداخلية وغيرها
وجفينة ظهير السعد بن مالك

على أننا اذا قطعنا النظر عن كل اعتبار آخر ، نرى
أن الهرمزان عندما ضربة بن عمر ، يقول : لا اله الا الله ،
فهمنى ذلك أنه أسلم ، وأنه لا يحل لعبيد الله قتله - الا بحق
ولا حجة على تلوث الهرمزان بدم عمر ، فأتى للمسلمين -
وهم لم ينأبهم الزمن بعد عن صاحب الشريعة - ان يروا مثل
هذا الدم يراق بغير حقه ، ولا يقتضون من القتال ، وسبها عمر
فعمر إذن لم يكن موجودا وقت قتل الهرمزان وصاحبه -
أو صاحبيه والا لرايتما قتله موقفا آخر يقتاسب ومواقفه
الحاسمة في تاريخ الاسلام ثم انه يوجد هناك دليل آخر يؤخذ
ضمننا من حديث المؤرخين بصدد هذه المسألة - فقد روي :
أن عبيد الله لما قتل الهرمزان وجفينة وأبا لؤلؤة (١) أيضا
لحقه سعد بن وقاص ، فقبض عليه وحبسه وأخذ منه السيف

(١) هذا على القول بعدم انتحاره بخنجره وقت الحادث

وأحضره الى عمان^(١)

واذن فلم يحضره سجد الى عمر ، ولم يحضره كذلك الى
أهل الشورى جميعا وإنما أحضره الى عمان . والى عمان بالذات .
وأظنك تعلم ان عمان إنما تولى الخلافة بعد موت عمر بأيام .
ولذلك رأينا عمان يأمر بإحضار عبيد الله . ويستشير كبار
الصحابة . ثم يرفض الرأي القائل بقتل عبيد الله . ويحمل
عوض الفصاح دية يحتملها في ماله . حيث هو صاحب
الامر . والمهم من ذلك كله . أن عمر لم يكن حين قتل ابنه
عبيد الله بعض رجال من فارس .

أما عن مسألة كعب الأحمار ، واشتراكه في الأمر
على عمر . فإن من المسير على من يقرأ قصته باهتمام أن يخلى
طرفه من هذه التهمة ؛ وأن يصح ما يروى عنه مع عمر ، فإنه
يكون - بلا ريب - من أبطال هذه المؤامرة الخطيرة بل
لهذه الروح الفعالة في حبكها وأحكامها . واليك خلاصة
هذه القصة .

بمد حوار وجديز بين عمر - رضى الله عنه - وبين
 فيروز غلام المغيرة بن شعبة ، لما كيا الى عمر كثرة خراجه
 وقلة ابراده - ثم معسرحا بكارت فهم منها عمر روح التهديد
 والوعيد ، وان كان لا يعبأ بثلها ومثل المصريح بها ، انظروا
 الناس وقتئذ - بمد هذا غدا اليه كعب الاحبار ، وقال له .
 يا امير المؤمنين انت ميت بمد ثلاث فاعهد ، فقال له عمر ،
 وما عرفك هذا ، فيقول كعب انه يجد هذا في الشوراة ، ثم
 يكرر كعب الاحبار هذه النصيحة لمر مرتين آخرين ،
 وفي اليوم الثالث تقع التجربة الشنيعة من فيروز غلام المغيرة
 ثم يدخل كعب على عمر فيمن يدخل من الناس ، في يسكاد
 عمر براه حتى يقول .

توعدني كعب ثلاثا اعددها

ولاشك ان الفول ما قال لي كعب

وما بي حذار الموت اني ميت

ولكن حذار الذنب يقيعه الذنب

هذه هي القصة كما يرويها المؤرخون ، والقريب المدهش

أن تروى على أنها من الامور المادية التي يسوغها العقل ،
ولا يذوق عنها المنطق ولكن لو اننا سلطنا عليها شيئا من
عصارة الافكار الاسلامية ، ووضعناها في ميزان النقد
والتحليل التاريخي لتبين لنا انها موضوعة من أساسها ، مقولة
على السنة صائدا كادت للاسلام ، وبغته عوجا .

ذلك . وان الناظر في هذه القصة ، أو بالحرى الاسطورة
يرى فيها . أن عمر كان رجلا من رجال التصوف في الايام
الاخيرة . يصدق كل ما يلقى اليه ولا يأتى أن يستمع الى
حديث الخيب ، وان بوافق التحدث به ، ونصور القصة لنا
كعب الاحبار بصورة الرجل الناسك الزاهد الخائف على
الاسلام والمسلمين في شخص أميرهم ورئيسهم كما انها تدعو
من شرف خفي الى الايمان بكتب اليهودية ، وتقديس هذه
التوراة التي يستند اليها الاحبار من اخوان كعب ووهب ،
وبن السوداء ، وان ذكر الكتاب أن التوراة والانجيل لحقا
اكتبديل والتغيير ، وان اليهود بنوع خاص يحرفون الكلم عن
مواضعه ، وانهم من شر خلق الله انسانا وان الله سبحانه قد

غضب عليهم ولعنهم ، وجعل منهم القرود والخنازير ، ومن
عبد الطاغوت

فمن غير الممكن عقلا ان نسام بهذه القصة على علائها ؛
بل . أما ان يكون الكذب ضلع في هذه المؤامرة وأراد تبرئة
نفسه . فقال ذلك ؛ فلم يعمد عمر ان يما . تحقيرا لشأنه .
على أن يكون الثابت هو . فقط أصل القصة ؛ لا هذا الخضم
من الاكاذيب والمقتربات التي حشيت بها القصة .

وأما ان تكون القصة مختلفة ؛ والغرض منها . هو الغاية
من كل ما وضعه اليهود والنصارى ومن لف لفهم . من اقامت
الناس عن الاسلام . بادخال الخرافات فيه . والنيل من
الشخصيات التي قام عليها . وتصوير القادة الذين نشروا بصور
خيالية تشتمل من سماع الحديث عنها والمقبول الصافية .
والالاباب الناضجة .

(ولما عودت لتوفية الموضوع في فرصة مستقبله ان شاء الله)

ثم القسم الاول (١) وبأية الاول (ب)

وأوله : حروب عمر رضي الله عنه

صفحة	سطر	الخط	المصواب
٣	١١	واو لثك هم الرجال	واو لثك الرجال
٤	٨	مجردة من الحق	مجردة إلا من الحق (المقدمة)
٦	١١	نشاورون	يتشاورون (الخلافه)
٨	٨	منوفى	مرفى (بيت الخليفة)
٩	٧	تعابته	تعالجه (بيت الخليفة)
١٦	١١	يا حسن	يا حسن
١٧	١	ونقص	ونقص
١٧	٤	لا اعتذار	لا اعتذر
١٧	١١	مسامحوا في	سامحوا في
٢٠	١	الزمر	الزمن
٢١	١٣	التخصيص	التخصيص
٢١	١٦	والبيت الحرام	البيت الحرام
٢٢	٦	التخصيص	التخصيص
٢٠	١	الحرب	الحرب (حاشية)
٢٠	١٦	الاذارة	الادارة
٢٣	٨	فعل	فعل
٢٣	١٢	نظروا	نظروهم
٢٣	١٣	لينظروا	لينظروا

صحيحة	سطر	الخط	العواب
٤٣	١٣	من أول	أول من
٥٠	٩	يعيد هذا	يعيد هذا
٥٠	١٣	سيجزي	سيجزي
٥١	١٤	وحدث	أو حدث
٥٨		الربيع (حاشيته)	الديبع (حاشية)

ويقاس عليها اشباهها من الاخطاء الأخرى اذ رغم كثرة
المراجعة والتصحيح لم تفو على معالجة السرعة التي استعملناها
لاخراج هذا الجزء . وما نرفقنا الا بالله

الخلافة الإسلامية

القسم الأول

ب

عصر الراشدين

بقلم

عبد الحميد نجيب

المدرس بكلية أصول الدين

وفق النهج المقرر على السنة الثانية بالسلكية

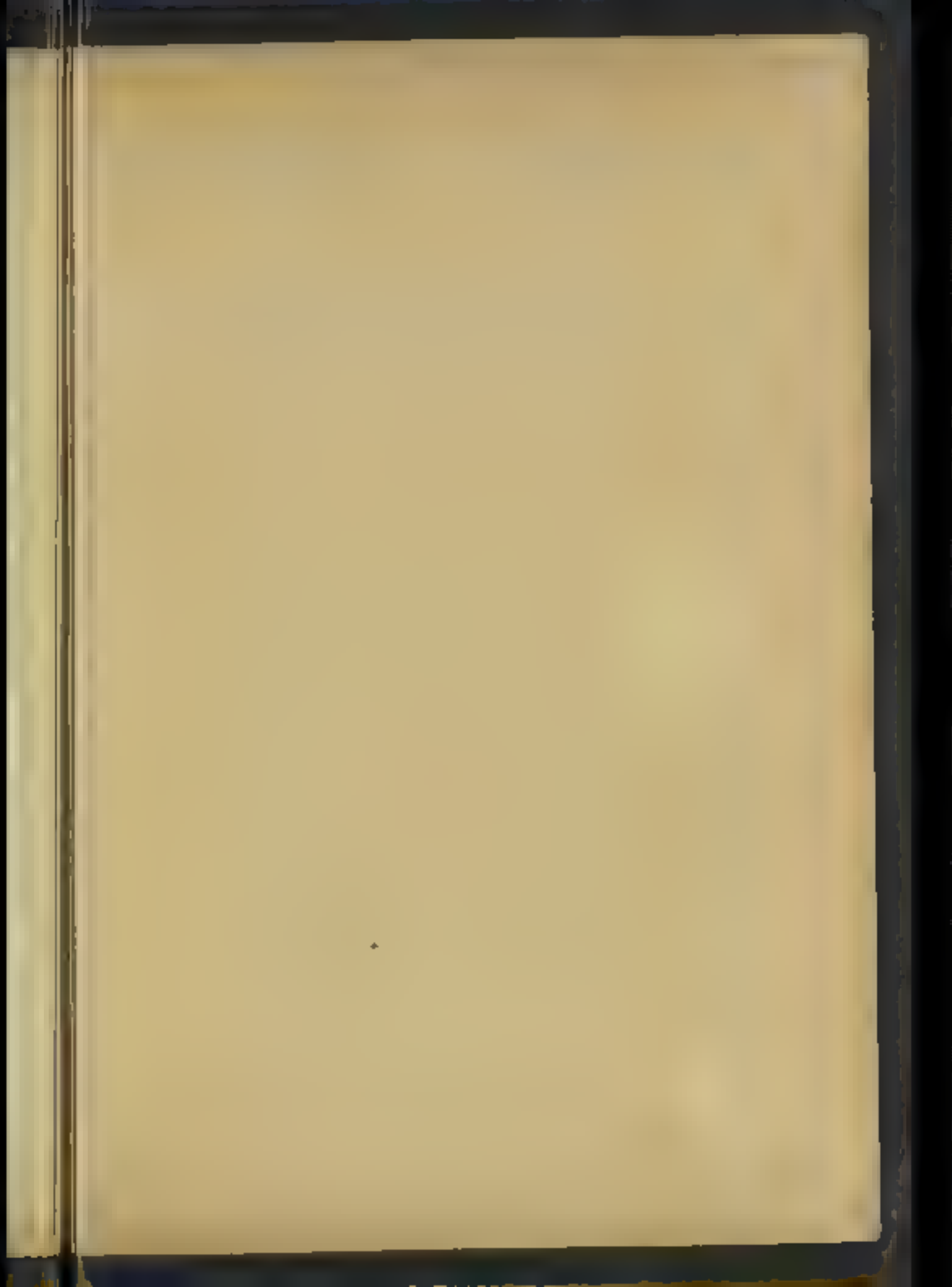
١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

يطلب من

مكتبة محمود أفندي توفيق

بالسكة الجديدة بمصر



موضوعات الكتاب

المجلد	الموضوع
١	افتتاح
٣	حروب عمر
٥	تعريف بعمر
٥	سياسة عمر
٧	الحرب في الميدان الشرقي
٩	موقعة البويب
١١	د القادسية
١٩	محاورة زذجرد المسلمين
٣٥	د رسم وربي
٤٤	بناء البصرة والكوفة
٥٤	الحرب في الميدان الغربي
٥٧	موقعة اليرموك
٦٠	د أجنادين

ب

المصنف	الموضوع
٩٧	فتح مصر
٨٣	المقوفى وعجاجة
٩٢	تسليم الحصن (بابلون)
٩٥	تغييرات حدثت بعد الفتح
٩٧	مكتبة الاسكندرية
١٠٨	شروط صلح الاسكندرية
١٠٩	فتح ليبيا والسواحل
١١٠	وصف مصر لمرو
١١٣	عماد بن عفان
١١٥	الفتوحات في عهده
١٢١	أم نتائج الحروب الاسلامية
١٢٩	ثورة الامصار في عهد عثمان وقتله
١٣٢	بيعة على
١٣٥	تذييل - على بن أبي طالب
د	ترجمة على

الموضوع	الصفحة
خطبته بعد البيعة	١٣٦
أول أعماله	١٣٧
الجل - صفين	١٣٨
التحكيم ونتيجته	١٤٠
مقتل علي وتولية الحسن	١٤١
تنازل الحسن الى معاوية	١٤٢
الخطأ والصواب	١٤٣

بسم الرحمن الرحيم

هذه بقية القسم الاول من مذكرات الخلفاء الراشدين
وفق المنهج المقرر على كلية أصول الدين وسمناها بعنوان
(القسم الاول ب من الخلافة الاسلامية)

لقد كنا نحب أن نخرج هذا الكتاب بشكل أحسن ،
وطبعة أجمل ، وأسهاب أوفى ، وأن نضع له من الصور المناسبة
والغرائط الملائمة ما يجدر بأعظم عصر وضع للناس وسلف
للدولة الاسلامية العظمى .

ولكن تألب الظروف في أعقاب حرب ضروس ،
وصحوبة الطبع والنشر وما إليهما كل ذلك جعلنا نسرع
بتسجيل هذه المذكرات العاجلة للنفع الخاص راجين أن
توفق لإخراجها قريباً في صورة تليق بالنفع العام .

ولقد كتبنا في هذا الجزء من الحروب باديئين بمهد عمر
الذي انتهى إليه في الجزء الاول من القسم الاول وقد عالجنا

هذا اللون من التاريخ علاجاً نظن أنه جديد ومفيد .

ذلك أن معالجة الحروب في كتابات جبهة المؤرخين كانت عبارة عن وصف للطعن والضرب والقتل والأسر ، واحصاء عدد الذين قتلوا أو أسروا وعدم العناية بالمفاوضات والمناظرات التي كانت تسبق الحروب الإسلامية عادة .

كذلك لا نرى من عني عناية تذكر بتسجيل المعاهدات ومعاهد الحرب التي كانت تسفر عنها هذه الحروب في كثير من الأحيان ، فضلاً عن النتائج السياسية والاجتماعية والدينية التي تنجم عن هذه الحروب ولقد حاولنا أن نتلافى هذه الناحية ، إذ جعلنا هدفنا الرئيسي من دراسة تلك الحروب تتبع المفاوضات بين المسلمين وأعدائهم في الشرق والغرب في هذه الحقبة من التاريخ .

كما أننا جعلنا كثيراً من المعاهدات ، وأوضحنا بعض النتائج السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وأخيراً فاقنناهم بجائزة العبارة التي تعمدناها في تصوير الحوادث مما الجأنا إلى الضرورة المنهجية - نعتقد أننا كشفنا بعضاً

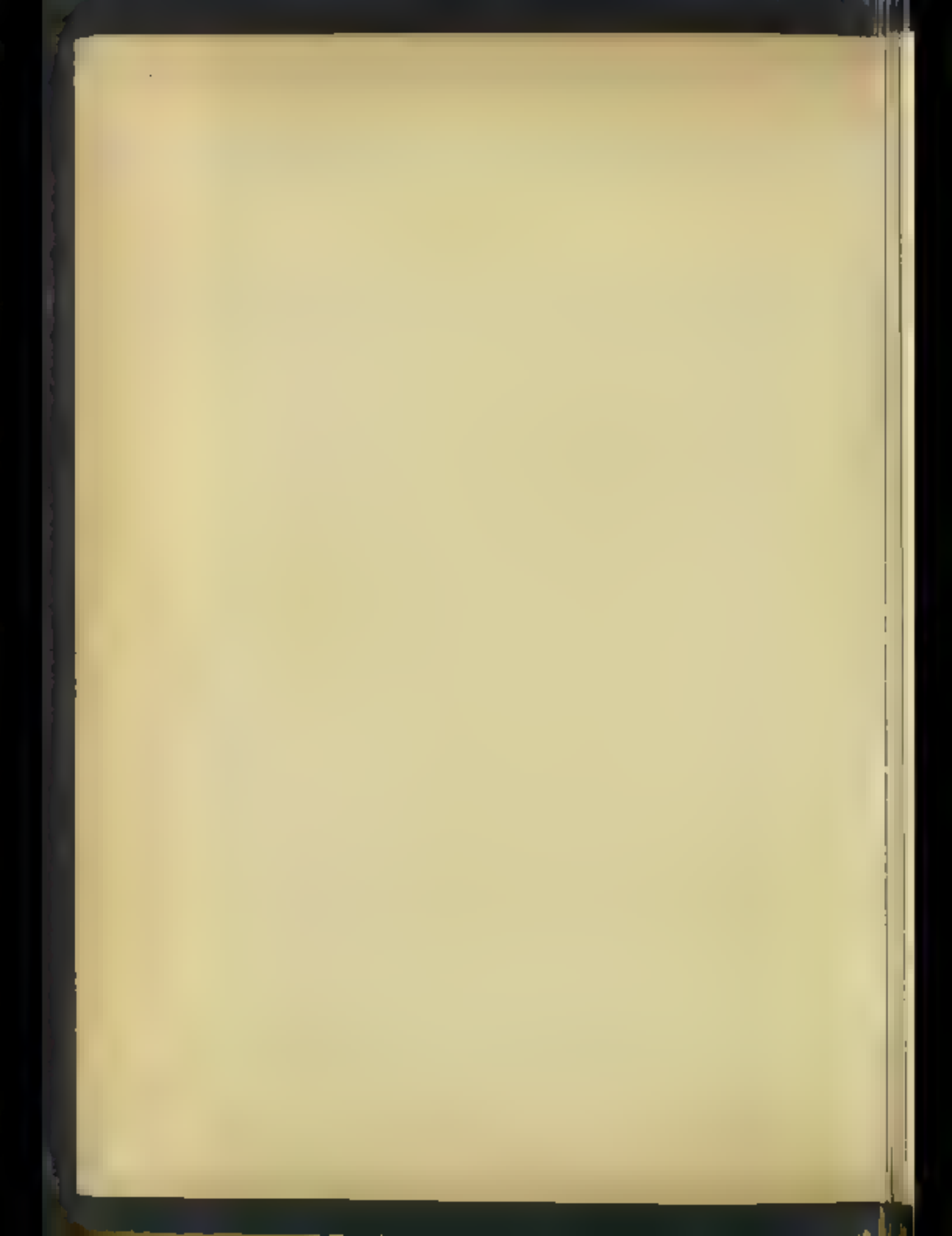
(و)

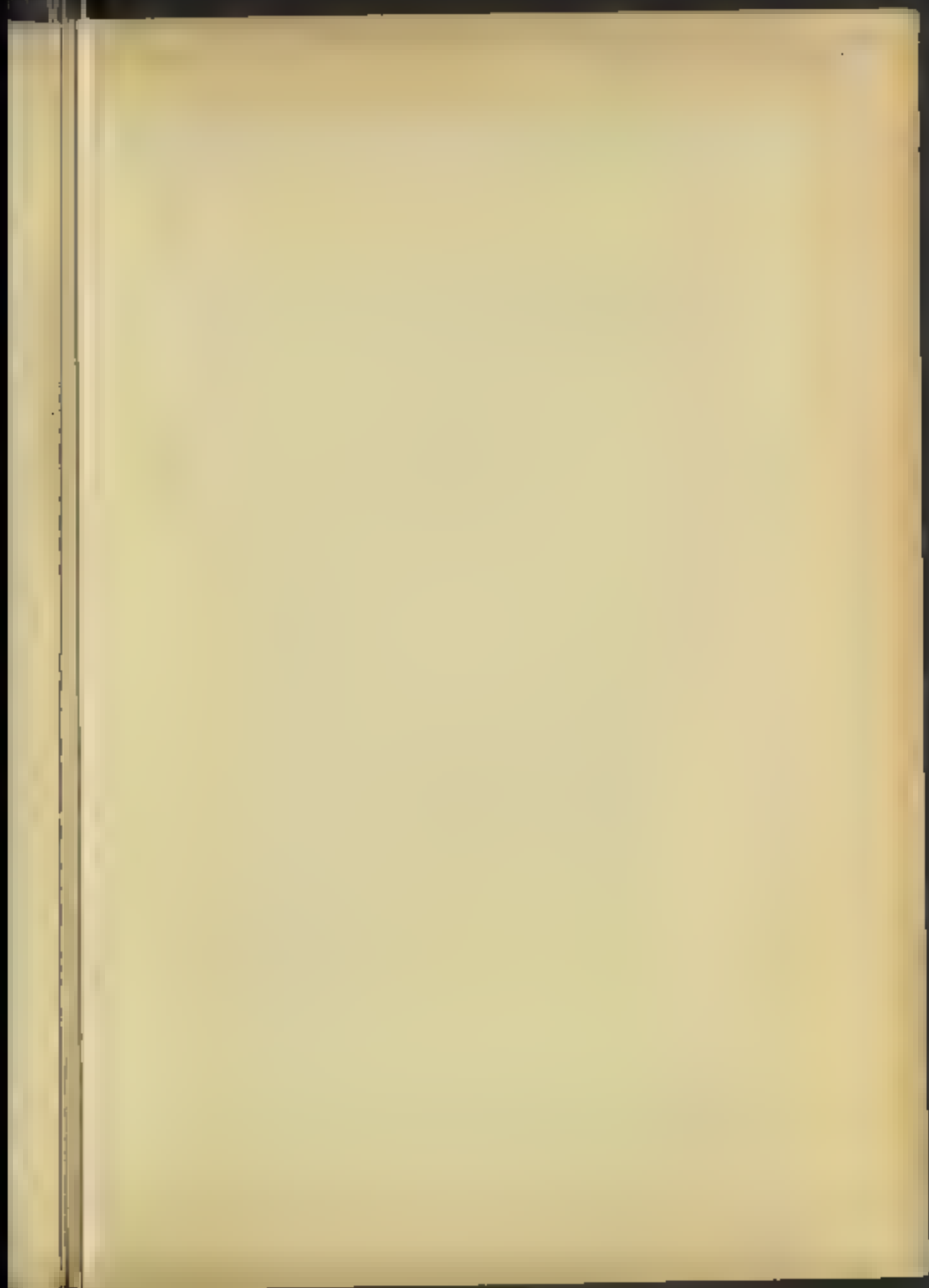
من خبانا عصر ذهبي من عصور الخلافة الاسلامية ،
وضعت فيه عزة الاسلام وعظمة دولته حتى تلاشت أمامها
عظمة الفرس ، وعزقا الروم واصبحت شهادة التوحيد بتجاوب
صداها من نهر السند إلى بحر الظلمات ، ومن جبال الاورال
إلى مجاهل أفريقيا والمحيط الهندي وسرف يتشاقق المسلمين
من أمراضهم ، ويعيد اليهم مجدهم بعد تلك الفترة الطويلة التي
لحقت بشموهم ودولتهم ، وسيسفر فجر النهضة الاسلامية
الحاضرة من صبح لا ليل بعده حتى يتم الله نوره ، ويكمل
نعمته ، وما شئ على الله يعيد ، إن شاء الله تعالى .

شبرا مصر في مساء السبت ٢ من شهر رجب من

سنة ١٣٦٦ هـ . الموافق ٢١ - ٦ - ١٩٤٢ م .

عبد الحميد بن حيت





حروب عمر

١- من هو عمر؟

يتحدث التاريخ عن عمر مفاخرا بفضائله وعبقريته
والحق أن الرجل يستحق التقدير والاحترام، إذ هو من أولئك
القلائل الذين سجلت لهم صفحات المجد والخلود.

وينسب عمر إلى الخطاب بن نفيل من بني عدى بن
كعب بن لؤي، وأمه ضنحة بنت هاشم من بني خزوم، فعمر
قرشي أصيل، ولد عمر بعد مولد الرسول بثلاث عشر سنة
وزي على الشهامة والجرأة، والصراحة، وكانت سنة حينما
أكرم الله محمد بن عبد الله بالرسالة، سبعا وعشرين سنة، فلما
دعاه الرسول إلى الإسلام، لم يقتنع في بادئ الأمر، ولذلك
كان شديدا على المسلمين، وحاربهم حربا شديدة، حتى كانت
هجرة الحبشة، وتحمل المسلمين الأذى في سبيل دينهم،
فأخذ يفكر في هؤلاء وحدهم وما يلقونه من عنف، ثم في

مبادئ الدين الجديد ، وأغراضه ومرامييه ، ثم شرح الله
صدره للإسلام . فأسلم وأعلن إسلامه في وقت لم يستطع غيره
أن يقول كلمة الحق إلا مستخفيا أو من وراء جدر ، لكن
عمر قال لا إله إلا الله على ملأ من زعماء الوثنية وسادة قريش
مما يدل على مبلغ قلب الرجل ، وشجاعته وصراحته . وقد
نحمل من أذى المكيين ما لا قبل لأحد بأخذه حتى أجاره
العاص بن وائل السهمي .

ولما هاجر الرسول ، اشتد أذى المشركين للمسلمين حتى
كان من يعرف أنه سيهاجر يعد له اللون المناسب من التعذيب
والمقاب . وأما عمر فإنه حينما اعتزم الهجرة لم يستطع أحد أن
يتبعه فلاحق به أذى

حضر عمر جميع المشاهد مع رسول الله . وكانت مع
أبي بكر كالوزيرين للرسول الكريم وتزوج الرسول حفصة
ابنته ، وظل موضع تقدير النبي وجميع المسلمين حتى توفي
الرسول وكانت خلافة أبي بكر . فأزادوا بكر ووقف إلى جانبه
بل كانت سبق الناس إلى مبايعة أبي بكر ، وأعرفهم

بحقه وقدره .

وما اشتهد على ابي بكر مرضه الا خيرا استشار المسلمين
في تولية عمر من بعده فكلهم رضى به وزكاه ، فاستدثوا به
خلافة المسلمين من بعده ، فكانت خلافته ركة الدولة ، وخيرا
لجميع افراد الامة . وها هي ذات ناحية من اعماله ، تسجهاها
في توجيهه لدفة الحروب في الجبهتين الشرقية والغربية ضد
الروم والفرس اللتين افترسنا ملك الدنيا حيفئذ ، وقد استطاع
ان يوقع الهزيمة بهاتين الدولتين ، وان يزيل احدهما من
الوجود كما نراه بعد

سباسة عمر :

على اننا نرى حجة عليتنا ان نوجز منهج عمر الذي يتضح
في خطابه الاول الذي اذعه وقت بيعته قال :
انما مثل العرب كمثل جمل آنف اتبع قائده . فليُنظر
قائده حيث يفورده . وأما أنا فو رب السكينة لأعلمكم على

الطريق^(١) . يقول الاستاذ سيد أمير علي (تأثرت سياسة الدولة باخلاق عمر علي وجه خاص ، سواء كان ذلك في حياته ام بعد مماته . اذ كان هدفه الرئيسي ، هو توحيد شبه الجزيرة العربية ، وصهر القبائل في جامعة عربية موحدة ... وثمة مناج اخرى من سياسته خليفة بان توجه إليها اهتماما واولاها اجلاء جميع العناصر القادمة من شبه الجزيرة لكي تخلو للعرب وحدهم ، وثانيها عدم التطرف في الفتح ، وقد استطاع بشاغب فسكره وبعد نظره ان يدرك ان توطيد دعائم الامبراطورية ورفقتها ماديا يتوقفان على رفاهية طبقة الفلاحين من سكان البلاد الاصليين . وتحقيقا لهذه الغاية منع بيع الاراضي الزراعية في الامصار المحتلة . كما سن قانونا يحظر فيه على العرب امتلاك الاراضي والضيايع^(٢) .

وعلى اجملة فان عمر كان في الحقيقة الرجل الموهوب الذي

(٢) ابن الاثير ج ٢ ص ٢٦٣

(٢) مختصر تاريخ ص ٥ - ٥١

جعل الاسلام دولة قوية مرهوبة الجانب ، ونشر فيها لواء
العدل وثقافة الاسلام وخلفه وكان هو نفسه المثل الأعلى في
اتيك بتعاليم محمد رسول الله ﷺ ومبادئ القرآن

مروءة عمر في الجهاد الشرقي

اسلفنا القول بأن المنى بن حارثة الشيباني ، حينما رأى
ملك الفرس قد حشد جيشا كثيفا وجلاء العرب عن المراكز
التي احتلوها. انسحب الى الوداء قليلا ثم اسرع وحده الى المدينة
يطالب المدد من الخليفة ، فوجده على فراش ، وان فداوصى
أن برعى عمر - وهو الخليفة بعد أبي بكر - جيش المنى ، وان
يمده بما يطلبه ، وقد نفذ عمر وصية أبي بكر في اليوم التالي لوفاته
أبي بكر . إذ ندب الناس مع المنى الى أهل فارس قبل صلاة
الفجر ^(١) . وظل عمر ثلاثة أيام يجهز الجيوش ويستمرضا
ثم امر عليها ابا صبيد بن مسعود الثقفي . وهو والد المختار بن

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ٢٩٧

عبيد ولما ازمعت الجيوش على التوجه شطر الميدان الشرق
بالمراق ، قام المثنى فخطب خطبة مطمئنة للناس . قال فيها
«أيها الناس لا يعظم عليكم هذا الوجه فانا قد فتحنا ريف
فارس وغلبناكم على خير شق الوادي ولنناصركم واجترأنا عليهم
ولنا انشاء الله ما بعدها .

وقد خيب عمر رجاء المسلمين في تولية هذا الجيش
لاحد كبار المهاجرين والانصار ، قائلا . لا والله لا أفعل .
إنما رفقهم الله تعالى بسبقتهم ومساوعتهم الى العدو . فإذا فعل
قوم فعلهم وقاتلهم . كان الذبح بنفسيون خفافا وثقالا ،
ويقيمون الى الدفع اولى بالرياسة منهم والله لا أوامر عليهم
الا اولهم انتدابا ثم دنا ابا عبيد وسعدا وسليطا ، وقال لهم
لو سيقموا لوليتكم ولا دركنما بها الى مالكم من السابقة فأمر
ابا عبيدة على الجيش وقال له اسمع من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأشركم في الامر ، ولا تجتهد سرعا
حتى تتبين ^(١) .

(١) ابن الاثير ج ٢ ص ٢٩٨

وصل الثقي إلى ميدان القتال ، ثم تبعه أبو عبيد بجيشه ^{موقعة الجسر}
 والتفت الجيوش بالحيرة ، فشنت الحرب على الفرس الذين
 نازدها قينهم بأمر رسم قائد جيش فارس ، والقابض على
 مقاليدها وكانت أولى المواقع المهمة بين الفريفيين موقعة
 «المروحة» على الشاطئ الغربي لنهر الفرات وفيها قتل أبو
 عبيد الثقي ، وسبحة من حمل اللواء بعده ، ويقال أن أبا زيد
 الطائي النصراني قتل حمية للعرب ، وكان سببا في انقراض ما بقي
 من جيش أبي عبيد الذي لم يختر جيشه موقعا مناسبيا كما
 نصحه الثقي .

بيد أن جند الفرس - رغم النصارى - ، ينهزوا فرصة ^{موقعة الجسر}
 هذا الفوز الباهر في موقعة المروحة «الجسر» التي حدثت
 في شهر شعبان من سنة ١٣ هـ ^(١) وظلوا متمسكين بموافعهم
 على جسر الفرات ، وبأن عمر خير هزيمة جيشه ، فأرسل
 جيشا بقيادة جرير بن عبد الله البجلي ، الذي استطاع أن

يجمع من مقطوعة بحيلة عدد الغير قابل على أن ينقسم
عمر ربع الخمس من القيمة .

كذلك أمد عمر المني بجيش آخر بقيادة عصمة بن عبد الله
المني ، واستنفر عمر والمني أهل المودة ، فاجابوا ونفر منهم
جم غفير ، وقصدت هذه الطوع الى الحيرة حيث جيش
فارس مرابط في جسر الفرات .

وقد اتفقت الجيوش الاسلامية جميعها بمسكرات
اليوب (١) المقابل لوقع الجيوش الفارسية ، وقد كانت هذه
الجيوش محصورة بين نهر الفرات وفرع اليوب .

كان قائد الفرس لهذا الجيش (مهران) فأرسل الى
المني يخبره بين المبور الى الفرس ، أو عبور الفرس اليه ،
فطلب المني منه أن يعبر هو بجندة غفير مهران وصف جيشه
الى ثلاثة صفوف مع كل صف قبيل عظيم ، والرجال ، أمام
الفيل ينشدون نشيد الامبراطورية الخالدة (٢)

١٠٠ اليوب نهر بالعراق ٤٠ ، ابن الاثير ج ٢ ص ٤٣٠ وبقول =

بيد أنه ، ما كادت تدور رحى المعركة ، حتى انزل المسلمون
بمقدم هزيمة منكرة ويقال أن المثنى طلب من انس بن
هلال التمرى والذي لم يسلم بعد ، أن يعين المثنى على قتل مهران
قائد الجيش ، ثم قتل مهران بيد غلام نصراني من تغلب^(١)
وفر من بقى من الفرس ، فنبههم المسلمون الى (سابط) وراه
الدجلة ، ثم دخل المسلمون الحيرة عنوة ونهبهم انصرف على هذا
الجيش وكان ذلك في سنة ١٣ هـ

في هذه الاثناء اعتلى بزدرج عرش الفرس - وكان القادسية
شبابا طموح النفس ، له يومه العزم على طرد العرب من
الحيرة فحسب ، بل عمقه النية على اجتياح بلادهم ، فادخل الى
كلدة جيشا مؤلفا من مائة الف مقاتل ، قائداً رضى المثنى قتلة
جيشه انسحب من كلدة الى حدود الصحراء ، وأخذ ينتظر
وصول الامداد التي طلبها من المدينة والتي أخذ عمر يبدل

عنه واقتل الفرس في ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ورجلهم
امام فيلهم ولهم رجل فقال المثنى للمسلمين الذين تسمعون قتل
قازموا الصمت ١٠٠ ، المصدر السابق

مجهودا جبارا في جميعها ونجهزها حتى لقد تظاهر بأنه سيصحب
 الجيش بنفسه ، وأوصى الجيش وأهمهم به غاية الاهتمام .
 أما الفرس فاتهم بعد هزيمة جيش مهران ، نظروا إلى
 أنفسهم ، وعملوا لم شملهم وتوحيد كلمتهم لمقابلة العرب
 جهة متعددة ، ويد واحدة . فاتفق رسم والفيرزان وسائر
 القواد على أن يعملوا تحت إمرة الامبراطور الشاب (برد جرد)
 حفيد كسرى وقد تبارى الرؤساء في ضاعته ، وجمع الجيوش
 ونجهزها للدفاع عن الامبراطورية التي سارع منها العرب
 والحيرة وساباط ونكربت ، وهم يمددوا احتلال المدن العاصمة
 الكبرى للامبراطورية .

ولذلك جهز الفرس جيشا كثيفا ، وقسموه إلى فرق
 أسموها بأسماء التواحي التي فتحها المسلمون .

بلغ ذلك أمتى ، فكتب إلى عمر باجتماع الفرس على
 حرب المسلمين وطردهم من مرا كزهم ولكن قبل وصول
 جواب عمر . قام أهل السواد ونقضوا عهد المسلمين ، ورفعوا
 لواء التمرد والمصيان فالتحق هؤلاء من بلاد الفرس ،

وعسكروا في حدود بلاد العرب على مصبات الفرات وفي
هذه الاثناء توفي المشي متأثرا بجراحه أو بجرح أصابته (١)

وتولى القيادة من بعده سعد بن أبي وقاص ، وقد جاء على ^{قيادة سعد}
رأس جيش كبير لتعزيز جيش المشي . فبلغ بذلك جيش المسلمين
حوالي ثلاثين ألفا .

أما عن السبب في اختيار سعد للقيادة العامة ، مع أن
الرجل الذي كان يجب تقديمه على الجميع هو أول من دخل
هذه البلاد غازيا منتصرا . فهو أولا ما أسأفنا الحديث عنه
من أمر خالد بن الوليد وتقمصة عمر عليه مسلكه نحو مالك
بن نويرة مما دفعه إبعاده عن القيادة حتى في الميدان الغربي ،
وعلى الرغم من أبا بكر قبيل وفاته أوصاه بأن يعيد جند

١٠ ، يقول ابن الأثير أنه كان قد جرح وأن جراحه انفجرت
فتوفي ، ويقول سيد أمير على أن حمى كلدية هي التي فشكت
بالمشي « انظر ح ٢ من الكامل في التاريخ » ، ومختصر تاريخ
العرب « الترجمة العربية » .

الميدان الشرقى الى حيث كانوا بعد أن اتسدهم أبو بكر
الى هروب الروم .

نقول على الرغم من وصية أبي بكر ، فإن عمر أصر
على إبعاد خالد بن الوليد عن شئون القيادة لأنه اعتقد أن في سيفه
رهقاه ، وخالد كما ابتاعه هو أول قائد عام هزم الفرس في
الميدان الشرقى .

ثم السبب الثاني أنه أراد أن يختار رجلاً ذا خبرة وكفاية
حتى يستطيع مواجهة جميع الفرس ، وتدير أعظم جيش
إسلامي منذ موقعة اليرموك في سنة ١٣ هـ . يقول ابن الأثير
لما اجتمع الناس الى عمر خرج من المدينة حتى نزل على ماء
يسمى " صرار " فمسك به ولا يدري الناس ما يريد ، أيسير أم
يقيم ، وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رهوه بعمان
أو بعد الرحمن بن عوف فإن لم يقدر هذان على علم شيء مما
يريدون تلقوا بالعباس بن عبد المطلب . فسأله عثمان عن
سبب حركته فاحضر الناس فأعلمهم الخبر واستشارهم في
النسير الى العراق . فقال العامة ، سر و سر بنا ملك . فدخل

معهم في رأيهم وكروه أن يدعهم حتى يخرجهم منه برفق به وقال
 اغدوا واستعدوا . فاني سأر الا ان يحىء رأى هو امثل من
 هذا . ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأعلام العرب ، وأرسل الى علي وكان استخلفه على المدينة
 فأتاه والى طلحة وكان على المقدمة فرجع اليه ، والى الزبير
 وعبد الرحمن ، وكانا على المجتنبين فحضرا ، ثم استشارهم
 فاجتمعوا على أن يبعث رجلا من أصحاب رسول الله ، ويقم
 ويربمه بالجنود . فان كان الذي يشهري فهو الفتح . وإلا أعاد
 رجلا . وبعث آخر ، ففي ذلك غيظ العدو . فجمع عمر
 الناس وقال لهم . اني كنت عزمت على السير حتى صرفني
 ذوو الرأي منكم . وقد رأيت أن أقوم وأبعث رجلا فاشيروا
 على برجل ، وكان سعد بن أبي وقاص على صدقت هوازن ،
 فسكتب اليه عمر بانتخاب ذوي الرأي والتجدة والسلاح .
 فجاءه كتاب سعد وعمر يستشير الناس فيمن يبعثه يقول
 قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأى وصاحب
 حيلة يحوط حريم قومه ، ويمنع ذمارهم اليهم انتهت

احاسيهم ورأيهم. فله اوصل كتابه ووافق مشورتهم قالوا العمر
 قد وجدته. قال. من هو قالوا. الاسد عاديا سمع بن أبي
 وقاص. فانتهى الى قولهم واحضره وأمره على حرب العراق
 ووصاه وقال (لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب
 رسول الله فإن الله لا يمعز السوء بالسوء، والسكفة نحو السوء
 بالحسن، وليس بين الله وبين أحد نسب إلا طاعته. والناس
 شريفهم ووضيعة في ذات الله سواء. الله ربهم وعباده
 يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الامر
 الذي رأيت رسول الله يلزمه فالزمه، ووصاه بالصبر وسرحه
 فبمن اجتمع اليه من نفر المسلمين وهم أربعة الاف فيهم
 حمضة بن النعمان على بارق، وعمرو بن معديكرب وابو سبرة
 ابن ذؤيب على مذحج، ورجال على قبائلهم. ثم خرج فر
 بفتية من السكون مع حصين بن غير ومعاوية بن حديج،
 فاعرض عنهم، فقليل له. مالك وهو لاء. فقال. ما مرني
 قوم من العرب أكره الى منهم، ثم أمضاهم. فكان بعد

يذكرهم بالكراهة (١)

لم يدخر عمر جهدا الا بذله في هذه الحملة ، وأمر على
 الجيش سعد بن وقاص الزهري القرشي ، وبعد أن نصحه
 وأوصاه أشار عليه بأن يسكر في مكان حصين في زدود .
 وصل سعد الى المكان المذكور ، وفيه فض وصية
 النبي وفراها ، وفيها بنصحه أن يقاتل الفرس على حدود
 العرب ، وان يحذر من خداع الفرس ، واذا قد كان الفرس على
 أهبة القتال فقد سار سعد حتى التقى بهم بعد أن أرسل
 كتابا إلى ابراطورهم يدعوهم إلى الاسلام أو الجزية فلما وصل
 الرسول بالكتاب إلى يزدجرد ومعه وزراءه ، واستأذنوا
 بالدخول فاذن لهم وسألهم عما جاء بهم فقال لترجمانه
 سألهم ما الذي دعاهم لغزو أرضنا وبلاذنا . امن أجل تشاغل
 الفرس عنهم أم ماذا . فاجابه رئيس الوفد النعمان بن
 مقرن بقوله : أن الله رحمتنا فأرسل إلينا رسولا يأمرنا

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ٣٠٩ - ٣١٠

بالغير ونهبنا عن الشر ووعدنا على اجابته خير الدنيا والاخرة
 فلم يدع قبيلة الا وقاربه منها فرقة وتباعده عنه بها فرقة . ثم
 امرنا ان نبتدى الى من خالفه من العرب فبداناهم فدخلوا
 معه على وجهين . مكره عليه فاعتبطه وطائم فازداد فمرقنا
 جميعا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق
 ثم امرنا ان نبتدى بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف
 فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وبيع القبيح
 كله : فان ايتم فامر من الشر هو أهون من آخر شر منه
 الجزية . فان ايتم فالمناجزة . فان اجيتم الى ديننا خائفنا فيكم
 كتاب الله واقمناكم عليه على ان تحكموا باحكامه وترجع عنكم
 وشأنكم وبلادكم وان بداتكم الجزية قبلنا ومنعناكم والاقلناكم
 فتكمم يزدجر د فقال : اني لا اعلم في الارض امة كانت اشقى
 ولا اقل عددا ولا اسوأ ذات بين منكم ، كنا نوكل بكم قري
 الضواحي فيكفوننا امرهم . لا تغزوكم فارس ولا تطمعوا ان
 تقوموا لقارس . وان كان غرر لحكم فلا يفرنكم منا . وان
 كان الجهد دعائكم فرضنا لكم قوتنا الى خصبكم وأكرمنا وجوهكم

وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فأسكت القوم.
فقام المغيرة بن ذرارة فقال :

أيها الملك ان هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم وعماشرا ف
يستحيون من الاشراف وانما بكرم الاشراف ويمظم حقهم
الاشراف ، وليس كل ما ارسلوا به قالوه ولا كل ما تكلمت
به أجابوك عنه . وقد احسنوا ولا يحسن بمثلهم الا ذلك
فجاءوني لا كون الذي ابغضت وانشهدون على ذلك لي : فاما
ما ذكرت من سوء الحال فهي على ما وصفت واشد . ثم ذكر
جيش العرب وارسل الله النبي صلى الله عليه وسلم اليهم نحو
قول النعمان وقتال من خالفهم أو الجزية . ثم قال : اختر ان
شئت الجزية عن يد وانت صاغرة ، وإن شئت فالسيف أو
نسلم فتنهي نفسك . فقال يزيد جرد ان تقبلني بمثل هذا فقال
المغيرة ما استقبلت الا من كلمني ، ولو كانني غيرك لم استقبلك
به . فقال يزيد جرد : فولا ان الرسل لا تقتل اقتلتكم لاشي .
لكم عندي . ثم استدعي بوقر من تراب . فقال املوه على
اشرف هؤلاء ، ثم سوفوه حتى يخرج من باب المدائن . ارجعوا

الى صاحبكم فأعلموه اني مرسل اليه دستم حتى يدفنه ويدفنكم
 معه في خندق القاصية وبشكل به وبكم ، ثم أوردته بلادكم حتى
 اشغلكم بانفسكم باشد مما نالكم من سابور . فقام عاصم بن عمرو
 ليأخذ التراب وقال : أنا اشرفهم أنا سيد هؤلاء فحمله على
 عنقه وخرج به من الايوان وولى الى راحلته فركبها واخذ
 التراب حيث عاد الرسل جميعا الى سعد بن ابي وقاص

وبعد ذلك ترى ان الفرس وعلى رأسهم يزدجرد كانوا
 مستهينين بأمر العرب أو بعبارة أدق تظاهروا بعدم المبالاة
 بهؤلاء العرب الذين ظلوا أحقادا لا تقوم لهم دولة موحدة
 كالدولة الفارسية وظلوا نبذا هنا وهناك في شبه الجزيرة الجرداء
 واحسنهم حالا اولئك الجند المرتزقة الذين يستجلبهم منافذرة
 الحيرة وغماسنة الشام للقتال في جيوش الفرس والروم ولم
 يكن واحد من آل المنذر بن ماء السماء ولا أمير من أمراء
 فسان ، سواء في أيام الحرب أو السلم إلا وسيطاما جورا بين
 القبائل العربية وبين الدلتين الفارسية والرومانية .

ولئن شئنا الحق والصراحة ، فالتا يجب ان نقول في

صراحة وحزم . ان أول رجل جاهد في سبيل توحيد شبه الجزيرة . وخلق من ضعفها وتناحرها قوة واخوة ، وجعلها كائنيان المخصوص أو كالجسد الواحد انما هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ، ولذلك كان كل رسول من رسل الله الى يزدجرد - كما أسلفنا - يبدأ حديثه بحال العرب ثم يكرر مسرعا الى ما بذله الرسول في توفية هؤلاء ونعيمهم ، وهذا ليس من باب التبرك - كما قد يفهم الجاهلون بتاريخ الاسلام واسكن من باب الاشارة والقاء الرعب في نفس السامع بان حال العرب قد غيرها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم اليوم غيرهم بالامس ولهذا ترى ان تنقل لكم المحاوراة الآتية بين يزدجرد وبعض خلصائه .

لعمري مبلغ نرددم وخشيتهم من العرب المسلمين .

قال الملك لرستم وقد استدعاه من ساباط . فحضر - ما كنت ارى ان في العرب مثل هؤلاء . ما أنتم يا حسن جوابا منهم ، ولقد صدقني القوم . لقد وعدوا أمر اليدر كنه أو ليموتن عليه ، على أني وجدت أفضلهم احقهم ، حيث حمل التراب على

رأسه فخرج به فقال رستم : ايها الملك : إنه أعقاهم ، وتطير
الى ذلك وأبصرها دون أصحابه ، وخرج رستم من عند الملك
غضبان كئيبا وبعت في أثر الوفد وقال لثقتة ، ان ادركهم
الرسول تلافينا أرضنا ان اعجز سلبك الله ارضكم فرجع
الرسول من الحيرة بقواتهم فقال : ذهب القوم بأرضكم
من غير شك . وكان رستم متوجها كاهنا (١) .

على أن تطير رستم فقد استبشر به عاصم والمسلمون
فقد قال هذا الرجل وقد ذهب يحمل التراب الى القائد سعد
ابشر فوا الله لقد أعطانا الله مغاليد ملكهم

واسكن على الرغم من جراءة المسلمين على الفرس ،
فانهم كانوا يخشون قوتهم ويقعدرون خطرهم وعلى رأسهم الخليفة
عمر بن الخطاب الذي لم يزايله التفكير لحظة في هذه الحالة
المغامرة في الميدان الشرقي . فقد سبق أن أشرنا الى وصيته
لقائد الجيش بالانابة والصبر والحذر والرفق بجيشه الضئيل

الى جانب قوة عدوه وعدد جنوده ثم يكذب يصل سدا الى
الى «شراف» حتى كتب اليه عمر بقول .

أما بعد فسر الى شراف نحو فارس بمن معك من
المسلمين وتوكل على الله واستعذ به على امرك كله واعلم فيها
لدبك انك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة
وملى بلد منيع . وان كان سهلا ابغوره وفيوضه الا ان
توافقوا غيضا من قبض . واذا اقيمت القوم واحدا منهم فابدؤم
الشد والضرب .

وأياكم والمناظرة لخواصهم ، ولا بخدعكم ، فانهم خدعة
مكررة . أصرم غير أمرك إلا ان تجادوم ، واذا . انتهيت الى
القادسية . والقادسية باب فارس في الجاهلية وهي اجمع تلك
الابواب لمادهم ولما يريدونه من تلك الأصل . وهو منزل
وغيب خصيب حصين دونه فتاخر وانهار متممة . فتكون
مسلحك على اتقائها ، ويكون الناس بين الحجر والمدر على
حافات الحجر وحافات المدر ثم الزم مكانك فلا تبرحه فانهم اذا
احسوك انقضتهم رموك بجمعهم القى يأتي على خيلهم ورجلهم

وخدم وجده فان انتم صبرتم لعدوكم - واحقبتهم لقتاله وادبتم
 الأمانة . رجوت ان تنصروا عليهم ثم . لا يجتمع لكم مثلهم
 ابدا . الا ان يحتمموا وليست معهم قلوبهم . وان تكن الأخرى
 كان الحبر في ادباركم فانصرفتم من ادبي مدرة من ارضهم الى
 ادبي حبر من ارضكم ، ثم كنتم عليها أجراً وبها أعلو . وكانوا
 عنها اجبن وبها أجهل حتى بانى الله بالفتح عليهم وبرد لكم
 السكره .

وهذا يكتف عمر بهذا الكتاب الذى نرى توافقا كبيرا بينه
 وبين وصية المشي لاسعد ما يدل على توارد خواطر الى جليل عمر
 والمشي . بل انه ارسل اليه كتابا آخر بمطه فيه ويذكره
 وينصحه بأن يكتر من ذكر الله ودمائه وان يصبر عند القتال
 وطلب منه ان يصف له منازل الجيش ومركزه ، وان يحمل
 الخليفة دائما على اتصال وعلم بكل التفاصيل التى تجري في
 هذا الميدان

وعلى الجملة ، فان - مدانزل القادسية - التى هى باب فارس
 كما قال عمر - ويبدووا انه كان متوقفا جمل ميدان الحرب في

هذا المكان . اذ نرى الفرس والمسلمين يتحدثون عنه فكانت هما
تواعدا القادسية ، فالواقعة بها ولا بد .

وظل سعد يحفده شهرا بالقادسية . لا يأتيه أحد من
الفرس ولا يناوشه مع انه على ابواب بلادهم . ولذلك أرسل
سرية بقيادة عاصم بن عمرو الى ميسان ، فطلب غنا وبقر .
فلم يقدر عليها ، وتمحصن منه أهل ميسان ، فأمر عاصم رجلا
بجوار آحمة ، واستدله على الغنم والبقر . فيقال ان الرجل انكر
العلم بشئ . من ذلك ، وسكن عاصم استطاع ان يعرف مكان
هذه المواشي ، فآخذها واستاقها الى المعسكر ، ففحصه سعد
بين الناس فاخصبوا أياما .

على انه يقال ان الذي دل عاصم ثور وراء الآحمة التي
جلس الفارسي الى جانبها وان هذا الثور نطق قائلا كذب
عدو الله ، وهانحن أولاء ، ومع ان هذا مستبعد في العادة .
فانه جائز على الله الذي انطق كل شئ .

ويروى ابن الاثير ان هذه الحادثة باغت الحجاج في
زمانه ، فكذب الذين رووها ثم انهم آلوا له انهم شهدوها

بأنفسهم . فصديقهم : ثم قال لهم : ما كان الناس يقولون في ذلك ؟
 قالوا آية نبير يستدل بها على رضا الله وفتح أرض عدونا . فقال :
 ما يكون هذا الا واجمع ابرار انقياء : قالوا والله ما ندرى
 ما أجنت قلوبهم . فأما ما رأينا فأرأينا قوما قط أزهدي في
 دنيا منهم ، ولا أشد بغضا لها ، ليس فيهم جبان ولا
 غال ولا غدار الخ

اتصار المسلمين ومهما يكن من شيء فقد اتهم الجيشان ، جيش المسلمين
 وقائد سم بن أبي قاص الذي كان يصدر أوامره من أعلى
 القصر حيث كان به بعض المرضى ، وجيش الفرس وقائد
 رسم الذي كان على اتصال مباشر مع المدائن وامبراطور
 الفرس حفيد كسرى .

وقد ظلت المعركة دائرة ثلاثة أيام بلياليها واستمرت
 إلى الظهيرة من اليوم الرابع وقتئذ انهزم الفرس . وخارت
 قوتهم ، وانسل رسم قائد المام لينجو فرارا ولكن هلالا
 ابن علفة أحد جنود المسلمين تبعه وقبض عليه ثم قتله ، وملك
 سريره وصعد عليه ثم نادى : قتلت رسم ورب الكعبة .

وموت رسم وهو بطل الابطال في دولهم ، وبطل
 الفرس في شاهنامه الفردوسي ، يكنى للجيش الفارسي وأية
 قيمة فقد ناوش مناوشات طغيفة ثم ولى الادبار لا يلوى على
 شيء إذ أن « ارمات وأنغوث وحماس » كانت فاصلة .
 وكانت القادسية قصدة الظهر^(١) .

وبعد أن انتهت الموقعة كتب سعد إلى عمر : أما بعد
 فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم من كان قبلهم من
 أهل دينهم بعد قتال طويل وزوال شديد ، وقد لقوا المسلمين
 بمدة لم ير الراءن مثل زهاتها ، فلم ينفعهم الله بذلك : بل سلبهم إياه
 ونقله عنهم إلى المسلمين ، ونهبهم المسلمون على الاسمار وحل
 طفوف الاجام . وفي الفجاج ، وأصيب من المسلمين سعد بن
 عبيد القارى ، وفلان وفلان (وصماهم) ورجال من المسلمين

(١) ارمات وأنغوث وحماس أيام الحرب الثلاثة ، والقادسية
 يومها الرابع الذي انتصر فيه المسلمون وهي أسماء امكنة حدثت
 بها المواقع في هذا الميدان ، وسميت الموقعة بالمكان الذي فيه
 تم القتال في النهاية .

لا يعلمهم . الله بهم عالم . كانوا يمدوون بالقرآن اذا جن عليهم
 الليل دوى النحل : وهم آساد الناس لا يشبههم الاسود ، ولم
 يفضل من مضى منهم من وفى الا بفضل الشهادة . اذ لم
 يكتب لهم .

ولقرط شغل عمر بهذه الحلة ، كان يخرج كل يوم يتنفس
 أخبارها ، حتى جاءه البشير بالفتح على المسلمين . ويقال أن
 أن الرجل الذي حمل الخبر إلى المدينة التقى بعمر خارجها .
 فسأله عمر عن الجيش . فقال « هزم الله العدو » وأمره الرجل
 براحته إلى المدينة ، ولا يعرف أن الذي يسكلمه عمر ، فاحذ
 عمر يجرى وراءه وهو يقول « يا عبد الله حدثني أفلا يزيد
 الرجل عن العبارة السابقة .

ودخل الرجل المدينة ليبشر الخليفة الذي لم يعلم أنه
 الإنسان البسيط الذي يقبمه جرياً على الأقدام يسأله عن
 الجيش ، وإذا بالمسلمين يهابلون عمر خائف البشير ويسلمون
 عليه بالامارة . فكاد الرجل يذعر ، لأنه لا يعرف عمر ، فبدأ
 عمر من روعه بقوله « لا عليك يا أختي » ثم سلم الرجل كتاب

حمد الى عمره فمئذ ذلك حمد الله وسجد له شكرا .

وبعد أن تقبل سعد خضوع المدن الواقعة بجوار الحيرة
زحف على بابل حيث كانت قد تجمعت فلول الجيش الفارسي
فدارت معركة راثعة بينه وبينهم أسفرت عن هزيمة الفرس
وتزيق شملهم : ففر بعض فوادهم الى المدائن عاصمة
الفرس وسار من القواد « الهرمزان » الى الاهواز . كما انجبه
الفرزان صوب نهاوند .

والكن سعد رأي أن الاستيلاء على « كلد » لا يتم نهائيا
طالما تمسك جنود الفرس في المدائن . ولهذا زحف على
عاصمة الفرس التي كانت في موقعها تشبه بغداد بموقعها : إذ
تبعد حوالي ١٥ ميلا من مجرى الفرات . وكان الفرقى منها
يسمى سلوسيا ، والقسم الشرقي يسمى (طاق كسرى) وقد
سميت تلك العاصمة بالمدن لكونها مؤلفة من مدينتين .
كذلك كانت قصور الملوك ودور الاشراف تجمع الى الجمال
وبها الرواق ، النرف والبذخ . وقد تأثر البسطاء بمشاهدة
تلك المناظر الخلابة في مبدأ الامر .

ويقال أنه بعد أن حوصرت المدائن ودحا من الزمن
اضطرت أن تفتح أبوابها صاغرة. كما أعقب احتلالها خضوع
المدن الواقعة غربي الدجلة، وقد صلى سعد صلاة الفتح مع الجند
في قصر كسرى أنوشروان (أيوان كسرى) وقد قدم الدهاقين
فروض الطاعة إلى سعد، ونزل القصر الأبيض وهو يقول
(كم تركوا من جنت وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا
فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوما آخرين).

ومما يذكره الخضرى بك - رحمة الله عليه - أن سعد
جعل أيوان كسرى مسجداً وصلى فيه، وفيه ثمانية الجص
رجال وخيل ولم يمتنع هو والمسامون لذلك. وتركوها على
حالها وأنتم سعد الصلاة يوم دخول المدائن. لأنه أراد
المقام بها^(١).

وهذا الذي يذكره الخضرى غير معروف لدى فقهاء
الشريعة، ولم اطلع عليه في ابن الأثير ولا غيره من المراجع

التي تحت يدي ، ولعله نقله عن بعض مصادر متأخرة بيدائي
 أخالفه في هذا . إذ توأمران الاسلام حارب الوثنية في كل
 مكان ، وحينما دخل الرسول الكعبة البيت الحرام ، أخذ
 بزبل الاوثان . وهي لانعدو أن تكون تماثيل . يعود في
 يده ، ويقول (وقال جاء الحق وزهق الباطل) وأمر رجالا
 من أصحابه بهدم اللات والعزى ، وغيرهما من الاصنام والتماثيل
 وهؤلاء اثمة الهدى الاربعة أجمعت كلهم على عدم أباحية
 وضع التماثيل والاوثان لافي المساجد ولا في البيوت ، بل
 أجمعوا على كراهية الصور .

هذا: بل الرسول عليه السلام يقول اللهم لا تجعل قبري وثنا
 يعبد شئت غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
 ويقول عمر لسعد في وصيته التي سجلناها آنفا نقانظر الامر
 الذي رأيت رسول الله يلزمه فالزمه : ومن الاشياء التي لزمها
 الرسول وأمر بها ما حدث به علي بن أبي طالب حينما بعث
 بعض أمرائه على اليمن أن لا بدع قبراً مشرفاً الا سواء
 بالارض ولا تماثلاً إلا عامه وأزاله . وقال علي أن رسول الله

بمنه من قبل بهذا ، فهو يوصى به إلى أبي الهيجاء الأسدي
مبعونه على اليمن والأدلة على ذلك كثيرة لا تحتاج إلى كبير
نظر . وغفر الله للمرحوم الخضرى ثقله لهذا الخبر الذى
لا يمدو في نظرتنا أن يكون احدي القرى على الحق والتاريخ
واقه المستعان .

وبعد : فانتا وقد أثبتنا على وصف موجز للقادسية ،
لأنحب أن نقادر هذا الموضع قبل أن نسوق ذلك الموقف
الذى وقعه رسم بطل الجيوش الفارسى ، الذى كان راغباً في
مهادنة المسلمين ، بل في اعتناق الاسلام لولا حفاظة أشرف
فارس ، وخشيته من ضياع مركزه في دولة الأكسرة يقول
ابن الاثير في ذلك :

فلما وصل رسم للقادسية ، وقف على العتيق بحبال
عسكر سعد ونزل الناس فما زالوا يتلاحقون حتى اعتصموا من
كثرهم ، والمسلمون تمسكون عنهم . وكان مع رسم ثلاثة
وثلاثون فيلاً ، منها فيل سابور الأبيض . وكانت الفيلة تألفه
فجعل في القلب ثمانية عشر فيلاً ، وفي المجنبتين خمسة عشر

فيلا ، فلما أصبح رستم من تلك الليلة ركب وسار من
 العتيق نحو خفان حتى أتى على منقطع عسكر المسلمين ،
 ثم صمد حتى انتهى إلى القنطرة : وأرسل إلى زهره فواقفه
 فأراده على أن يصلح له ويجعل له جملا على أن ينصرفوا عنه
 من غير أن يصرح له بذلك . بل يقول له : كنتم جيراننا
 وكنا نحسن اليكم ونحفظكم ، وبخبره عن صميمهم مع العرب .
 فقال له زهرة : ليس أمرنا أمر أولئك ، ولا طلبتنا طلبهم
 إنما نأتكم لطلب الدنيا . إنما طلبتنا ومعتنا الآخرة ، وقد كنا
 كما ذكرت إلى أن بعث الله فينا رسولا ، فدعانا إلى ربه
 فأجبناه ، فقال لرسوله . إني قد ساطت هذه الغائقة على
 من لم يدين بدينى ، فانا منتقم بهم منهم ، وأجعل لهم الغلبة
 ما داموا مقرين به ، وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا
 ذل ، ولا يعتصم به أحد إلا عز . فقال له رستم : ما هو .
 قال : أما عموده الذى لا يصاح إلا به فشهادة أن لا إله إلا
 الله ، وأن محمدا رسول الله ، والافرار بما جاء به من عند الله
 قتل : ما أحسن هذا ، وأى شئ أبضا . قال : وإخراج العباد

من عبادة العباد إلى عبادة الله . قال : حسن . وأى شيء
 أيضا . قال والناس بنو آدم وحواء أخوة لأب وأم . قال ما
 أحسن هذا . ثم قال رستم : أرأيت إن أجبته إلى هذا ومضى
 قومي . كيف يكون أمركم ، أنرجعون : قال : أى والله ثم
 لا تقرب بلادكم أبداً إلا في تجارة أو حاجة . قال : صدقتى
 والله . أما إن أهل فارس منذ ولى أردشير لم يدعوا أحدا
 يخرج من عمله من السفلة . وكانوا يقولون : إذا خرجوا من
 أعمالهم ، نعدوا مطورهم ، وعادوا أشرفهم . فقال زهرة :
 نعم خير الناس للناس . فلا نستطيع أن نكون كما تقولون ،
 نطيع الله في السفلة . ولا يضرنا من عصي الله فينا . فانصرف
 عنه رستم ودعا رجال فارس فذا كرم هذا ، فأنقوا . فقال :
 أبعدكم الله وأسحقكم ، أخزى الله آخرتنا وأجبتنا ^(١) .

على أن رستم لم يكتف بهذا ، بل تحت عاطفة السلام التي
 استولت على مشاعره ، واصل بحونه ليتأكد من هدف العرب

الذي يهدفون اليه في حربهم هذه . فأرسل إلى سعد أن ابعت
 البنا رجلا نكلمه ويكلمنا ، فدعا سعد جماعة ليرسلهم ، فقبل
 له إن الخير أن ترسل رجلا واحدا ، فبعث إلى رسم برهمي
 ابن عامر ، فسار هذا حتى وصل اليهم ، فجمع رسم عظيم .
 فارس واستقبلوا رسول سعد اليهم ، فدخل الرسول حاملا
 سلاحه ، بعد أن شق وسادنين ربط به فرسه . فأظهر الفرس
 عدم المبالاة بذلك ولكنهم طلبوا منه أن يضع سلاحه ،
 فرفض ، ولم يكتف بهذا بل أخذ يتوكأ على رمحه ويمزق
 البسط والتمارق التي زين بها الفرس غرفة القائد العام ، فلما
 اقترب من رسم جلس على الأرض وركز رمحه على البسط
 فطلب . نه أن يجلس على التمارق فرفض قائلا : إننا لا نستحب
 الجلوس على زينكم هذه ^(١) . ثم كانت هذه المحادثة الثانية
 بينه وبين رسم :
 رسم : ما جاء بكم ؟

(١) ابن الاثير ج ٢ ص ٢٣٠

ربيعي : الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده
 من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى
 عدل الاسلام ، فارسلنا بدينه إلى خلقه لندعوه إليه ،
 فمن قبله فيانا منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه
 دوننا ، ومن أبى قاتلناه حتى نقضى إلى الجنة أو الظفر
 رسم : قد سمعنا قولكم ، فهل لكم ان تؤخروا هذا
 الأمر حتى تنظر فيه ، وتنظروا .

ربيعي : نعم . كم أحب اليكم ، أيوما أو يومين ؟
 رسم : بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساه قومنا
 ربيع : إن مما بين لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعمل به أئمتنا أن
 لا تكون الأعداء أكثر من ثلاث ، فنحن مترددون
 عنكم ثلاثا ، فانظر في أمرك واختر واحدة من ثلاث
 بعد الأجل . إما الاسلام ، وتدعك وأرضك . أو
 الجزية فتقبل ونكف عنك ، وإن احتججت اليينا
 نصرناك أو المتابذة في اليوم الرابع ، ولستنا نبدأك فيما
 بيننا وبين اليوم الرابع . إلا أن تبدأ . أنا كفيل

بذلك عند أصحابي .

رستم . أسيدهم أنت ؟

ربيع . لا ، ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض
يجير أديانهم على أعلام^(١)

وبعد أن انتهت تلك المحادثة بين رستم وربيع ، قام
رستم نغلا برؤساء قومه فقال ما ترون . هل رأيتم كلاما قط
أعرب وأوضع من كلام هذا الرجل . فقالوا معاذ الله أن نخيل
إلى دين هذا الكلب . أما ترى إلى ثيابه ؟ فقال . وبحكم
لا تنظروا إلى الثياب ، ولكن انظروا إلى الرأي والكلام
والسيرة إن العرب تستخف باللباس والمأكل ، ونصوت
الأحباب ليسوا مثلكم .

فلما كان من الغد ، أرسل رستم إلى سعد أن ابعت
إلينا ذلك الرجل . فبعث إليهم حذيفة بن محصن ، فأقبل في
نحو من ذلك الزى ، ولم ينزل عن فرسه . ووقف على

رستم را كبا، فقال له رستم انزل . فقال حذيفة . لا أفعل
فقال ما جاء بك وما يعنى الأول قال له ان أميرنا يحب أن
يعدل بيننا في الشدة والرخاء، وهذه نوبتي . فقال . ما جاء
بكم ، فأجابه مثل الأول : فقال رستم المواعدة الى يوم ما
قال نعم ثلاثا من أمس . فردده ، قال . لأصحابه وبحكمكم أما
ترون ما أرى . جاءنا الأول الأمس فقامنا على أرضنا وحفر
ما نعلمه وأقام فرسه على زبرجنا وربطه به ، وجاءنا هدا،
اليوم فوقف علينا وهو في بين الطائر يقوم على أرضنا
دوننا .

وبواصل رستم ما اعترفه من الوقوف على أغراض
هؤلاء الفاتحين ، والبيادى، الى اعتنقوها فغيرت أخلاقهم
وبدلت سياستهم . فبعد برهة وجيزة من صرف حذيفة ،
راسل سعد بن أبي وقاص ليبحث اليه برجل آخر يفاضه
وبحاده .

وفي اليوم التالى لسفارة حذيفة أرسل سعد المقيرة ابن
شعبة ليعاود رستم ويفاضه فأقبل المقيرة الى الفرس ،

وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، ويسطهم مفروشة
على مسافة طويلة . بحيث لا يوصل الى رستم الا بالشي
مسافة فاقبل المغيرة حتى جلس على السرير مع رستم فوقيوا
عليه وانزلوه وامسكوا بتلابيه . فقال لهم : قد كانت تباغنا
عنكم الاحلام ولا ارى قوما أسفه منكم . انا معشر العرب
لا يستعبد بعضنا بعضا ، الا أن يكون محاربا امصاحبه .
فظننت أنكم نواسون قومكم كما نتواسى . فكان أحسن من
الذي صنعتم ، أن نخبروني أن بعضكم أرباب بعض ، فان
هذا الامر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد واني لم آتكم
ولكن دعوتهموني . واليوم علمت أن امركم مضطحل وانكم
مفلوون ، وأن ما سكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه
العمول . فقالت جماهير الفرس صدق والله العربي . وقالت
الهفاقين . والله لقد رمى بكلام لانزال عبيدنا يزعون اليه
قاتل الله اولينا ما كان احقهم حين كانوا يصغرون امر هذه
الامة (يقصد العرب)

ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم امرهم وقال . لم نزل

متمكنين في البلاد ظاهرين على الأعداء، أشرفا في الأمم
 فليس لأحد مثل عزتنا وسلطاننا، تنصر عليهم ولا ينصرون
 علينا إلا اليوم، واليومين، والشهر للذنوب. فإذا انتقم الله
 منا ورضى علينا رد لنا الكرة على عدونا، ولم يكن في الأمم
 أدلة أصغر عندنا أمرا منكم، كنتم أهل كشف ومبشة
 سيئة، لا تراكم شيئا، وكنتم تقصدوننا إذا قطعت بلادكم
 فتأمر لكم بشيء من التمر والتمر ثم تردكم، وقد علمت
 أنه لم يحملكم على ما صنعتكم إلا ما أصابكم من الجهد في
 بلادكم. فأنما أمر لاميركم بكسوة وبفل واللف درهم، وأمر
 لكل منكم بوفر (حمل) تمر وتصرفون عنا، فاني لست
 أشتري أن أقتلكم ولا أسركم. وفي هذا الكلام من رستم
 كثير من الكهانة والخداع، فانه قد نافض اعتقاده في مقدرة
 هؤلاء العرب، وبينهم في هذه المرة أن يفتحوها أو تعتنق
 مبادئهم وليسوا كلاب مأكلة كما زعم وليسوا هم الذين تردم
 التمر واللحمة، وبرضهم اللباس، وإن طرز بالجواهر. لان
 هذا الزمن أدبر إلى غير رجعة، وقد بحيث رموزه من شبه

الجزيرة منذ دانت لمبادئ الاسلام ، وعمات بمعاليم رسولها
الكريم في الدين والسياسة ، وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من
قبلهم .

ولذلك وثب الاخيرة ونبة المسلم العربي ، فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال . إن الله خالق كل شيء ، ورازقه ، فمن صمغ شيئا
فأثامو بصنعه . وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك ،
فمن نمرقه فأنه صنعه بكم وبوضعه فيكم وهو له دونكم وأما
الذي ذكرت فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف .
فمن نمرقه وأثامنا ننكره والله ابتلانا به والدنيا دول ، ولم
يزل أهل الشدائد يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ويصبروا
اليها ، ولو شكرتم ما آتاكم الله . لكان شكركم يقصر عما أوتيتهم
وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغيير الحال ، ولو كنا فيما ابتلينا
به أهل الكفر لكان عظيم ما ابتلينا به مستجلبا من الله
رحمة ورافة علينا ، والكن الشأن غير ما تذهبون إليه أو
كنتم نمرقوننا به ، إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا :

ثم ذكر مثل ما ذكر صاحباه من الاسلام والجزية والقتال
وقال ان عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم ، فقالوا لا صبر لنا عنه
فقال رستم . اذن تموتون دونها ، فقال المقيرة . يدخل
من قتل منا الجنة ومن قتل منكم يدخل النار ، ويظفر من
بقي منا بمن بقي منكم .

فاستشاط رستم غضبا ثم حلف بالشمس ان لا يرتفع
الصبح غدا حتى يقتل جميع العرب .
بيد ان رستم كما أسلفنا كان مضطرب النفس من
هؤلاء العرب ، يخشى من حربهم ولفاتهم ، حتى لقد قال
لاخيه في بعض المواقف اني لا اقاد الى هذا الوجه ، وليس لي
رغبة في حرب هؤلاء القوم ، بل انه كثيرا ما نصح اشراف
فارس ان يصالحوا العرب ، وعشنا حاول اقناع قومه .
انه حينما ايقن بان قومه مصممون على الحرب لم يشأ ان
يخسر قومه ، او يتغلى عن وطنه ، ولذلك قلب للعرب ظهر
الحجن وصمم على لفتهم وايكن ما يكون .
وعلى الجملة ، فان هذا الرجل لى حنفة على يد احد الجنود

المسلمين وانتهت هذه المقارعات باللسان والسنان بهزيمة
 منكورة لدولة الفرس وانتصار عظيم للدولة الاسلامية .
 حسبما أثبتنا آنفا بقول سيد امير علي . والآن وقد أصبح
 سعد حاكما مدنيا عسكريا على العراق ومن ضمنه الجزيرة
 فقد اتخذ المدائن مقرا لحكمه ، ونزل القصر الملكي كما
 خصص أجنحته للموائر الرسمية وكان يصل بالمسلمين صلاة
 الجمعة في الايوان الكبير ، ومن هذا القصر ملحق بدبرشتون
 الولاية .

ولكن ما انقضت فترة وجيزة حتى رأى المسلمون
 أنفسهم مضطرين الى امتساق الحسام . اذ أن ملك الفرس
 المقيم في حلوان أنفذ جيشا كثيفا لاسترداد المدائن فالتقى
 الفريقان في جلولاء على بعد خمسين ميلا من العاصمة في
 شمالها الشرق . فدارت بين الفريقين معركة راثمة أسفرت
 عن هزيمة الفرس وانتصار العرب ^(١)

(١) ص ٢٨ من تاريخ العرب

وكانت الجيوش بعد القادسية قد تفرقت في صياحي
الجبال حول الدجلة، وهرب الملك يزديجرد إلى حلوان،
وجاءت القبائل المتوطنة في حوض الدجلة تطالب الدخول
في طاعة المسلمين على الذمة والجزية.

ولذلك أرسل سعد بعض قواده واستولى على حلوان
فهر ملك الفرس وذهب إلى الري، وعقد العرب معاهدة
صلح مع الفرس بعد هزيمة هؤلاء في جلولاء قرب حلوان،
وطرد يزديجرد من حلوان كما سبق، كما فتح العرب في
هذه الاثناء صرفاً الابل على شط العرب.

وفي سنة ١٧ هـ (٦٣٨ م) أنشئت مدينتان جديدتان
في العراق. البصرة على شط العرب، وقد نزلها عرب
الشمال وكونوا غالبية سكانها. والكوفة، وقد شيدت على
شاطئ الفرات الغربي على ثلاثة أميال من جنوبي الحيرة،
وقد استوطنتها اليمانيون من عرب الجنوب، وحلت محل
المدائن التي هجرها العرب لسوء مناخها. ومما يذكر أن
هاتين المدينتين شيدتا على أساس منظم فخططت فيهما

الشوارع والميادين العامة ، وبنى في وسط كل منهما مسجد
جامع ، وسوق فسيحة ، وحدائق غناء .

وقد ضلت الحياة في العراق هادئة رديها من الزمن ،
تفرغوا فيه لإصلاح تلك الولاية الجديدة ، فسحروا أرضها ،
وأدخلوا نظاماً جديداً في تقدير الضرائب فيه تخفيف عن
كاهل الفلاحين ، كما أصدر الخليفة أمراً بمنع بيع الأراضي
من أربابها أهل السواد ، وأمر بأن يقرضوا مبالغ من المال
يستعينون بها على إصلاح أراضيهم كذلك أمر الخليفة بمصادرة
الضياع الملكية ، وغابات الصيد وأماكن الاسراء ، وكبار
الأغنياء الممارين ، والوقوف المحبوسة على مآبد النار التي
هجرتها السكان ووضعا جميعاً تحت إدارة وكلاء جدد
خصيصاً من المدينة .

وكان الجنود قد طلبوا أن توزع عليهم الأراضي التي
فتحوها ، ولكن أمير المؤمنين رفض هذا الطلب رفضاً
بائناً ، واكتفى بتوزيع جزء من إيراداتها على العرب الفاتحين^(١)

(١) انظر سيد أمير علي ص ٢٩ .

ولكن هذا الهدوء لم يكن إلا فترة نجهز واستعداد
من جانب الفرس طالما بينهم امبراطورهم بنفخ فيهم بغض
العرب ، والاستعداد لاسترداد ما أخذوه من الفرس .

وفي أواخر سنة ١٧ هـ قام الملا، بن الحضرمي وإلى
البحرين بحملة ضد اصطخر ، واذ توفق هذه الحملة التي قام بها
الملا، إذ أن الفرس تقمقروا أمامها ليخضعوها . حتى عبرت
البحر بمد أن سدوا عليهم منافذ القنطرة وعينا حاول العرب
أن يقاتلوا من هذا الفتح الفارسي الذي سببه حب الملا
للغفر ومنافسة قائد القادسية .

ولما بلغت الاخبار عمر سارع بعزل الملا ، وأرسل
عتبة ابن غزوان أمير الابله ، أن يمدد على تخايص الجيش
الاسلامي وقد أرسل عتبه حوالي اثني عشر الف جندي ،
واستطاع أن ينقذ المسلمين من مازقهم الذي حشرم فيه
أمير البحرين .

كانت حملة الملا الفاشلة ، سبباً في ظن الفرس أن
المسلمين ، شرعوا يتفقهرون عن بلادهم ، وأن الذين

هزموا جيش العلاء من الممكن أن يخرجوا العرب الباقين
من أراضي الامبراطورية .

ثم أن عمر كان قد أصدر أوامر مشددة بأن لا يتقدم
المسلمون شيئا في أرض الفرس ، زيادة عن الأماكن التي
استولوا عليها .

ولهذا أخذ يزيد جرد يتجهز في الزى ، ويعد الجيوش
لطرده المسلمين ، فكتب سعد أمير العراق إلى عمر بذلك
فتردد عمر أول الأمر ، فأوفد إليه سعد بعض رؤساء
الفرق ليقتنعوا الخليفة ، بوجوب إزالة رمز الدولة الفارسية
الذي لا يكف عن مناوأة المسلمين ، ومن كلام بعض أعضاء
الوفد عمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين . إنك تهيقنا عن
الانسياح في البلاد وأمرتنا بالاعتصام على ما في أيدينا . وإن
ملك الفرس حتى بين أظهرهم وأنهم لا يزالون يساجلوننا
مادام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان فانفقا حتى يخرج
أحدهما صاحبه وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئا بعد شيء إلا
بإيعازهم وأن ملكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال هذا شأنهم

حتى تأذن لنا في الانسحاب في بلادهم حتى نزيله عن فارس
ونخرجه من مملكته وعن أمته . فهناك يقطع رجاء أهل
فارس . وكان هذا المتكلم الأخنف بن قيس أمير الحكم
العالية في العراق . وطلب عمر الهرمزان الذي أسر آنفاً ،
واعتنق الاسلام وعاش في المدينة ، أن يبدى رأيه في هذه
المسألة فأبد الهرمزان كلام الأخنف ؛ وبذلك أمر عمر
بالانسحاب في بلاد الفرس . ففي سنة ١٧ هـ أمر أبا موسى
الاشعري أن يسير من البصرة الى منقطع ذمة البصرة حتى
يأتيه أمره . وبعث بفرق متعددة الى بلاد فارس . فأرسل
الأخنف بن قيس أمير فرقة خراسان ، وأمنه الى مجاشع
ابن مسعود بقيادة جيش أردشير وسابور (مدينتين بفارس)
وعقد لعنان بن أبي العاص لواء اصطخر .

وكذلك أرسل فرقة الى كرمان بقيادة سهيل بن عدي
والي سيحستان بقيادة عاصم بن عمرو ، ومكران للحكم
ابن عمير التظلي ونسا ودارا يجرى لسارية بن زئيم الكنعاني
وبعد أن فصلت الفرق من العراق ، أرسل عمر على

أثرها امدادات كثيرة ، إذ كان هذه المرة عازماً هزماً
أصكيداً على ازالة ملك الفرس ، وضم بلادهم الى دولة
المسلمين نهائياً .

•••

أما الفرس ، فانهم عندما علموا بهذا شرعوا يمدون
العدة ، فأعلن يزديجرد التعبئة العامة في جميع بلاد
الامبراطورية ، فجاءته الجيوش والمطوعة من حدود الصين ،
والبحر الهندي ومن سائر أنحاء الدولة ، فبلغ جيشه فيما
يقال حوالي ١٥٠,٠٠٠ مائة وخمسين ألف مقاتل ، بينما
جيش المسلمين لا يصل الى ثلاثين ألفاً .

ولذلك لما وصلت الانباء الى الخليفة داخله القلق حتى
فكر في قيادة الجيش بنفسه لولا رأى مجلس الشورى بأن
يبقى الخليفة في العاصمة ، فأسند عمر قيادة الجيش العامة
الى النعمان بن مقرن أمير خوزستان وقام بها .

وفي نهاوند التقى المسلمون بالفرس ، وكانت موقعة
فاصلة انهزم فيها الفرس ، وقتل منهم حوالي ثمانين ألفاً ، بينما

كانت خسارة المسلمين قليلة إذا استثنينا القائد العام الذي
 خر صريعا في ميدان القتال .

فررت موفمة نهاوند في سنة ١٨ هـ مصير آسيا ،
 وسميت بفتح الفتوح وفر يزدجرد ضاربا في الافاق حتى
 استقر به المطاف أخيرا وبعد مدة في مرو ثم انتهى به الحال
 الى أن فلك به أحد أنبائه في قرية قريبة من تركستان ،
 في عهد عثمان الخليفة الثالث .

وبانحسار هذا الجيش ، وموت يزدجرد فيما بعد غنت
 بلاد الفرس لسلطان المسلمين .

وفي الحال اتخذ خليفة — كما اتخذ في الجزيرة من قبل
 — تدابير فعالة ، لاقرار الفلاحين على حالتهم ، وانقاذهم
 من رقة المبودية وعسف الدهاقين (كبار الملاك) ، وأصلح
 نظام الضرائب وأمر بترميم الجداول وشنق الترع ، كما أمر
 الملاك على أراضيهم على أن يدفعوا الجزية عن بدوهم
 صاغرون . وضمن حرية العبادة وحظر على المسلمين
 التمرض لدين أهل البلاد الأصليين وقد أطلق المسلمون على

الذين ظلوا على دينهم القديم ، أهل القدمة ، أو القدميين .
 على أن الجزية - وهي الميزة الوحيدة - كانت مما
 أغرى كثيرا من أهل البلاد لاعتناق الاسلام ، ولم تكن
 هذه الزيادة الطفيفة الالتقاء الاعفاء من الانغراس في سلك
 الجندية ، وحماية من يدفعها من أى اعتداء يقع عليه .
 ولقد أخذ الناس يدخلون في دين الاسلام أفواجا طوعا
 لا كرها ، على عكس ما فعله الدول الحديثة من الاساليب
 لتغيير عقائد الناس الذين يدخلون في سلطانهم . وأقرب
 الدول اليها الآن فرنسا وإيطاليا وما اتبعتهما في المغرب
 الاسلامي منذ عهد قريب .

على أن السياسة الاسلامية قد أمرت بالمواخاة بين
 المسلمين من أى جنس ولون ودين غيرهم ممن اعتنق
 الاسلام ، وسمى بالموالى تمييزا لهم عن العرب الفاتحين ،
 وهو اصطلاح أمته التقاليد أكثر من المبادئ ، لأن
 الاسلام ليس دين العرب وحدهم بل هو دين الانسانية
 في أعلى مثلها ، وأسمى غاياتها . وأجل شرائعها .

ولكن على الرغم من ذلك ، ومن اتباع الحكم
العرب أنهم قوانين العدل والمساواة ، والصالح العام ، فإن
السكينة لم يكنوا من اقل اقلاق مضاجع الهولة الفتية . أذ طالما
حرضوا السكان النعميين على شق عصا الطاعة على المسلمين ،
وكانت الهولة أحيانا ربما لجأت الى ضروب من القسوة
نحت تأثير الظروف الطارئة بيد أن السياسة الرشيدة في
عهد الاربعة كانت خالية من هذا النوع من التشكيل بأهل
القامة ، ولكن قد يكون حدث شيء من ذلك في عهد
الملكية الأموية ، ومن بعض ولائها غيب ، فلما كانت
العباسية عاودت سياسة اللين والرحمة التي سار عليها خلفاء
الاسلام في أول الأمر ، مع هرق بسيط أملاء التطور ،
وتغير الأيام .

وعلى كل حال : فقد استطاع عمر بعد أن نبت أقدام
المسلمين في البلاد الفارسية ، وأزال آخر رمز لسيادتها ،
أن ينظم مشئونها وأن يرفع الظلم عن أهالي البلاد ، مما خلفه
التاريخ بمداد الحمد والثناء ، وبجعل جميع الأهالي يقبلون

على اعتناق الدين الجديد ، ويتفانون في سبيل نصرته ، ونشر
 ثقافته وتعاليمه حتى كان الموالي من الفرس من أعظم العوامل
 في النهضة الإسلامية التي أنارت للعالم سبيل الحياة في
 جميع مناحيها .

وهذا من غير شك ، مما يبرز أن الإسلام ليس دين
 العرب بل دين العالم ، وأن صلاحيته في السياسة ، والإدارة
 إلى جانب التشريع والعبادة . قد جربت ونجحت أنتم نجاح
 مع شتى الأمم والشعوب ، والتاريخ خير شريد وحكم ، فليقرأه
 من يشاء وليحكم بالحق ان أراد .

أما ما تشهده اليوم من هذه الشراذم الهزيلة من رفع
 رؤوسها وعقائرها بالاشادة بفقهاء الفرج وانكبابهم على
 دراسة مؤلفاتهم مع عزوفهم عن معين الإسلام الصافي
 وزعمهم أن للدين مدرسة ، وللمدينة معاهد وغير ذلك مما
 يشهده المسلم وهو يتقطع أسي على أبناء الإسلام الذين
 يدعون اليقظة له وهم من أعق الناس وشرم عليه ، فإن هذه
 العقائر ، وتلك الصيحات . ما أملاها الا ضعف النفوس .

والمرض المتأصل في قلوب هؤلاء. قال لهم صبراً وغفراناً. فقد
بلغ السيل الزبي واتسع الخرق ولا قوة إلا بك يا رب العالمين

حروب عمر مع الروم

ونتقل بكم الى صفحة أخرى من سجل الجهاد
الاسلامى الذي سطره الفاروق. في الميدان الذي أسميناه
« الغربى » مع الروم في الشام وفلسطين وهو الميدان الذي
حالف النصر فيه المسلمين حتى ضموا الى دولتهم بر الشام
وفلسطين، ثم الأردن، والمريش ووادي النيل (مصر)
ثم منه مدوا فتوحاتهم الى المغرب الأقصى فإسبانيا. وفتحوا
جزر البحر الأبيض وجعلوه بحيرة اسلامية وأصبحت
مآذن التوحيد. وشهادة الاسلام. ورسالة محمد ينادى بها
في البر والبحر من حدود الصين الى جنوب افريقية ومن
الهند الى المحيط الاطلسي. وذلك في المصور التالية لعمرو
وسنحاول أن نوجز لكم صورة عن حروب الميدان الآف
في عهد عمر. فاليكم ذلك :

في جمادى الأولى من سنة ١٣ هـ (٣١ يولييه سنة ٦٣٤ م) توفي أبو بكر وخلفه عمر الفاروق ، وقائد الميدان الغربي خالد بن الوليد الذي ، انتقل من الميدان الشرقي وتسلم القيادة في حرب الروم بأمر الخليفة أبي بكر وكان تحت امرته من قواد الفرق ، أبو عبيدة بن الجراح ، ثم عمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان يساعده أخوه معاوية ابن أبي سفيان ، ثم شرحبيل بن حسنة .

على أن وفاة أبي بكر لم تحدث تغييراً يذكر في السياسة العامة فان عمر كان مطلقاً على جميع شئون الدولة في عهده ، وكان موافقاً على جميع الأمور التي اتبعها سلفه ، فيما عدا قيادة خالد بن الوليد ، فان عمر كان له فيها رأى أبداء علناً أمام أبي بكر ، حتى أن أبا بكر لم وصى عمر في أخريات حياته ، لم يلزمه بإبقاء خالد اميراً . بل انه أمره بأن يرد جيش خالد إلى الميدان الشرقي . ولم يعرج على ذكر خالد بحرف من كلمة . مراعاة لشعور عمر الذي كان يميل أبو بكر إلى رأيه — في هذه المسألة — لولا أنه كان لا يريد

أن يخطئ قائد جند أمام مرؤوسيه . كما أنه كان ينصح
الأمراء بما لا يحلهم يفرون منه . وهي في رأينا السياسة
لا ما كان يرى عمر .

ولذلك . فله ما كاد عمر يبايع له . حتى ارسل إلى
أبي عبيدة كتابا بتوليت القيادة العامة . وعزل خالد . وعدم
توليت قيادة أية فرقة ولو صغرت .

ولما وصل الرسول بالكتاب وجد المركة مستمرة بين
الروم وبين المسلمين . فأخذ خالد الكتاب وأمره إلى
أبي عبيدة ولم يدعه ثلاث نصف به قوة الجنود . ثم وضع
الكتاب في كنفاته حتى انتهت الموقعة . بذلك النصر .
فسلم الكتاب إلى أبي عبيدة . وسلم عليه بالامارة وما يؤثر
عن خالد في ذلك اليوم قوله : الحمد لله الذي قضى على
أبي بكر بالوت . وكان أحب إلى من عمر . والحمد لله الذي
ولى عمر وكان أبغض إلى من أبي بكر . ثم أرمي حبه (١) .

تولى إدارة الجيش أبو عبيدة بن الجراح . بعد
 انتصار المسلمين في موقعة « اليرموك » مباشرة . ولم يشأ
 أن يذل نفس خالد فيجعله جندياً عادياً بل أنه قدر فيه
 رئيسه السابق . ووضح خطة الانتصار في أكبر موقعة
 خاضها المسلمون حتى اليوم . بل أنه جمعه على مقدمته وبعد
 أن انتهت الموقعة « اليرموك » ودفن القتلى ووزعت الغنائم
 والأسلاب . زحف أبو عبيدة إلى بيسان حيث نجحت
 فلول الجيش البرزخى لصد المسلمين عن التقدم نحو الشمال
 يد أن خالد أقعد عليهم خطتهم وأرغمهم على مفادرة
 بيسان حيث تحصنوا بمكان اسمه « القمل » فانيهم خالد
 وحصرهم واستطاع أن يرغمهم على التسليم بعد فترة وجيزة
 وفي ذي القعدة من سنة ١٣ هـ سار خالد نحو دمشق
 لحصارها . وعلى مسافة قليلة منها عسكر انتظروا لأوامر
 الخلافة .

وفي شهر المحرم من سنة ١٤ هـ وصل خالد إلى دمشق
 وأبقى عليها الحصار وكان يعاينه أبو عبيدة وعمر بن العاص

وزيد بن أبي سفيان وشرحبيل ، وكل منهم على ناحية من
أسوار دمشق النخبة وقد وصلت الأنباء إلى هرقل ،
فأرسل فرقة الفرسان لاجتادها فصدتها خيول المسلمين
التي عند حمص . وكان أبو عبيدة قد فرق جيشه إلى فرق
وعين لها مراكز تمتد من خل إلى حمص شمالا وفيها بين ذلك
الجنود موزعة على مراكز وكائن - فأكادت جيوش
هرقل تغادر حمص ، حتى أوقع بها جند المسلمين . وهزموها
شر هزيمة . فقلت لا تلوى على شيء .

ولما اشتد الحصار على أهل دمشق ، طالبوا الصلح
فصالحهم أبو عبيدة والقواد الآخرون . عدا خالدًا فإنه كان
قد سبقهم إلى دخول دمشق عنوة ، فقتل وأسر وغنم ،
ولذلك كان فتح الناحية التي دخل منها خالد عنوة ، وبغية
نواحي دمشق فتحت صلحًا

وبعد فتح دمشق ، صرف فرقة خالد إلى العراق ،
وأمر عليهم هاشم بن عتبة ، واسنيق خالدًا معه وأمره على
مقدمة جنده ثم استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق ،

الذي مد فتوحه إلى سواحل دمشق ، فاستطاع أن يضم
إلى ولايته مدن صيدا وعرفة ، وجبيل ، ويروت ، وكان
على مقدمة يزيد أخوه معاوية^(١)

كذلك أرسل أبو عبيدة ، شرحبيل ومن معه إلى
يسان ، فضمها صلحا ، كما ضم بعض قواد أبي عبيدة مدينة
« طبرية » ونزل أهلها على حكم المسلمين فجعلهم كأهل
« دمشق » .

وفيما كان أبو عبيدة يستولى على القسم الأكبر من
سوريا الشمالية كان عمرو بن العاص ، بحمر في فلسطين النصر
تلو النصر أما الحاكم الروماني المسمى « ارطيون » فكان قد
حشد جيشا كبيرا للدفاع عنها ، كما مرز ، في الوقت نفسه
حاميات القدس وغزة والرملة ، ونزل ميدان القتال بنفسه
في أجنادين إحدى القرى الواقعة شرق القدس (إيليا)
الواقعة بين الرملة وبين بيت جبرين من أعمال فلسطين^(٢)

(١) ابن الأثير والحضري ، ومذكرة الدكتور زياده

(٢) ابن الأثير ج ٢ ص ٢٨٦

واسكن لم يحض قليل وقت حتى وحف فواد العرب إليهم ،
 وكان القتال الذي حى وطيسه حتى كاد يفوق اليرموك ،
 وقد بذل عمرو جهداً جباراً في هذه المعركة ، إذ أحكم رسم
 الخطط وسبر غور عبقريته الشهيرة في الدهاء والخذاع ، ضد
 عدو شديد المراس حتى استعاض أن يظفر بذلك النصر الذي
 قضى على الدولة البيزنطية إلى الأبد في الشرق الأدنى ،
 وشواطئ آسيا الغربية على بحر الروم (البحر الأبيض) .
 وما يذكر عن عمرو ، أنه بعد أن عسكر ببيته قبالة
 أرطبيون قائد الروم ، وطالت المدة ، ولم يستطع أن يستدرج
 الروم إلى القتال ، سار عمرو إلى أرطبيون في هيئة رسول
 لعمرو ، فدخل عليه ، وأبلغه ما أراد وسمع كلامه ، وتأمل
 حصونه حتى عرف ما أراد ، فيقال أن أرطبيون فطن به
 وقال : لا شك أن هذا هو الأمير أو من يأخذ الأمير
 برأيه . وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله .
 ثم أمر إنساناً أن يقدم على طريقه ليقتله إذا مر به ، ففطن
 عمرو لفعله . فقال له : قد سمعت مني وسمعت منك ، وقد

وقع فولك منى موفعا . وأنا واحد من عشرة جثتا عمر
 ابن الخطاب ، إلى هذا الوالى لتكاتفه وبشهادنا أموره ،
 فارجم فأتيتك بهم الآن ، فإن رأوا القى عرضت على الآن
 فقد رآه الأمير وأهل العسكر . وإن لم يروه رددتهم إلى
 ما منهم ، وكنت على رأس أمرك : فقال أرطبيون نعم ، ورد
 الرجل القى أمر بقتله : وقل للمرو انطلق وحى بأصحابك ،
 فخرج عمرو من عنده ، ورأى أنت لا يمود إلى مثلها
 وهلم الروى أنها خدعة اختدعه بها ، فقال : خدعنى الرجل .
 هذا أدمى الخلق ^(١)

ويقال أن هذه الحادثة بلغت عمر بن الخطاب . فقال :

له در عمرو .

وقد كان هذا الأسلوب من عمرو في حروبه ، من أهم
 العوامل التى أحرز بها النصر . إذا استطاع فى مثل هذه
 المقامرة الناجحة أن يطمع رأى قائد الروم ، وأن يشهد بنفسه
 المدد والمدد التى ستقابل جنده بعد قليل .

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٧ .

وكان ذلك النصر في سنة ١٥ هـ في أصح الروايات .
 وكان من نتائج هذا الانتصار في اجتادين ، تسليم عدة
 مدن مهمة في دولة الروم . مثل نابلس ويافا وعسقلان وغزة
 والرملة وعكا كما أسلفنا .

وكان في القدس (ايليا) حامية قوية قاومت مدة طويلة
 ثم أعلن بطريرقها رغبته في الصالح ، على أن يسلم المدينة
 للخليفة نفسه : وعندئذ سار أمير المؤمنين في غير ما تردد
 إلى الشام لا يصحبه غير خادم واحد ، وكان في استقباله في
 الجابية وقد من أهل دمشق . فأعطاهم أمانا لأنفسهم
 ولسكنائهم على أن يدفعوا الجزية ، ومن ثم شخص مع
 الوفد إلى القدس . فاستقبله على أبوابها البطريرق « صفر ونيوس »
 فدخلها الاثنان وهما يتعادنان ، ويقال : أن الخليفة امتنع
 عن الصلاة في كنيسة القيامة التي اتفق وجوده فيها وقت
 الصلاة ، فصلى على إحدى درجاتها . وقد قال الخليفة في ذلك :
 أنه لو صلى في قنائها لنقض المسلمون العهد في المستقبل
 بحجة الاقتداء به في الصلاة :

ثم منع وفد الرملة شروطا كالى منحها لو قد القدس
أما اليهود الذين كانوا قد ساعدوا المسلمين على الفتح . فقد
أفرج على أملاهم وأعفاهم من الضرائب .

وعندما شقت القبائل الأرمنية والكردية عصا الطاعة
أرسل إليهم الخليفة قوة كبيرة . فانزلت بهم أشد أنواع
العقاب أما هرقل فاته ظفر بمقد اتفاق مع المدن الكبرى
التي لم تكن قد أذعنتم بعد للتسليم للعرب . ولكن الخليفة
عندما علم بهذا أنفذ إليهم جيشا كبيرا لقتالهم .

وفي هذه الأثناء أخذ هرقل بمحاول المحاولة الأخيرة
في معركة حاسمة ضد العرب .

ولذلك أعلن التعبئة العامة في جميع أقاليم الامبراطورية
وقد جاءته الجيوش تترى من مصر والاناضولى ، وارمينية
وليبيا وغيرها . وبلغ ما حيشه من المقاتلة حوالى ١٦٠ مائة
وستين الف مقاتل بينما جنود الاسلام لا يبلغون الاربعين
ألفا تنقصهم أسلحة الروم ، واستعداداتهم ، ولكن لهم
قلوبها ، تكن فيها إيمانا قويا . وثقة بالنصر والظفر .

ولهذا فأكاد الروم يغيرون على أرض فلسطين ،
ويستولون على بعض مدنها وقراها حتى وصلت الأنبياء إلى
القيادة الإسلامية في الشام ، فأصدرت أمراً إلى جميع الفرق
بالاستعداد للقاء العدو .

ونشب القتال في فلسطين . واهتمصر العرب على الروم
وأخرجهم نهائياً من أرض الشام ، وأرض المعاد ، ونش
هرقل نهائياً من استرداد هذه البلاد ، ولذلك عزم على
الرحيل من أنطاكية التي أصبح العرب قاب قوسين منها .
إلا أنه أراد أن يودع كبار المسيحية وأعوانه الوداع الأخير
فجمع كبار قومه في حفل حافل في كنيسة أنطاكية يستشيرهم
فيما يعمل - ولكنه في هذا الوقت ، كان كأن عقله قد فلج
نم عرض للبحث في أمر هؤلاء العرب الذين أغاروا
على بلاد الإمبراطورية ، ولم يشعر مدم بعد . مما جعله
يقن بأن المسألة ليست أغارة كخواتها السابقة حين كان
هؤلاء الأعراب . يغيرون فيردم بحفنة من فتات المائدة ،
أو دربهات من ضرب العقولة الرومانية الكبرى بل في

هذه المرة تغزاة فأنحون ، مصممون على نشر مبادئ
جديدة لم يهددها الروم من قبل .

فهذه ألقاب جديدة تفدق على قواد الحملة ، وهؤلاء
صنف جديد من العرب لم يعرف من قبل ، وهذه فنون
عسكرية لم تدبر الدولة العظمى غورها بعد .

ليس القوم منلاب دنيا فضلا عن زاد أو ملبس ، ولا م
دعاة جاء وتفوذ ، قلوبهم الخرق الممزقة ، بل أنهم ليغفرون
بهذا الطراز من اللباس وينشدون بهذا اللون من الحياة
الرائحة الوضيمة . إن الثياب على هؤلاء شرب من المستحيل
بل هو المستحيل بعينه .

لقد نواتنا رسالهم جميعا على ثلاث ثلاث ، يشد واحد
عنها ، لم يحور فيها ، ولا يبدل من صرامتها .

كلهم يقول : الاسلام أو الجزية أو المناجزة : أى
بلاء ذلك الذى نزل بالاميراطورية ، ان ذكر القوم : مجرد
ذكر أسمائهم (سيف الله) أمين الأمة - الفاروق -
الصديق اباى الرعب فى أشجع الروم قاليا ، فما بالك يجند

لا جامعة بينهم ، ولا هدف لهم . جند الامبراطورية كاهن
مرتزقة مأجورون ، ما يكاد الواحد منهم يعرض عليه الدفاع
عن شرفها حتى يساوم : بكم قرش هذا الدفاع ، وإذا انتصر
فدكم ديناراً يمنع . تلك غاية الجيش ، وهدف الضباط .
ما أمر الحياة ، في هذه البلاد . فلنقادرها ، ولنحاول
تحصين مصر ، قلعل فيها سلوى انا من فقد الشام
وأرض الامماد .

• • •

ما نخلال هرقل الا وقد دار بخالده كل هذا بيد أن شيخاً
كبيراً لم يدعه بطيل التفكير . بل قام وأخذ يبدى أسفه على
الموقف الذي وصل إليه الامبراطور ، والمسيحية بأسرها ،
وتقصرها عند حماية الصليب في أرض الصليب . قال ذلك
الشيخ أن الروم يعذبون اليوم لمصيبتهم كتاب الله وتطاحنهم
فيما بينهم وتخاذلهم ، ولما يرتكبون من الربا والقسوة . وكان
عليهم أن يؤخفوا بذنوبهم .

كان قول ذلك الشيخ فصل الخطاب . فاحس الامبراطور

بضعف الجسم ووهن العقل ورأى الحظ يتمثر به وعرف أن
مقامه بالشام قد أصبح لا غنا فيه. فرحل عنها إلى القسطنطينية
في البحر في شهر سبتمبر سنة ٦٥٦ هـ وقال إذا هو راحل
وداعا يا بلاد الشام ، وداعا ما أطول أمدك .

ويقال إن هرقل استطاع أيضا أن يحمل معه الصليب
الأعظم وبقيّة مخافتات المسحية ، حيث وصل إلى خافيدونية
حيث كان يقيم في قصره إلى جوارها ، ثم سار إلى قفرو
إلى بيزنطة حيث أودع هذه القديسات النصرانية كنييسة ابا
صوفيا وبذلك ختمت سيرة الروم في الشام إلى الابد .
ولكن هل يقع العرب بالشام وأرض المهاد ، وهل
يظنون هدمًا لهؤلاء الروم المتأخرين في ودي النيل (مصر)
فألك ما ستحدث عنه فيما يلي

فتح مصر

بعد أن سلم البطريرق اصفرة ، يوسف ، الشيخ مدينة بيت
القدس ، سار عمرو بن الخطاب الخليفة عمرو بن العاص القائد
وذاهبًا نحو الشمال ، وقد أخذ الخليفة عمرو بن العاص

ممدد الجيش المحاصر لقيصرية.

أما الخليفة فقد أقام في دمشق ولعل عمرا قد أغضى إليه
 برأيه في فتح مصر منذ كانا في بيت المقدس، ولكن الخليفة
 رأى أن وقت ذلك لم يكن بعد. فلما ظهر العرب وانتهت
 الحرب أو كادت، عاد عمرو إلى عرض رأيه. وجعل يبين
 للخليفة ما كانت عليه مصر من الغنى، وما كان عليه فتحها من
 السهولة وقال أنه ليس في البلاد من هو أقل منها قوة ولا
 أعظم منها غنى وازودة ثم قال: أن حاكم الروم على بيت
 المقدس وكان قد هرب من المدينة قبل تسليمها فد لاذ
 بمصر وإيه كان يجمع فيها جنود الروم وأن العرب ينبغي أن
 لا يتركوا الوقت يضيع سدى. بل يجب أن يأخذوا على يد الحاكم
 الروماني قبل أن يشتد خطرهم: على أن مصر ستكون بعد فتحها
 قوة للمسلمين، وظهر مزاياهم يستمتعون بغناها ويخصمون
 بخيراتها وأن من المؤكد أن هذا الكلام من عمرو في الاجتماع الذي
 عقد بالجالية في سنة ٦٣٠ م، صادق هو من عمر، ولكنه كان
 يقدر المصاعب التي قد تعرض لها حملة تقصد أرض الفراعنة

ففيها جيش قوى من جنود الروم المجهزين السكثري العدد
 والسكن الفارات المتواليبة التي أخذ الروم يشنونها على أملاك
 المسلمين بالشام تستدعي الجند والتمكبر في وضع حد لهذه
 الاستفزازات والمتكررة وهن من الممكن أن يبقى المسلمون
 بجوار الروم ويحتدى هؤلاء على أراخينهم ، ويقفون
 مكتوفي الأيدي لا يبالون بمصيرهم ولا يقابلون الاعتداء
 بالمثل ، فتسقط هيبتهم من نفوس الروم . ولهذا كان الخليفة
 يتنازع عاملان عامل السلامة والاحتفاظ بالجيوش الإسلامية
 ريثما تستجم وتتجهز وعامل الوقاع عن كرامة الدولة ،
 وتأمين ممتلكاتها في الشام وفلسطين .

ولقد رأى عمر أن فتح مصر فيه خير المسلمين ، ولكن
 ظن أن عمر يقلل من من الصعوبات التي قد تترصده في
 فتحها ، وكان عمر في ذلك الحين لا يمكنه أن ينفذ جند
 الشام فيقطع منه جزء يسير إلى مصر ، وفيصرية لا تزال
 صامدة للحصار ، ويترجم المقاومة فيها قسطنطين بن
 الأميراطور .

على أن عمرا استطاع أن يفتح قيسرية وإن ورغم نجل
الامبراطور على الفرار^(١)، وحينئذ عاودا الحديث مع الخليفة
في فتح مصر، ورجاء أن يأخذ له بجيش لا يزيد عن أربعة
آلاف رجل نوعده أمير المؤمنين أن يفكر في المسألة
استشار الخليفة مجلس شواره، فأوصى بالحذر والناة
وعدم الجري وراء عمرو بل وينبغي لفته إلى المتاعب التي
تلاحق المسلمين من فتح مصر.

غير أن الخليفة كان راغباً في فتح مصر وأما تردد بسبب
الظروف التي أشرنا إليها وذلك أذن لعمر وفي المسير إلى مصر
على أن يرجع أن وصله كتاب منه قبل أن يدخل الحدر
فليسر على بركة الله تعالى فسار عمرو بن العاص في الليل
بجيشه الصغير، ولم يصادفه حادث ما في مسيره حتى صار على
الحدود بين فلسطين ومصر وفي رفع على مرحلة من
المريش من أعمال مصر، وأبصر عمرو رسلاً تسرع على

(١) مختصر تاريخ العرب - و يروي من البلاذري أن فتح مصر
كان وقصيرة محاصرة. ولكن الراجح أن رأينا ما أثبتناه هنا

افراسها إليه تحمل رسالة الخليفة، فاخذ عمرو السير ليصل إلى
الأراضي المصرية، واتفق فعلا بأمنيته. فقد لقنه الرسالة وهو في
العريش، فقبضها فاذا فيها: أنه إذا كان عمرو وقت تسلمه الرسالة
ما زال في حدود فلسطين فليمد من حيث أتى وإن كان قد دخل
أرض مصر فليسر، وعمر مستعد لا مداده بما يحتاج إليه فاطمان
عمر وبعد أن جعل الجنود يشهدون أمام الرسل بأنهم في أرض
مصر فعلا ثم قال لهم: إذن سير في سبيلنا كما يأمرنا أمير المؤمنين
وبحسبنا الدكتور. يتلو عن سبب تردد عمر أخيرا بأن
عثمان كالم الخليفة في عمرو بن العاص، وأنه رجل مغامر فيه
جراءة ونهور، وأنه لا بد مقتحم بالناس المخاطر، ورام بهم
إلى الهاكمة، فخشى عمر خشية عظيمة وعول على أن يأمر
ابن العاص بالارجوع إذا كان ذلك ممكنا ولكنه أحس أن
أن جيش العرب إذا دخل مصر كانت عودته إلى خذلانا
وسبة المسلمين. ويكون ذلك بمثابة الفرار من العدو، وعلى
ذلك أرسل كتابه وتقدم فيه إلى عمرو بما سبق^(١)

(١) فتح العرب من ١٧٤ ليهو.

ومهما يكن من شيء . فقد وصل عمرو بحدود مصر
 بحيث الباق أربعة آلاف فارس كما ذكرناه . وسار حتى وصل
 الفرما تلك المدينة التي تعد مفتاح مصر من شمالها الشرقى ،
 وقد اشتبكك حاميتها مع فرقة عمرو الصغيرة ، ولكن
 المسلمين غلبوا حامية المدينة واستولوا عليها دون كبير عناء
 وبذلك أصبح في يد عمرو معقل يؤمن بخطر جنته وواصلاته
 إذا نزلت به هزيمة في المستقبل وخطورة المهمة التي ستواجهه
 بعد فتح الفرما فانه عمد إلى أسوار المدينة وحصونها فهدمها
 وخربها لينعدم ارتفاع الروم بها في التطورات المتتالية المحتملة
 على أن الروم لم يقهر كوا عندما وصلتهم أنباء (الفرما)
 معتمدين على حامية المدينة في الذود عنها وقد مضى أسبوعان
 من بدء حصار المسلمين لها ، والرومان لا يبدوون أى شيء
 يشمر بأهاليهم بها .

وحوالى ١٥ محرم سنة ١٩ هـ (١٧ يناير سنة ٦٤٠ م)
 سار عمرو في داخل الأراضى المصرية حتى وصل إلى مدينة
 (محدود) إلى الجنوب الغربى من الفرما واستولى عليها ،

ثم ترك فيها حامية صغيرة وانجى حبوب القنطرة قالوا ليس
وفي التل الكبير هزم الروم الذين ماوشوه فيه فهزمهم
واستولى على ذلك الموضع ، ثم واصل عمرو سيره حتى بابليس
فحصرها قرابة شهر ثم فتحها وأبقى بها حامية صغيرة من
جند القليل .

وهكذا ظل عمر يسير حتى وصل الى هليوبوليس
حيث فتح ام دين واحتاها وعسكر فيها ، وكانت شمالى
حمن بابليون ، وموضعها الان حديقة الازبكية ولما علم
الروم بحمد العرب في الفتح وتلك البلاد هب القوقس
ونيو دور رئيس الجيش وشرعا في تجهيز جيش كبير لملاقاة
العرب واستطاع ان يجدهما عددا كبيرا من جند الروم ومتطوعة
القبط وهذا عزم على لقاء العرب بقيادة عمر بن العاص ، وقد
تحصن الروم في بابليون ، حصنهم الشهير في جنوبي ام دين فرأى
عمر ، ازاء هذا التحصن من الروم ، ان يطلب مددا من المدينة
وقد ارسل الى الخليفة بذلك ، فوعده بأنه سيرسل اليه ما يريد
من الجند والاسلح

على ان عمرا اصبغ على شيء من القوة باستيلائه الفرما ، ثم
على أم دين المجاورة لمسكر الروم ، وفي اوقت نفسه رأى
من جن الروم عن افائه ما يجعله يقف موقف المتأنى في
هيبة وبأس

ومما يذكر ان عمر استطاع انشاء مقامه في ام دين
"الواقعة على طرف الهر ، أن يستولى على بعض السفن من
الروم ، يعبر بها الى الشام ، القرى حيث اتجه جنوبا
نحو منفيس عاصمة القراعنة ، فاقى الرعب في نفس الجيش
المتحصن بالحصن ، كما استطاع ان يتصل ببعض أهالى البلاد
ويعرف نواياهم نحو العرب ، كما اتصل بكبار القبط المسيحيين
وأكسب ودهم ومساعدتهم من قبل ، في اغاب الظن ، حينما وصل
الى الفرما تلك المدينة التي كانت عاصمة بالكنايس والقساوسة
من رجال القبط المسيحيين

كانت الفرما اذن مدينة عظيمة ومهمة اذمها يبدأ سور مصر
العظيم الذي بناه القراعنة في غابر الزمن ، الذي سماه العرب
(سور المعوز) وقد تقدم معظم هذا السور وقت مجي عمر الى

مصر ، ولم يبق منه الا النذر من جدرانها التي لا تقبل شعبها عن

جدر الاملاطى الهلرية في سنة ١٩١١ م

واقف ظل عمر وبكيتته الصغيرة مرابطا على الحدود طوال

ايام عيد الاضحي من سنة ١٨٥١ (١٢ ديسمبر سنة ١٨٥٩) حتى تمكن

من فتح القما والسير الى ام دنين : نهديد « بابليون » كما سماه :

لم يكن لدى العرب الذين جؤوا مع عمرو بنى من عدة

الحصار ، ولم يكن لهم علم بطرقه ، وما كانوا ليتمكنوا مدينة

الابالمهاجمة وفتح الابواب . اذ يصير الى ان يضطر العدو

الجوع والضيق ، ان ينزل اليهم ، وقد ملك العرب جميع

الاماكن التي استولوا عليها من القما الى ام دنين ، بهذه

الوسيلة الساذجة

اما حاكم مصر الرومانى فيرمس ، فانه عندما علم بخطر

العرب ، واقتطاعهم اجزاء مهمة من ولايته فانه سارع الى

جمع جنوده وعسكر في « بابليون » واخذ يتجهز للقائهم خفر

الخنادق حول الحصن ، واقام الاسوار حول المدائن المهمة

وخصوصا الاسكندرية « عاصمة وادى النيل حينئذ »

وبذلك تأهب قبرس في الجنوب والشمال للدفاع عن
وادي النيل (مصر)

أما عمرو فقد توقف في أم دين ، فأبلا منتظرا المرء
من الخليفة بالمدينة ، وقد سارع الخليفة بمداده وفي أثناء
الامداد ، لم يكف عمرو عن مناوشة اروم . بل انه كما شرنا
عبر النهر وسار نحو الجنوب حتى بلغ مقيس (عاصمة مصر
قديمًا) وشاهد مساكن الفراعنة ، ورأى الاهرام الباسقة
في الجانب الغربي للنيل ، ويجوارها عاصمة الفرعنة ، وإلى
الشاطئ الشرقي صروح الحصن الروماني (بابليون) ثم اتجه
جنوباً على سفح الاهرام ، حتى وصل إلى حدود الفيوم
(بيوم) وكان حاكمها (دومنتياس) محافظ المدينة . اما حاكم
الاقليم فكان اسمه (نيودوسيوس) وكلاهما رومانان
ولما رأى حاكم الفيوم ، ان العرب يريدون اخذ بلادهم ، سارع
إلى الدفاع عنها ، ولكن بعد فوات الوقت . اذ سد عليهم عمرو
بفرقة الصغيرة ، مدفد المجاة بفر الرومان إلى حصن بابليون
تاركين امر الدفاع إلى الاهالي فقام (حننا) النقيوسي قائد

كثيبة الخفراء، وحملا نارومي ميساعده بلقاء العرب وقد حاول
 هذان المصريان ان يعرفا لاسير العرب نحو الجنوب فعدل
 العرب الى الصحراء الغربية وواصلوا سيرهم مستولين على
 كل ما صدقهم من غنم وبقرة وخالوا ساثرين حتى وصلوا
 الهندسا ففتحوها عنوة . وقد استطاع عمرو ان يقضى على
 كثيبة حملا نارومي الذي كان يتبع العرب منذ كانوا في سفح
 لاهرام والان ظفر به ولكل بفرقة من المقامرین ، وكان
 ذلك في بلدة بويط او ابويط من اعمال الهندسا في
 اوجع الروايات^(١)

كان اول سير عمرو الى اليوم حوالي شهر مايو من
 سنة ٦٤٠ ميلادية وقد قضى في غزواته بضعة اشهر اصاعها
 الروم ضياعا حتى أنهم خسروا خساراً كبيراً وغم العرب
 فيها مخاض كثيرة . وبعد ذلك نحو الى شهر وصلت الامداد
 التي بعث بها الخليفة الى عمرو وكان اولها بقيادة لزيير
 العوام ونيفاع كثيبيته حوالي الأربعة آلاف مقاتل . ثم

(١) انظر الجزء ١٩٧ و١٩٨ و١٩٩ من تاريخ العرب

كتيبتان أخريان يبلغ عددهما ثمانية آلاف وبذلك أصبح
عدد الجنود العرب اثني عشر ألفا إلا قليلا . وهذا المدد
التقى عمرو وهو القائد العام للجيش العربي بجنود الروم
بقيادة قيس (المقوقس) حاكم مصر الروماني . وبطبيعة
الحوال كان تحت إصراره قواد فرق ياتقرون بأمره سجل
منهم الدكتور بتر . تيودور وأنتاسيوس وتيودوسيوس
وغيرهم مما لا ضرورة لذكره . وعلم الروم أن هذا الجيش إنما
يهدف إلى انتزاع هذه الولاية الغنية من إمبراطوريتهم ولذلك
تربصوا بهم قبل أن يفيض النيل لتكون بينهم وبين العرب
موقفة فاصلة على أرض تاهية والسكنهم رغم كثرتهم عجزوا
عن القيام بأي عمل يذكر في ضد العرب .

لقد استطاع عمرو في أفصر فترة أن يملك مدنا وأراضي
عظيمة في إحدى النيل قبل أن تصل إليه أمداد من المدينة
فهذه الفرما ونايبس وأم دنين ومنفيس والأهرام والفيوم
والبهنسا وبويط من أعمالها وما بين العريش والبهنسا تحت
قبضة العرب ، فلما جاءت الأمداد وبلغ جيش العرب

أربعة أضعافه لم يكن من المستطاع على الرومان أن يصمدوا
لهذا الجيش وقد عجزوا أن يصمد وربع عددهم من قبل .

وإذ لم يكن يتم من المناجزة فقد التقى العرب بالروم
في مواقع تعتبر حاسمة من أهمها موقعة عين شمس
(هليو بولس) ثم أخيرا حصار حصن بابليون الذي تجمع
فيه الجيش الروماني ولم يستطع أن يظهر بأنفسه للعرب على
أو موقعه عين شمس (هليو بولس) .

ولذلك رأى المقوقس (فيروس) أن المسألة قد أصبحت
في غاية الحرج . إذ أصبح العرب سادة البر ، وهم المسيطرون
على النيل .

وحسوا إلى شهر سبتمبر من سنة ٦٤٠ م . بدأ حصار
حصن بابليون ، وقد ضيق عليه عمرو الحصار حتى اشتد
الحال على الروم الموجودين فيه ، ولا خلاف بين المؤرخين
أن فيروس (المقوقس) كان في الحصن عندما بدء الحصار ،
وكذلك نبودورة ثد الرومان المشهور ، وأمل الرجلين قد
فرا بعد موقعة هليو بولس ، وعاداهم هذا الحصن الثمين ،

وكان في الحصن غير قيرس حاكم مصر ، وجورج والاعرج
قائد الحشد ، كثير من أهالي مدينة مصر والأدرة المجاورة ،
والتي كانت منتشرة شرق الحصن تلك البقعة التي كانت
عاصمة بالذخيل والأغتاب ، والكنايس المسيحية .

لقد ظل المقوقس ، ومن يحيط به في بابليون آمنين
على أنفسهم فترة غير قليلة ، وكانت مجانيقهم التي لا تكف
عن رمي العرب ، قد جمعت هؤلاء ، بنفذ صبرهم ، فهدموا
أهل الحصن وأبلا من مجانيقهم وسهامهم ، حتى أيقن الروم
أن لا يد لهم من التسليم يوما ما للعرب وأخيراً اتفقت
كلية الروم . على أن يفاوضوا العرب في بذل جزء من المال
لهم ، ويرجموا عنهم ، وأن يكون دفع المفاوضات برئاسة
قيرس (المقوقس) حاكم مصر .

وقعلاً ، فتح الباب الجديد المؤدى إلى الهرم ، واستقل
الوفد السفن ، وعبروا إلى جزيرة الروضة ، فلما بانها أرسل
إلى عمرو جماعة على رأسهم اسقف بابليون ، فلقاهم عمرو
وأكرم وفادتهم . فأدوا رسالتهم ، فقالوا :

«أنكم قوم قسود ولجتم في بلادنا والمحتم على قتالنا
وطال مقامكم في أرضنا وإنما نتم عصبة يسيرة وقد آظمتكم
الروم وجهزوا اليكم ومعهم من المدة والصلاح وقد احاط بكم
هذا النيل وإنما أنتم أسارى في أديتنا ، فابعثوا إلينا رجالا
منكم نسمع من كلامهم فاعلمه أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم
على ما نحبون ونحب ويتقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تنشأ
جوع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا تقدر عليه ولعلكم أن
تندموا ان كان الأمر بخلاف ما نطلبكم » .^(١)

ولكن صمرا لم يبعث جواب ما أرسلوا من أجله .
وحبس الرسل عنده يومين حتى يروا حال المسلمين .
ومرح لهم بالسير في معسكر المسلمين ، ثم بعث بكتاب
مع الرسل إلى المقوقس قال فيه : « ليس بيني وبينكم إلا إحدى
ثلاث خصال . أما أن تدخلتم في الإسلام فكنتم أخواتنا
وكان لكم مالنا ، وإن أبيتم فأعطينا الجزية عن يد وأنتم

(١) فتح العرب لمصر من ٢٢٣ الترجمة العربية

صاغرون ، وأما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله
بيننا وهو أحكم الحاكمين ،

على أن المقوقس ، قد خرج عند ما رأى الرسل قد
عادوا ، بعد حبسهم عنه ، مما جعله يظن أن عمرأ قد قتلهم ،
فلما نقيه الرسل سألهم عن حال القوم ، فقالوا : رأينا قوما
الموت أحب إلى أخدم من الحياة ، والتواضع أحب إلى
أخدم من الرفعة . ليس لأخدم في الدنيا رغبة ولا نية
أنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم . وأميرهم كواحد
منهم . ما يعرف رفيههم من ومنيعهم ولا السيد منهم من
العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتأخف عنها منها أحد ،
يغسلون أطرافهم بالماء ويختمون في صلاتهم . وقد رأى
قيس أن القوم - وهذه نعمتهم . لاتصالح معهم المداورة
ولا تقوى الروم لهؤلاء على المناجزة ، ولذلك أخذ يستعد
لصالحه العرب ، فأرسل إلى عمرو أن يبعث إليه جماعة من
ذوى الرأي ليفاوضهم في مسألة الصالح ، فبعث عمرو عشرة
نفر ، أخدم عباده من الصامت - وكان عبادة اسود شديد

السواد وأمره أن يتكلم عن القوم وأن لا يجيب الروم عن شيء .
 يدعوته اليه الا إحدى هذه الخصال الثلاث وذهب الرسل
 الى المقوقس ، فلما دخل عبادة عليه ، هابه وارتعدت
 قرائنه ، ثم قال : نحوا عنى هذا الأسود ، وقدموا غيره
 بكافى : فقال العرب جميعا : ان هذا الأسود أفضلنا رأيا
 وعلما . وهو سيدنا وخيرنا وانما نرجع جميعا
 الى قوله ورأيه وقد أمره الأمير دوتنا بما أمره وأمرنا
 أن لا نخالف رأيه وقوله ثم قلوا : أن الاسود والابيض
 سواء عندنا لا يفاضل احداً أحداً إلا بالقوى . فقال المقوقس
 فى كثير من الرهبة - لعبادة : تكلم برفق ولا تزعجنى .
 فقال عبادة (رضى) أن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل
 أسود كلهم أشد سوادا منى ، وبني ما أعاب ، ثمة رجل من
 من عدوي لو استقبلوني جميعا ، وكذلك أصحابي . وذلك
 انما رغبتنا ومهتنا فى الجهاد فى الله واتباع رضوانه - وليس
 غزونا عدونا من حارب الله لارغبة فى دنيا ولا طلب
 للاستكثار منها . . . لان غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها

يسد بها جوعه ليله ونهاره وشحمة يلتحفها ... لان نعم الدنيا
ليس بنعيم ، ورخاها ليس برخاء . إنما النعيم والرخاء في
الآخرة .

وبهذا الكلام البين ، أثر عبادة في نفس المقوقس ،
فالتفت هذا لأصحابه وقل لهم :

« هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل : إن هذا وأصحابه
قد أخرجهم الله لخراب الأرض » ثم أقبل على عبادة فقال
« أيها الرجل الصالح . قد سمعت مقاتلك وما ذكرت عنك
وعن أصحابك وأمرى ما بلغتم ما بلغتم وما ظهروهم
على من ظهروهم عليه إلا طيهم الدنيا ورغبتهم فيها ، وقد
توجه الينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده قوم
معروفون بالتمجدة والشدة لا يبالي أحدكم من لقي ولا من
قاتل وإنا لنعلم أنكم لن تقدرُوا عليهم ولن تطيقوا لضعفكم
وقلتكم ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن تفرض
لكل رجل منكم دينارين ولأمركم مائة دينار وتخليفتكم
ألف دينار فتقبضونها وتصرفون إلى بلادكم »

ومع أن هذا الكلام لم يكن غريباً فحسب من حاكم مسئول،
 لأعظم امبراطورية في ذلك الوقت على مصر، فانه
 - في نفس الوقت - مدهش غاية الدهش، بعد أن
 رأى قوة المسلمين لافي الشام، بل في مصر نفسها، ثم سمع
 عبادة يتكلم لامباً لرسالة فقط، ولكن كداعية مباديء
 وواعظ قوم لم تعظم الأيام. وندع عبادة (رض) يرد على
 هذا المقوقس المتغابي عن الحوادث، بل عن الحق. قال
 عبادة رضي الله عنه :

« يا هذا لا تفرق نفسك ولا أصحابك أما ما نخوفنا به
 من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلم نرى
 ما كان هذا بالذي نخوفنا به. وإن كان ما قلتم حقاً فثلك والله
 أرغب ما يكون في قناتهم وأشد حرمنا عليهم لأن ذلك
 أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه إن قتلتنا عن آخرنا كان
 أمكن لنا في رضوانه وجنته، وما شيء أقر لأعيننا ولا
 أحب لنا من ذلك وإنا منكم حينئذ لعل إحدى الحسنيين
 أما أن تعظم لنا بملك الغنيمة في الدنيا إن ظفرتنا بكم أو غنيمة

الآخرة إن ظفرتهم بشا وأنهما لا يحب الخصلتين إلينا بعد
 الاجتهاد منا وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه : كم من فئة
 قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومما منا
 رجل إلا وهو يدعوه ربه صباحا ومساءً أن يرزقه الشهادة
 وأن لا يردده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده
 وليس لأحد منا ثم فيما خافه وقد استودع كل واحد مناربه
 وأهله وولده وإنا عننا ما أمانا فانظر الذي تريد فبينه لنا
 فإيس بيننا وبينك خصلة تقبها منك ولا نجيبك إليها إلا
 خصلة من ثلاث فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك في
 الباطل بذلك أمرني الأمير ، وبها أمره أمير المؤمنين وهو
 عهد رسول الله (ص م) من قبل إلينا فحاول فيرس أن
 يستنزله عن شيء من الخصال الثلاث ، فلم يفلح ، فبين له
 عبادة أنهم لا يملكون التبديل والتعديل ، لأنه وسائر
 المسلمين متبعون في هذا لا مبتدعون ، ثم قال له وقد رفع
 يديه إلى السماء لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب
 كل شيء مالكم عندنا من خصلة غيرها فاختاروا لا أنفسكم ،

ولما يئس المقوقس من طلب التعديل في مقترحات المسلمين الآتية الذكر ، دنا أصحابه الى التشاور على ضوء هذه المقترحات العربية . فقالوا : أما الأمر الاول - وهو اعتناق الاسلام - فلا نجيب اليه أبدا ، فلن نترك دين المسيح الى دين لا نعرفه ، وأما الثاني - وهو دفع الجزية - فانا إذا أذعنا للمسلمين ودفعنا الجزية لم نعد أن نكون عبيدا والموت خير من هذا ، فقال عبادة : أنكم إذا دفعتم الجزية كنتم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم ، وتركتم لكم إدارة بلادكم ، فتصبح جميع الوظائف في أيديكم ، كما سنحفظ لكم كنائسكم فلا يتعرض لها أحد بسوء . ولما شرح لهم عبادة موقف العرب منهم بعد خضوعهم وقبولهم الجزية ، مالت نفس المقوقس الى المسألة ، ودفع الجزية . ولكن كبار القوم تازعوا المقوقس ، ومالوا الى القتال . أو يهادنوا العرب مدة شهر ليروا رأيهم ، ولكن عمرا لم يقبل مهادنتهم أكثر من ثلاثة أيام وعليهم أن يقولوا كلمتهم خلالها وإلا فالمناجزة لا محالة

ومع أن المقوقس قبل الهدنة كما أراد عمرو ، إلا أن
القوم وخصوصا جنود هرقل ، لم يستطيعوا الصبر على القتال
فتأروا ونجھزوا للقاء العرب خارج الحصن ، وما جاء اليوم
الرابع حتى باغتت الروم العرب من فوق فئاظهم .
ولكن العرب كانوا حذرين فلم تذهلهم المباغثة ،
فاسرعوا الى أسلحتهم وأوقفوا بهم هزيمة منكرة ، وفر من
نجاة منهم وعاذ بالحصن ، وأغلقوا على أنفسهم الابواب أما
المقوقس ، فانه وجد في هزيمة الروم تعزيزاً لآبائه في قبول
الصلح ، فدعا كبار قومه مرة أخرى على أثر الهزيمة وعرض
عليهم ما أبوه عليه بالأمس فوافقوا مكرهين ، فاسرع
المقوقس عند ذلك الى النهر وعبر الى الجانب الغربي حيث
العرب وعلى رأسهم داهيتهم عمرو بن العاص ، فلقية وأبرم
معه شروط الصلح على أن يدفع الروم الجزية عن يدوم
صاغرون ، وبعد إبرام هذه الشروط سافر المقوقس الى
الاسكندرية حيث أرسل ملك المعاهدة العربية المصرية
الى الامبراطور في بزنطة ، وبها ملحق خاص بين

فيه الأعداء التي أجهت إلى إرامها . بيد أن الامبراطور لم
يتبين - على ما يقال - كنه هذه المعاهدة وهل هي تسليم
لبابليون وحده أم تسليم لوادي النيل كله ، ولذلك بعث
برسالة مستعجلة إلى فيرس يستدعيه فوراً إلى القسطنطينية
لقابلته .

وصل فيرس إلى حضرة الامبراطور ، وفصص عليه
قصة الحرب بينه وبين العرب ، وقد عقب على ذلك بتبرئة
ساحته من وصمة الجبن والخيانة ، ثم كرد للامبراطور عزمه
على طرد العرب يوماً ما وأن كل ما فعله إجراء وقتي
أملنه الظروف القاهرة .

وأما الأموال التي دفعها فيرس إلى العرب في شكل
جزية ، فانه من السهل عليه أن يجي بمقدارها وأكثر من
متاجر الاسكندرية وجاركها فيعوض ذلك ما خسرته
خزانة الامبراطورية ، من مال مصر الذي كان كل غايتها من
احتلالها .

على أن فيرس ، لم يخف عن الامبراطور ما لمسه في

العرب من غرابة وشدة بأس لم يمهدها في غيرهم من سائر
 ألوان البشر، فهم كما أبانوا أنفسهم، قوم لا يميأون بأمر
 من أمور الحياة ولا زخارفها، ولا يطلبون منها إلا لقمة
 يسدون بها الرمق وتثمة يستقرون بها العودة. إنهم قوم
 الموت، الموعودون بملك الدنيا

وتمثل هذه الأقوال كان الموقفس يتحدث الى مولاه
 امبراطور الغرب العظيم وحامي المسيحية في الشرق والغرب
 على أن المهم أن الحصن لم يفك عنه الحصار بعد. فقد
 كان فيرس قد رضى بشروط العرب ووعد بأن يوقعها من
 الامبراطور ثم بعد ذلك يخرج لحضور جيوش الروم من
 الحصن الى حيث يذهبون إلى آسيا الصغرى.
 ثم لما ذهب فيرس الى الامبراطور وعرض عليه الحالة
 وطلب منه الموافقة على معاهدة سنة ٦٤٠ - ٦٤١ م لم يقبل
 الامبراطور وبذلك أصبح فيرس في موقف حرج بين
 العرب وبين الروم.
 وبلغت أخبار فيرس في بيزنطة مسامع العرب،

فاستمدوا لفتح الحصن بالقوة وكان النهر قد انخفضت مياهه
 مما أصبح من الصعب معه أن يحصل الروم الذين في الحصن
 على حاجتهم من الماء العذب الصالح ، فكان يخرج منهم جماعات
 ليتزودوا بحاجاتهم من ماء النيل ، فيتعرض لهم العرب
 ويقتل الفريقان فتكون الدبرة طبعاً على هؤلاء الروم
 المحصورين ، وقد ظلت الحال كذلك فترة غير قصيرة .
 الروم محصورون في الحصن لا يخرجون إلا في غلة العرب
 والعرب يوقعون بكل جماعة يخرج من الروم . ولقد عمت
 أخبار فيرس عن أهل الحصن ، وكل ما بلغهم أن الامبراطور
 قد غضب على حاكمهم ، ولكنه لم يصنع شيئاً لانقاذهم من
 الحصار .

وفي مارس من سنة ٦٤١ م سمع أهل الحصن تكبيراً
 عالياً في معسكر المسلمين على الضفة الاخرى للنهر ، فلما
 استظلموا الأمر علموا أن الامبراطور هرقل قد فارق
 الحياة ولكن الحصن رغم الكارثة التي حلت بعميد المسيحية
 والامبراطورية ، ظل حوالى الشهر يقاوم جند العرب

وحينئذ صمم المسلمون على فتح الحصن ولو كان في ذلك ذهاب نفوسهم ، فقسام الزبير ابن العسوام ، ونادى في الناس من بهب نفسه في سبيل الله ، فتبعمه كثير من المسلمين وانجهوا نحو الحصن ، ودارع الزبير فوضع سلما على السور ولم يفتن اليه أحد ، حتى صعد سور الحصن وكبر شعارا سيفه ، وتبعه المسلمون الذين تسلفوا خلفه ، وأمطر الجميع من في داخل الحصن وابالا من سهامهم .

وعند ذلك اجتمع كبار القوم وعرضوا الصلح بدل سفك الدماء ، ونولى ابراهم المقدج جورج - وهو القائد الاعلى للروم - مع القائد العربي عمرو بن العاص ، الذي اشترط على جورج أن يغادر جنوده بابليون في مدى أيام ثلاثة فقط وأن يتخفوا سبيلهم في الجلاء نهر النيل ، وان لا يحمل الجيش الروماني معه سوى ما يلزمه من الاقوات لبضعة أيام وأما الذخائر والاسلحة وجميع ما في الحصن فيصبح غنيمة للمسلمين وأن يدفع بابليون الجزية للمسلمين .

وكان فتح الحصن في يوم الجمعة (٦ من ابريل سنة ٦٤١)

وكان خروج الروم منه يوم الاثنين ٩ منه وهو عيد الفصح
عند المسيحيين ، وقد ظل الحصن يقاوم قرابة سبعة أشهر في
أصح الروايات (١) .

وبعد أن جلا الروم عن الحصن ، وملكه العرب
أصبحت بابليون وما جاورها تحت قبضة الساميين . وبذلك
دان لهم معظم وادي النيل . ولقد أمر عمرو بعقد جسر بين
الروضة وبابليون فوصل بذلك الجزيرة بالحصن .

هذا وبعد تسليم الحصن أخذ عمرو في إرسال السرايا
لفتح البلاد في الوجهين القبلي والبحري حتى أخضعها في
فترة قصيرة ، وبذلك لم يكن أمامه إلا ألكندرية ، وهي
العاصمة الكبرى للدولة المصرية ، والعاصمة الثانية للدولة
الرومانية الشرقية ، وقد رأى أن لا بد له من فتحها وملء
الروم منها ، وإلا فإنه لم يصنع شيئا لأن مركز الحكومة
لا يزال في قبضة الروم .

ولم يكن الصلح الذي عقد في بابل يون سوى عقد
 حربي على من في الحصن ، فأمسهم عمرو نظير تركهم لكل
 ما يملكون ، وفرض الجزية على أهل البلاد
 ولكن هذا الصالح أحدث في دولة الروم أورا بعيد
 المدى ، مع أنه لم يكن الا صاحبا مفسورا على جماعة صغيرة
 وذلك لمساكنة بابليون ومفيس في نفوس الروم ، مما جعل
 هؤلاء يداخلهم الضعف والوهن أمام العرب ، إذ بمجرد أن
 يحسوا بسيرم نحو الاسكندرية ترى حامياتهم في (نقيوس)
 بمصر السفلى - وهي من أعظم المدن التي ركزت بها جيوش
 هائلة - ترى الروم على رأسهم قائدهم يفرون الى الاسكندرية
 وهكذا في سائر المدن الواقعة بين بابليون^(١) والاسكندرية
 لم يصادف العرب في واحدة منها مقاومة تستحق الذكر
 سوى هكريون ، المنيدة أما في الاسكندرية ، فقد استعد
 الروم بجيش جرار بلغ حوالي ٥٠ ألف مقاتل عدا

(١) انظر بئر ص ٢٥٠ - ٢٥٤ في فتح العرب لمصر

الامداد التي توالى ارسالها من بزنطة الى الاسكندرية ،
 كما أن أسوار المدينة كان لها كبير الامر في صد العرب عنها
 في أول الامر .

يبد أن العرب ضربوا الحصار على المدينة ، من جهة
 البر ، وقد استمر حوالى أربعة أشهر نظرا لانصال المدينة
 بالقسطنطينية من جهة البحر ، فكانت تصل اليها حاجتها
 من الاسلحة والافوات .

واكن موت هرقل ، وضعف الروم بعد موته ،
 واضطراب دولتهم ، ثم كره أهل الاسكندرية للحكم
 الروماني ومساعدة طريقها للعرب رغبة في استقلاله عن
 الدولة الرومانية البيزنطية . كل ذلك ساعد العرب على أن
 يفتحوا الاسكندرية ، ويطردوا الرومان منها وكان ذلك في
 سنة ٦٤١ م . وفتح الاسكندرية أصبح العرب يحكمون
 جميع أراضي النيل ومدنه ، لا ينافيهم في ذلك أحد .

ثم التغيرات التي أحدثها العرب بعد فتح مصر ، فمن
 أهمها أولا : نقل العاصمة من الاسكندرية الى النقطة التي

عسكروا بها أولافى بإيليون فبنوا مدينة «الف طاطا» وجعلوها
 مركز الحكومة للدولة المصرية الإسلامية . وقد اختار
 العرب هذا الموقع لتسكون العاصمة متوسطة بين الوجهين
 للبحرى والقبلى لمصر . ثم تقرب العاصمة الجديدة للبلاد العربية ،
 ومركز الخلافة ، وقد سارع عمرو بن حفص بن حفص الذى تفضل
 النيل بالبحر الأحمر ، فسارت السفن من مصر الى الحجاز .
 ثانيا - انضمام كثير من سكان مصر الى العرب اذ
 اعتنقوا الاسلام وأصبحت مصر من ذلك الوقت مركزا
 هاما فى العالم الاسلامى وقل عدد الاسر المسيحية فيها .
 ثالثا - أعاد العرب حفر الترع والجداول التى تركها
 الرومان . وأصلحوا طرق المواصلات وتحسنت حال الفلاحين
 وتدرجوا فى الرخاء والرفق .

كذلك أطلق العرب الحرب الدينية من عقابها وأصبح
 الماسكايون واليعقوبيون يدعون لذهابهم فى حرية مطلقة
 بدون تدخل من جانب الحكومة ، كما أن الحكومة المدنية
 ظلت بدون تغيير يذكر . وبقى الموظفون المدنيون من

الروم والقبط في مرا كزم ، وكل وظيفة خلت حل فيها
مصرى : واكتفى العرب بالاشراف على الحكومة .

أما الضرائب : فقد خففت الى الحد الذى لا يرهق
كاهل المصريين وبالجلة ، فان حالة المصريين تحسنت بوجه
عام وأحسنوا بعدل العرب وظلم الرومان فقد كان الرومان يجبون
من المصريين سنويا حوالي ٢٠ مليوناً ، فأصبح العرب
لا يجبون سوى ١٢ مليوناً . والآن من هذا أن المدن والافراد
الذين كانت لهم امتيازات في عهد الرومان ، أبطلها العرب ،
وعاملوا المصريين جميعاً على قدم المساواة

ومما ينبغي ذكره هنا ما يقال من أن عمرو بن العاص ^{مكتب} الاسكندرية
أحرق مكتبة الاسكندرية ، وأعدم كثيراً من كتب العلم
التي ظلت زمناً نفياً ، للعالم سبل الفكر والعقل ، وتشيع
الثور في المدارس والجامعات .

وأنا مع حيننا للحق ، واحترامنا للجميع ، ليجب أن
تصرح في حزم أن هذه قرية ، فيها قرية ، وأن التاريخ
يكذب ذلك بكل قوة . لان عمرا ليس الرجل الذى يقدم

على مثل هذا ، اذ دينه وخلقه يبعدانه عن مثل هذا الجرم
 ثم أن العرب الذين ثبت أنهم احترموا الاديان التي يعتقدون
 كفر اتباعها . يبعد منهم صدور هذا ومع هذا فاقنا نرى
 أن تنقل انكم بالنص ما سجله مؤرخ انجليزى . اذ يقول
 ما ترجمته : لقد كثرا الجدل في أمر مكتبة الاسكندرية العظمى
 وطالما احتدم الخلاف في شأن احراقها وهل كان للعرب بد
 في ذلك عند فتحهم للمدينة أم أنهم لم يقارفوا شيئا من ذلك :
 والقصة كما أوردها أبو الفرج كما يلي : قد كان في ذلك
 الوقت رجل اشهر بين المسلمين اسمه حنالا جرومى ، وكان
 من أهل الاسكندرية وظاهر من وصفه أنه كان من قديمى
 القبط ولكنه أخرج من عمله اذ نسب اليه زينغ في عقيدته
 وكانت عزله على مجمع من الاساقفة وقد ادرك ذلك
 الرجل فتح العرب للاسكندرية واتصل بممرو فلقى عنده
 حظوة لما توسم فيه بصفاء ذهنه وقوة عقله من الذكاء .
 وعجب مما وجد عنده من غزارة العلم فلما آتس الرجل
 من ممرو ذلك الاقبال قال له يوما : لقد رأيت المدينة

كلها وختمت على ما فيها من التعف ولست أطلب اليك الا
شيئا لا نفع له عندك وهو عندما نافع ، فقال له عمرو ، وماذا
تعنى بقولك ، فقال (أعنى بقولى ما في خزان الروم من
كتب الحكمة) فقال له عمرو (إن ذلك أمر ليس لي أن
أقطع فيه رأيا دون إذن الخليفة) ثم أرسل كتابا الى عمر
يسأله في الامر فاجابه عمر قائلا (وأما ما ذكرت من أمر
الكتب : فاذا كان ما جاء بها يوافق ما جاء في كتاب الله فلا
حاجة لنا به وإذا خالفه فلا أدب لنا فيه وأحرقها) فلما جاء
هذا الكتاب الى عمرو أمر بالكتب فوزعت على حمامات
الاسكندرية فما زالوا يوقدون بها ستة أشهر ثم قال المؤلف
(فاسمع وتمجب) .

هذه هي القصة كما جاءت في الكتب العربية ، وقد
كتب أبو الفرج ما كتبه في النصف الثاني من القرن الثالث
عشر ، ولم يذكر المورد الذي نقل عنه قصته ثم نقله عنه
أبو الفداء في أوائل القرن الرابع عشر ثم المقرئ بعد ذلك .
لاغرو قد ذكر عبد اللطيف البندادي احراق مكتبة

الاسكندرية بأمر عمر حوالى سنة ١٢٠٠ ولكنه لم يبد رأيا فيها مما يشمر بأنه كان مصداقها. ولعلها كانت متداولة حينئذ، ولكن لم يرد لها ذكر مكتوب قبل مضى خمسة قرون ونصف قرن على فتح الاسكندرية^(١)

ثم يستعرض الدكتور بتلر، ظروف القصة وروايتها، وظروف المكتبة والاطوار التي مرت بها، وينقل نصوص التاريخ المعاصر في حرق المكتبة والزمن الذي حدث فيه ثم ينتهى بعد ذلك العرض الممتع إلى أن العرب لم يفتروا حرق المكتبة. ويسندل على ذلك بهذه الامور.

أولا: أن قصة احراق العرب للمكتبة لم تظهر إلا بعد نيف وخمسة قرون من فتح الاسكندرية.

ثانيا: أننا خمننا القصة وحللناها فوجدنا كل ما جاء بها سخافات مستبعدة ينكرها العقل.

(١) انظر فتح العرب لمصر ص ٣٤٨ - ٣٤٩ ترجمة فريد أبو حديد. طبعة دار الكتب الملكية.

ثالثا: أن الرجل (حنا الاجرومي) الذي تذكر القصة
أنه كان أكبر عامل فيها مات قبل غزوة العرب زمن طويل
وابما: أن القصة قد تشير الى وحدة من مكتبتين .

الاولى مكتبة المتحف وهذه ضاعت في الحريق الكبير
الذي أحدثه فيصر ، وإن لم تكن قد اتلفت عند ذلك فإما
تكون قد ضاعت قبل فتح العرب للاسكندرية بما لا يقل
عن أرامانة تام وأما المكتبة الثانية وهي مكتبة السرايوم
فأما أن تكون قد تفلت من للميد قبل عام ٤٩١ م وإما
أن تكون قد هلكت وصاعت كتبها ، فتكون على أي حال
قد اختفت قبل فتح العرب بقرنين ونصف قرن .

خامسا: أن كتاب القرنين الخامس والسادس الميلاديين
لا يذكرون شيئا من وجودها وكذلك كتاب أوائل
القرن السابع .

سادسا: أن هذه المكتبة لو كانت لا تزال باقية عند
ماعد (فيرس) صلحه مع العرب على تسليم الاسكندرية
لسكان من المؤكد أن ينص على نقل الكتب الى جانب المتاع

والاموال في مدنة المدة التي بين عقد الصلح ودخول
العرب في المدينة وقدر ذلك أحد عشر شهرا .

سابعاً . لو صبح أن هذه المكتبة قد نقلت أو لو كان
العرب قد اتلفوها حقيقة لما اغفل ذلك كانت من أهل العلم
كان قريب العهد من الفتح مثل رضا التقيوسي (ولما مر ذلك
عليه بدون كتابة حرف منه ولا يبق بعد ذلك شك في
الامر . فان الأدلة قاطعة ، كما أيد ذلك ثقات المؤرخين
ورواية أبي الفرج على هذا لاتعدو ان تكون قصة من
أقاصيص الخرافة ليس لها أساس في التاريخ ^(١))

واذ كان فتح الاسكندرية ، وتاسيمها الى العرب ، قد
تم بطريق الصالح الذي حمله فيرس من القسطنطينية الى عمرو
قائد الجيش العربي ، فالتا نؤثر أن تنقل هنا نص معاهدة
الصالح كما سجلها الدكتور بترل في كتابه (فتح العرب مصر)

(١) راجع فتح العرب من ٣٦٨ - ٣٧٠ في الفصل الخامس
بالمكتبة (الترجمة العربية) .

وقد سجل لنا أيضا مظهر مقابلة المقوقس لعمرو بعد غياب
طويل في منقاه الشاق الذي لقيه بسبب مهادنته للعرب في
عهد هرقل ، بالامس الدابر . يقول في ذلك :

كان القائد العربي قد عاد الى بابليون بعد أن فتح بلاد
الصعيد أو على الأقل بلاد مصر الوسطى ، كما يستريح
باصحابه في أوان فيضان النيل . وفيما كان هناك في ذلك
الحصن . وافاه (قيرس) . وقد جاء بحمل عقد الاذعان
والتسليم . فرحب به عمرو وأكرم وفادته . ولما علم منه
ما جاء من أجله من أمر الصالح قال له (لقد أحسنت في
الشخص (أينا) فقال البطريق . ان الناس قد عولوا على دفع
الجزية . کیا تقف ربح الحرب ثم قال (أن الله قد أعطاكم
هذه الارض فلا تدخلوا بعد اليوم في حرب مع الروم ^(١)

ويقال أن مقايضة قيرس مع عمرو استطالت مدة
طويلة ، ثم انتهت الى صلح كتب به عقد في نوفمبر

من سنة ٦٤١ م ، ويسمى هذا الصلح بصلح الاسكندرية
تميزا له كما أسلفنا عن صلح بابلون وهامى ذى شروط
الصلح كما أرفضاها ثقات المؤرخين :

(١) أن يدفع الجزية كل من دخل في المقد .

(٢) أن تعقد هدنة لشحو أحد عشر شهرا تنهى في
أول شهر بابة القبطى للثامن والمشرين من شهر سبتمبر
سنة ٦٤٢ م .

(٣) أن يبقى العرب في مواضعهم في مدة هذه الهدنة
على أن يعتزلوا وحدهم ولا يسموا أى سعى لقتال الاسكندرية
وأن يكف الروم عن القتال .

(٤) أن تسير حامية الاسكندرية في البحر وبحمل جنودها
معهم متاعهم وأموالهم جميعا . على أن من أراد الرحيل من
جانب البر فله أن يفعل على أن يدفع كل شهر جزاء معلوما
مابقى في أرض مصر في رحلته .

(٥) أن لا يعود جيشه من الروم الى مصر أو يسمى

لردها .

(٦) أن تترك الكنائس للمسيحيين ، ولا يتدخل المسلمون في شئونها بأي لون من التدخل .

(٧) أن يباح لليهود الإقامة في الاسكندرية .

(٨) أن يبعث الروم رهبان من قبلهم الى العرب كضمان لانفاذ عقد الصلح وحددت الرهبان بمائة وخمسين رجلا من غير الجنود .

وبعد ابرام هذا العقد أخذ الروم يغادرون المدينة (الاسكندرية) وهم يضمرون القدر ونقض العهد فقد عادوا بعد ثلاث سنين تقريبا ، وأخرجوا العرب من الاسكندرية ولكن هؤلاء استطاعوا أن يهزموهم ويعيدوهم الى بزنطة مرة أخرى .

وبهذا كان الخلاف في تقدير فتح المسلمين لمصر وهل كان صلحا أم عنوة بطريق القتال والمناجزة . ولعل في الالمامة الموجزة التي سبقناها ما يوضح المسئلة على حقيقةها ، فقد كان الفتح في أول الامر عنوة مع اعطاء عهد حربي بالامان لمن تعاقد معهم العرب في بابلينون ، ثم كان عهد الاسكندرية ،

فاجرى فتح مصر مجرى الصالح ، ثم لما أغار الروم وملكوا
الاسكندرية وتقصوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين نبذ
هؤلاء اليهم على سواء وأجروا فتح مصر مجرى البلاد التي
أخذت بقوة السلاح .

على أننا نجد فرقا ظاهرا بين حكم مصر من الروم ،
وبين أهالي مصر من القبط المسيحيين ، هؤلاء . في الواقع .
لم يكونوا أبدا أعداء للعرب ، وإنما كانوا يترقبون بالروم
الذين لم يخلصوا لهم وخصوصا في الوقت الذي دخل فيه
العرب فاتحين لاضطهاد الروم هؤلاء القبط بسبب عدم
اتفاقهم معهم في المذهب الديني .

فكانت معاملة الأهالي مختلف في نظر العرب ، عن
معاملة الروم إلا من دخل من هؤلاء في عقد ووفى لهم ،
فالذمة له مرعية مبدولة ، ولعل الطبري يوضح لنا هذا المسلك
من قائد العرب نحو القبط سكان مصر في تلك المعاهدة أو
عقد الأمان الذي أورده إذ يقول :

هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان

على أنفسهم ومالهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم ورممهم بحرم
لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ولا نساكنهم
النوبة . وعلى أهل مصر أن يدفعوا الجزية إذا اجتمعوا على
هذا الصايح وانتهت زيادة شهرهم . خـين الف الف عليهم
ماجنى لصوصهم ، فان أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من
الجزية بقدرهم وذمتنا من أبى برشة . وان نقص شهرهم من
خايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك . ومن دخل في صالحهم
من الروم والنوبة فله مثل مالهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن
أبى منهم واختار للذهب فهو آمن حتى يبيع مأمته أو يخرج
من سلطانتا ، عليهم ما عليهم اثلاثا في كل ثلث جباية ثلث
ما عليهم ، على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة
الخلافة أمير المؤمنين وذمة المؤمنين . وعلى النوبة الذين
استجابوا أن يمينوا بكذا وكذا فرسا على أن لا يهزوا
ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . وشهد عليه الزبير
وعبد الله ومحمد أبناء ، وكتب وردان وحضر ^(١)

(١) تاريخ الامم والملوك لابن جرير الطبري . والكامل في التاريخ
لابن الاثير ج ٢ ص ٣٩٦

نم إلى جانب عقد الأمان الساف برواية الطبري ، ياخص
 المقرزي ^(١) لنا عقداً ما بذله العرب للقبط من أهالي مصر ،
 في ستة مواد هي بمد الديباجة كما يلي :

(١) أن لا يخرجوا من ديارهم

(٢) أن لا يفرق بينهم وبين أزواجهم

(٣) أن لا يطردوا من فراخهم

(٤) أن لا تنزع منهم أرضهم

(٥) أن لا تزداد عليهم الجزية

(٦) أن يمنعوا من عدوهم

والمهم أن فتح مصر لم يكن كله عنوة ولا كله صلحا ،

بل ينبغي التفرقة بين الحكام الذين قاتلوا العرب ، ونقضوا

عهدهم معهم ، وبين الأهالي السالمين ، فمؤلا ، لهم عهد ودية ،

وأولئك لا عهد لهم ولا فقة ، وقد جعل عمر لهم دية ، حتى

إنه لما أراد عبد الله ابن سعد بن أبي سمره أن يأخذ أرضاً

من مصر دفع ثمنها ، لأن البلاد كانت لها ذمة محترمة إذ لم
تتأصب المسلمين العداء أما الذين تاجزوا العرب فقد طردوا
من البلاد ولم يبق لهم أثر بعد ، كما أننا آنفا

بنطابولس والـسواحل .

بعد أن تم فتح مصر ، سارع عمرو إلى إرسال الراية
إلى البلاد المجاورة فأخضعها لحكم العرب وبذلك جعل جميع
سواحل البعريين الأحمر والأبيض بديره بالولاء لحكم
الفسطاط وتابعة لدار الخلافة في المدينة

ولما كان عمرو ميالا بطيعة إلى الحرب والنضال ، راغبا
في بسط سيادة الاسلام على كل ما يمكن أن تصل اليه جيوش
العرب ، فإنه عدل على أن يرسل بعثا إلى بنطابولس وهو
الاقليم الذي يلي مصر غربا من بلاد الدولة الرومانية . وإذا
كان عمرو قد وظف نظم الحكم في مدة شهور الهدنة الاحد
عشر . حتى إذا ما انقضت تلك الهدنة ودخل العرب
الاسكندرية لم يبق عليه إلا أن يقيم المدينة وحدها نظامها
وقد أرسل عمرو فرقة مجهزة سارت غربا حتى وصلت إلى

برقة فاستولى عايبها ، وضمها إلى مصر . وحار بعد ذلك نحو
طراباس فاستطاع أن يهزم الروم بها بعد حصارهم فترة من
الزمن .

كذلك فتح عمرو مدينة (سيرة) التي تعرف الآن
بزرارة ، بدون خسارة تذكر ، وفي سيرة توقف عمرو ، ثم
ماد إلى برقة حيث جاءت فيبلة (لواته) وقدمت له فروض
الطاعة ، ثم عاد بجيشه إلى مصر وفي ركابه عدد لا يحصى من
الأسرى والغنائم

ولما عوده إلى شمال أفريقيا في عهد عثمان ومن تلاه
من أمراء المؤمنين حيث امتدت الفتوحات إلى بحر الظلمات
(المحيط الاطلانطى) ثم عبرت خليج الرقاق (بونغاز جبل
طارق) فتأسست في أسبانيا دولة اسلامية . إن شاء الله
على إننا لا نحب أن نقادر هذا المكان من مفاخر العرب ،
بدون أن نسجل وصف عمرو مصر لأمير المؤمنين عمر
بن الخطاب . فقد طلب عمر هذا الوصف ، فأجابه عمر هذا
« اعلم يا أمير المؤمنين ان مصر قرية غبراء وشجرة

خضراء طولها شهر وعرضها عشر بكتنفها جبل اغبر ورحل
 أغفر بخط وسطها نيل مبارك الفتوات ميمون الروحات
 تجري فيه الزيادة والفيضان كجري الشمس والقمر له اوان
 بدر حلابه ويكثر فيه ذبابه نمده عيون الارض ومتابعها
 حتى اذا اضلغم عجاجة وتعظمت امواجه فاض على جانبيه
 بحكم يمكن التخاص من القرى بمضها إلى بعض الا في
 صفار المراكب وضاف الفوارب وزوارق كأنهن في الخابل
 ورق الاصائل فاذا تكامل في زيادته نكص على عقبه كأول
 ما بدا في جريته وطأ في درنه . فعند ذلك تخرج أهل ملة
 مخفورة وذمة مخفورة يحرقون بطن الارض ويبذرون بها
 الحب يرجون بذلك الثاء من الرب اغفرهم ماسموا من كدم .
 قتاله منهم بغير جدهم فاذا أحرق الزرع وأشرق سقاء الندى
 وغذاء من تحته الترى فينبأ مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة
 بيضاء إذا هي عترة سوداء فاذا هي زمردة خضراء فاذا هي
 دياجة رقشاء فتبارك الله الخالق لما يشاء . الذي يصامع هذه
 البلاد وينميا ويقر قاطناتها فيها ألا يقبل قول خيسها في

رئيسها وإلا يستادى خراج غمرة إلا في أوانها وأن يصرف
ثلث ارتفاعها في عمل جسورها وترعها فإذا تقرر الحال مع
العمال في هذه الأحوال تضاعف ارتفاع المال والله تعالى يوفق
في المبدأ والمآل (١) .

ومن مآثر عمرو رضى الله عنه إبطاله عادة إغراق فتاة
النيل التي اعتاد المصريون أن يقدموها إليه كل موسم رغم
تنصر القبط وإيمانهم بالمسيح . ولكن حينما كان الفتح الاسلامي
وجد هذه العادة فأبطلها وأزالها ، وإن كان الدكتور بنكر
ينكر وجودها وقت الفتح العربي لمصر المسيحية . وهو قول
يعززه حسن الظن بأخوانه أكثر من أى شئ آخر في رأينا (٢)

(١) أنظر فتح العرب لمصر

(٢) أنظر نفس المصدر السابق

حروب عثمان

من هو عثمان :

كنا في تعريفنا بالخلافتين السابقتين نوجز جملة عن كل
منهما لتمطى فكرة عن الموجه لهذه الحروب ، وكانت الدولة
موحدة في الدين والسياسة وظلت كذلك طوال عهد أبي بكر
وعمر ثم تولى عثمان خلافة المسلمين ، وظل صدراً من ولايته
يسير قدما في الطريق القاصد لسلفيه العظيمين والدولة
الاسلامية تقيعه لا يشذ منها شاذ

ولكن بعد ستة أعوام من خلافته شرع دعاة مفرضون
يدفعون بالدولة في اتون ملتهب من اللداوة والبغضاء حتى
أوجدوا الانقسام في الامة ووضموا الفرقة بين أسرها
ورجالها

ولذلك فانا سنحاول في حديثنا عن هذا الرجل الوديع
الحبي (رض) أن نسهب بعض الشيء في تبيان حالة الدولة

في عهده الأخير ، بعد أن نجمل الحديث عنه وعن حروبه
الخارجية :

ترجمة عثمان : هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية
ابن عبد شمس بن عبد مناف فهو أموي قرشي . وأمه قرشية
كذلك ، ولد في السنة الخامسة من ميلاد الرسول وشب على
مكارم الاخلاق . وكان مشهوراً بالحياء الجم ، والعفة التي
لا تضاهي .

أسلم على يد أبي بكر الصديق في سنى الدعوة السرية ،
وتزوج ابنتي الرسول ، رقية وأم كلثوم وهاجر الهجرةتين ،
الحبيشة والمدينة . وحضر جميع المشاهد عدا بدر التي عاقه
هنا عمر بن الخطاب لزوجته المشرفة على الموت . وسفر بين المسلمين
والمشركين في عمرة الحديبية . ومن أجله بايع الرسول صحبه
بيعة الرضوان . أسهم في تبوك بقدر من المال لم يستطعه
سواء ، ووضع نفسه وماله وتفوقه تحت تصرف دينه ورسوله
كتب لأبي بكر وعمر ، وكان من كبار الشوري في
زمن الرسول وصاحبيه . ثم بعد أن طعن عمر اتفقت أغلبية

الشورى على استغابه خليفة بعده فساس الدولة خير
سياسة في أيامه الاولى ، ثم ابتلى بالفتن والدعاوى التى نشت
أباطيلها في الامصار ، إلى جانب أقاربه من بنى أمية الذين
زينوا له حسن تقديمهم على المهاجرين والانصار وأنه صلة منه
لأرحامهم ، فكانت المأقبة ماقتلوا عليك بعد في موضعه :

حروبه الخارجية :

بعد أن بلغ المد الاسلامى غاية في ما يدها غاية عهد عمر ،
إذ أزال الامبراطورية الفارسية من لوحة الوجود وضم أملاكها
إلى الخلافة ، وطرد الرومان من الشام وفلسطين ومصر
وطرابلس وبرقة ، وقسمت هذه الاقطار إلى ولايات على كل
منها أمير ياتمر بأمر المدينة ، لم يكن حين تولى عثمان شئ
من النضال بين المسلمين ومجاورهم يستحق أن يطلق عليه
مواقع مهمة ، بل كل ما حدث إنما هو أما إخضاع لأقاليم يحاول
الانتقاص ، وأما توسع في أنحاء صغيرة متاخمة

ولهذا فاتنا سنذكر أم الولايات التي قام أمراؤها ببعض
الحركات الحربية في عصر عثمان :

الكوفة : ومن أم الولايات التي كانت لها حروب ،
ولاية الكوفة وقد كان ميدانها في الري وأذربيجان ، وكان
بالكوفة أربعون ألف جندي مسلحين ، وقد رابط منهم
عشرة آلاف بالري ، ومثلهم بأذربيجان بعد فتحهما . وقد
انقضت أذربيجان في إمارة الوليد بن عقبة للكوفة ،
فأخضعها لحكم المسلمين

وحدث أن أرادت أرمينية أن تخرج على الخلافة
فمنعت الجزية والخراج فأرسل إليها الوليد ، أحد قواده
سلمان بن ربيعة الباهلي ، فأعادها إلى الطاعة

وفي إمارة سميد بن العاص على ولاية الكوفة ، ثم
فتح طبرستان . سار إليها بجيش كبير شمل بعض أبناء
المهاجرين والانصار ومنهم الحسن والحسين أبا علي ، والعبادة

أبناء عمرو وعمرو والعباس والزيبر، وحذيفة بن اليمان، وغيرهم
وقد صالح سعيد أهل طبرستان

وحوالي سنة ٣٢ هـ وصل عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي
إلى بحر الخزد (فزونين) حيث استولى على إقليم بلنجهر
جنوبي البحر.

ولكن الترك الضاربين حول البحر اجتمعوا وهجموا
على جيش المسلمين وأوقعوا به هزيمة شديدة ألجأت بعضهم
إلى الفرار إلى جرجان وجيلان، والبعض الآخر ارتد
جنوباً ووصل إلى أملاك الدولة الإسلامية

البصرة : أما البصرة فكانت لا تقل عن الكوفة أثرًا
في الفتح والتوسع، وكانت مغازبها في بلاد فارس وخراسان
وتغر السند والأقاليم المتاخمة لأملاكها ففي عهد عبد الله
ابن عامر انتفض أهل فارس وقتلوا أميرهم عبيد الله بن معمر
فسار إليهم ابن عامر وأوقع بهم هزيمة منكرة
وفي عهد ابن عامر قتل يزدجرد آخر ملوك الفرس
قتله بعض أتباعه كما أسلفنا

وحوالي سنة ٣١ هـ مضى أهل خراسان ، فسار اليهم أمير
البصرة في جيش كثيف فأكاد يشرف على الطبيين حتى
تلقاه أهلها طالين الصلح فأجابهم :

أما أهل قهستان فقد قاتلوا ودافعوا عن بلادهم ، ولكن
كرات المسلمين كانت شديدة ، فطلب القهستانيون الصلح
فصالحهم ابن عامر . وكذلك حذت نيسابور حذو طبرس
الاولى ، فمرضت الصلح بدون قتال

ومن أشهر قواد البصرة الاحنف بن قيس ، فقد فتح
هذا الرجل بجهته مدن طخارستان و مرو والروذ ، وصالح أهل بلخ
وأخضعهم ، ولم تمتنع عنه سوى خوارزم من تلك الجهات
الفارسية .

وقد عاد عبد الله بن عامر بعد أن ظفر بهذه الفتوح
إلى ولايته (البصرة)

الشام : أما الشام : فقد جمعت لماوية بن أبي سفيان ،
فأصبح قائد أجنادها جميعاً وكانت له غزوات مع الروم ، في
البحر واليهر ، وقد وصل لماوية إلى عمورية وأمكن

الحصون التي بين الشام وبين عمورية جماعة من الجند كسالم
تحميها من هجمات الروم ، ونحوى الحدود أيضاً من الاعداء
وقد امتدت فتوحات معاوية إلى أقصى بلاد أرمينية
من الشرق حيث أرسل قائده حبيب بن مسلمة قبائح قاليقلا
في أرمينية فأخضعها وصالح أهلها ثم استمر في فتوحه إلى
تقليس جهة باب الابواب جنوب غربي الخزر

وحوالي سنة ٢٨ هـ فتح معاوية جزيرة قبرص ، وهي
من الجزوات البحرية الناجحة التي جعلت المسلمين يفكرون
جدياً في مواصلة هذا اللون من النضال البحري المفيد مما
مكن لهم في تجهيز الاساطيل العظيمة فيها بعد ، ففتحوا
معظم الجزر في بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) وصبروه
بحيرة إسلامية

مصر : وأما في القسطنطينية فقد كان أميرها إلى أوائل
خلافة عثمان ، عمرو بن العاص ، وقد أسانفنا فتحه الاسكندرية
صالحاً ، والآن في سنة ٢٥ هـ أي بعد ثلاث أو أربع سنوات
نقض الروم الصالح وأغاروا على الاسكندرية ، فسار اليها

عمرو وهدم أسوارها وأوقع بالروم شر هزيمة ، وغنم كثيراً
من مراكب الاسطول الروماني

وقد أراد عمرو أن يمد رقعة ولايته في المغرب ، فأعد
جيشاً بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وسيره إلى
سواحل أفريقيا الشمالية ، وقد سار عبد الله وفتح في طريقه
كثيراً من المدن ، بعد طرابلس غرباً وقد عاد بعد أن غنم
حوالي المليونين ونصف المليون ديناراً

وفي أمانة عبد الله بن سعد على مصر ، أغار الروم على
مصر من الشرق ، فقابلتهم أساطيل المسلمين من الشام ومصر ،
وأوقعت الروم هزيمة ساحقة سميت فيما بعد بذات الصواري
وأنعم ما يمتاز به عهد عثمان (رض) أن أصبح للمسلمين
فيه أسطول بحري قوى ، ومهر المسلمون في الحرب البحرية ،
بعد أن كانوا يهابون البحر ور كونه فضلاً عن القتال فيه
ونجترى به هذا القدر من الفتوحات العثمانية ، انتعشت
عن أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الحروب .

أهم نتائج هذه الحروب :

فقد يخطئ من يظن أن حروب العرب في صدر الاسلام ، إنما كانت لغرض الفتح والتوسع ، للاستعمار أو المال والنفوذ ، وإرغام الدنيا على اعتناق مبادئ الاسلام كرها أذا بوها طوعا . ولذلك فإن مهمة المؤرخ الزبده من أشق المهام ، ولا سيما حين يمرض لبحث نتائج حروب تعتبر في زمننا الحاضر خاطفة . فقد استطاع هؤلاء العرب أن يفتحوا الدنيا المروفة حينئذ في أقل من جيل ، ومن الغريب أن تتركز هذه الفتوحات وتظل تشهد لهؤلاء الغزاة بالمعجزة والنضوج في الحرب وسياسة الشعوب ، بل في التعمير والانشاء ، وطرق الحكم والادارة ، مما جعل البلاد التي حلوها فأنحين تخضع لحكمهم ، لا كغضوع البلاد المحتلة اليوم ، بل طاعة المراضى المظلمين لأمثل إدارة شرعها الانسان لأخيه الانسان . فما هي الحوافز لهؤلاء العرب المسلمين إلى تملك بلاد الامم ، وما هي النتائج الحقيقية التي أثمرتها تلك الحروب على أن المتتبع لتاريخ المسلمين . وكيف ظلوا زمنا

- في بدء الدعوة - لا يستطيعون الجهر بعبادتهم ، ولا عبادة ربهم ، إلا سرا وخفية من الناس ، حتى إذا ما أحس العالم بدينهم طاردتهم وتآمر عليهم ، وأعلن حربا إجماعية على نبيهم ، فمؤلا سادة العرب وعلى رأسهم قريش ، قد يبتوا أمرهم على قتل الرسول وتثريد صحبه المسلمين :

وهذا امير اطور فارس يرسل اليه نبي الاسلام ورئيس الدولة الاسلامية محمد بن عبد الله ، كتابا بفيض رقة وعذوبة ، ويخلص له النصح وسبل الهداية ، فيجيبه بتمزيق الكتاب الكريم ، ويرسل إلى أحد عماله بأن يشكل بمرسله ، ويدأصل أنبأه حتى لا يبقى في الجزيرة من يقول لا إله إلا الله

وهذا امير اطور الروم يقف من المسلمين موقف المداء السافر ، فيعين المتمردون في مشارف الشام على المسلمين ويمددهم بالأسلحة والمتاد ، ويحارب العرب بالعرب ، وغير هؤلاء ممن حاربهم المسلمون لو فقتلنا عنهم من التاريخ الصحيح لو جددنا جميعاً قد يدهوا بالمداء ، وحاولوا الوقوف في سبيل المبادئ الاسلامية ، التي لم تكن إلا دعوة التحرير

والمساواة ، وشريعة الاصلاح المنتظر لثنى مناحى الحياة
 ونرى من هذه الالممة البسيطة ، أن الحروب
 الاسلامية في عهد النبي وخلفائه الراشدين ، ترجع جملة
 الاسباب التي شنت من أجهابها إلى أمرين اثنين هما : الدفاع
 عن النفس ، وحماية الدعوة الاسلامية وأما الأموال ،
 والنفوذ ، وتوسيع رقعة الدولة ، فهي أمور ترتبت على
 القتال بحكم الطبيعة وتاموس الكون

ويمكن تلخيص أهم الآثار والنتائج للحروب التي قام
 بها الخلفاء الراشدين بوجه خاص فيما يأتي :

(١) ظهور الامة العربية في الميدان الدولي :

فقد كانت هذه الامة وقت رسالة الاسلام ، موزعة
 هنا وهناك لا يجمعها ملك واحد تدين له بالولاء ، وليست
 لها سياسة موحدة ، ولا شريعة منظمة ، بل كانت منها جماعة
 تتبع الفرس في العراق واليمن ، وأخرى تدين للروم في الشام
 وما جاورها . وكانت شهرة العرب في التنازع والتنابد ،
 والمهجة والفوضى ، اللهم إلا ذلك الضرب من الفصاحة

القطرية والبلاغة البدوية التي لا يدلمهم فيها ، ولا شأت
لقومهم في تكلفها ، وما اشهر به العربي من الانفة والشجاعة
والكرم والتجدة ، والتي استقلها المستعمر من الفرس
والروم في ضرب القبائل بعضها ببعض ، ففرقوا بينهم
ليسودوا عليهم ، ويسخرها جزيرتهم لصوالحهم وشهوانهم
فلما توحدت الجزيرة ، وانضوت تحت شريعة الاسلام ،
أصبح للعرب شخصية ، ودولة قوية أمكنها أن تقوض
دول الفرس والروم ، وأن تؤسس على أنقاض الظلم والظفیان
والاستبداد التي أتعابها هؤلاء في الدنيا ، دولة مؤسسة على
التقوى من أول يوم ، فتساع العدل ، وعمت المساواة
وأخصب الناس في كل شبر دان بالاسلام ، ورضى بإدارته ،
وبذلك أصبح للامة العربية صفة نولية قوية ، وكانت الدولة
الاسلامية المعظمی

على أن من أهم الانقلابات المتتالية على ظهور الدولة
العربية في أحضان الاسلام ، ذلك الانقلاب الشامل الذي
غمر المعمورة كلها ، فلقد زالت امبراطورية الفرس نهائياً ،

وأصبحت أملاك الأكسرة قطعة من الدولة العربية الإسلامية ،
وغزت مبادىء الإسلام قلوب الفرس فدأوا - طوعا
لا كرها - بمبادئه ، وأسلموا الله ، وأصبحوا من أخلص
الناس لتعاليم محمد ، وشريعة القرآن

وليس الروم المسيحيون بأقل شأنا من الفرس ، فهذه
أملاك الدولة البيزنطية في آسيا وأفريقية تقطع من أباطرة
الروم ، وتتبع الدولة الإسلامية ، ويعتق الشاميون والمصريون
والأفريقيون إلا قليلا منهم - مبادئ الإسلام ، ويصبحون
عاملا قويا من عوامل نشره والدفاع عن دولته وهذا الانقلاب
ليس إلا وليد الحروب التي دافع بها العرب المسلمون عن
أنفسهم ومبادئهم فكان انتصارهم على الظلمة ، وتملك أرضهم
وديارهم ورعاياهم الذين رضوا بشريعة العرب ، وقوانين
الإسلام التي تضمن للجميع العدل والرحمة والمساواة

(٢) التطور في فنون الحرب والسياسة .

فقد كانت الحرب تنشأ بين الشعوب من أجل قطعة
من الأرض ، يراد تملكها ، أو بسبب اعتداء يقع على بلد

أو قبيلة ، ولكنها الآن تطورت فأصبحت الحروب بسبب
المبادئ ، فالمسلمون يريدون أن تكون مبادئهم هي السائدة
على الجميع والمشركون والمجوس وغيرهم يريدون سيادة مبادئهم
وهنا اصطدمت هذه المبادئ المتناقضة ، وأصبح اتباعها
وجها لوجه .

على أن هذا لم يكن كل شيء في التطور الحربي . بل نجد
لونا جديدا آخر ، وهو ما كان يعرضه الفزاة العرب على
أعدائهم من : الاسلام أو الجزية أو المناجزة . وعدم التعديل
في هذه الكلمات الثلاث حسب توقيتها . وهذا ضرب لم
يعرف لدى الفرس والروم ولا غيرها من قبل .

ثم هذه المماهدات ، التي ابنا بعضها منها فيما سلف ، لم
نكن مروفة بشكلها الاسلامي قبل ظهور الدولة الاسلامية
وحروبها .

على أن النتيجة الفريدة التي نجمت عن حروب
المسلمين بعد فتح البلاد ، هي تلك السياسة القذة التي أرضت
جميع الشعوب إلا من كان في قلبه حقد على العدل والمساواة

ممن كانت محمدتهم نفوسهم بالثورات والمصيان ، وهؤلاء
اضطروا المسمين احيانا إلى الشدة معهم والتكليف منهم .
لقد ساس المسلمون الشعوب التي فتحوها ، فأحببتهم
وقدرتهم ، وامتزجت معهم حتى كان هذا اللون البديع من
عبارة الاسلام في الشرق الاسلامي . واسيانيا ومصر
الاسلاميتين ، وغيرهما .

٣- ومن أهم النتائج التي وثبتت على لحروب . إلى
جانب توسيع رقعة الدولة ، ونشر مبادئ الاسلام في البلاد
المفتوحة وانتشار العلوم والحضارة العربية . - تسرب
المبادئ الاسلامية إلى الملل والنحل الاخرى ، التي كانت
تدين بها الامم المجاورة ، وقد زالت بعض هذه الديانات
بعد أن التقت بالاسلام . في أول جولة ، من جولات النضال
وذلك يظهر بوضوح في بيانات القرس من زناد شقية ،
وما توبة ومزدكيه ، ومن تلك الديانات ما صمدت ، ولكنها
بدأت تعدل في مبادئها وفقا لما يتأدى به المرب في كل مكان
من توحيد الله . ونلاحظ هذا التعديل بعد الاسلام ، في الخلاف

الذي نشأ حول عبودية المسيح والوهينه والوهية الضراء
وبشريتها، وعبادة الصور وتقديسها، أو اعتبارها أمورا
عادية، ولقد تفاهت هذا النزاع بين قسامة المسيحية ولا
سب في برزخه وإياصوفيا حيث كن المسامون والمسيحيون
يأتمقون كثيرا ويتعاضدون في الدين وغيره بحكم العادة، ولعل
كثيرا من مذاهب المسيحية يدين بوجوده لتعاليم محمد والقرآن
فالفنوحات الإسلامية إذن أنتجت تمديلات كثيرة في
المأل والديانات الأخرى، بل أن الباحث عن خشوه الفرق
المسيحية أو جلها، وكذلك اليهودية، يرى أن أساسها
احتكاك هؤلاء بالمسلمين وتسرب الإسلام بعبادته الصافية
الصريحة إلى نفوسهم.

وعلى الجملة فإن حروب الراشدين التي كن هدفها - كما
أسافنا - الدفاع عن النفس والمبادئ قد أنتجت ثمرا شهما
طيبا في تأمين النفس والمبادئ، وأصبح الراكب يسير من
صنماء إلى بصرى، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه
كما أخبر رئيس الدولة الأول صلى الله عليه وسلم.

هذا فضلا عن ذلك الابتكار والتجديد في نظم الحكم
والادارة مما سجله علماء الدنيا بالحمد والثناء على العرب الفاتحين
وأسلوبيهم الخازم في معاملة الشعوب التي دانت لدولتهم أمدا
طويلا ، وخضعت لسلطانهم فترة غير قصيرة .

ونجترى بهذا القدر من نتائج حروب الخلفاء ، لفسرع
بكم إلى فترة غامضة من حقب التاريخ الاسلامي . ونذك هي
ثورة الامصار على الخليفة الثالث ، وما انتهت إليه ، ثم خلافة
علي ، ونزاعه مع معاوية وكيف انتهى هذا النزاع

ومع اكفهر اربيل الحوادث المتناقضة في هذما الحقبة ،
فاننا نرجوا أن نوجز كلمة في هذا تعطيك فكرة واضحة منه
قطعتون إليها باذن الله تعالى ، على أن نعود لتفصيل أوفى
في الكتاب التالي

ثورة الامصار الاسلامية وأسبابها :

من أهم أسباب الثورة تلك الدعاية الخبيثة التي تولى

بها ابن السوداء ^(١) وألف لها أنصارا يدعون لمذهبها في
الوصية والرجة ^(٢) ، والظمن على ولاية عثمان بما زعموه أمرا
بالمعروف ونهيا عن المنكر .

ومن أم الأسباب أيضا عزل عثمان ممال عمر ، وتولية
بذلهم من أقاربه ، فعزل عمرو بن العاص عن القسطنطين ، وولى
بدله عبد الله بن سعد ، وعزل أبا موسى الأشعري ، وعزل
الغيرة بن شعبة وولى على المراق عبد الله بن عامر ، وجعل مروان
وزير الخلافة الأولى ، والمتصرف في جميع شئونها . ومعاوية
مستبدا بأجناد الشام ، وبذلك أصبح المهاجرون والأنصار
ليس لهم من أمر الدولة شيء . وقد قامت بسيوفهم
ونقض حياتهم .

(١) هو عبد الله بن سبأ أحد يهود اليمن الذين أسلموا
بأقوالهم ولم تؤمن قلوبهم ونظم دعايته لبوقع القوضى بين المسلمين
في عهد عثمان .

(٢) من مبادئ الشيعة القول رجعة الرسول بعد موته ،
ويقولون ذلك على رجوع موسى من التيه ، كذلك يقول ابن
السوداء بأن الرسول نزل على خلافة علي بعده ، ووصى المسلمين
في نهي وضعوه كتباً على رسول الله .

ولذلك تفاعلت هذه الاسباب مجتمعة ، وكانت تلك
الثورة الجامعة التي لم يستطع كبار المسلمين أن يحولوا بينها
وبين هدفها الوحيد من عزل عمان أو قتله إن لم يقتل .
ولما ارتفعت الشكوى من عمال عمان ، واستبدادهم
بالريعية في أماراتهم ، ذهبت وفود من الفسطاط والبصرة
والسكوفة متطلعة من أمراء عمان في نواحيهم ، وقد حاول
عمان أن يصاحح الامر ويتلاقاه كما تكلم على عدة مرات في
هذا الشأن ، وصرف الوفود إلى بلادها ولكن عمان
بتحريض مروان بن الحكم أبي الاستماع إلى نصائحه ،
وأخيرا جاءت الوفود إلى المدينة تحمل كتابا من مروان ، كتبه
بخطه ، وختمه بخاتم الخليفة وأرسله مع ورش قلام عمان إلى
عامله على مصر يأمره الخليفة بقتل الذين وفدوا على المدينة
ولقد عرض هذا الكتاب على الخليفة عمان ، فصرح بأنه
لا يعلم من أمره شيئا ، وهنا طلب منه الثوار أن يسلم إليهم
مروان ليقتضوا فيه بما أمر الله فأبى أن يسلمه ، فاستشاطوا
غضبا ، وحاصروا الخليفة في بيته . ويقال أن أقاربه نخلوا عنه

وقت الشدة وهربوا من المدينة ولكن علياً وأولاده ومواليه
دافعوا عنه دفاعاً مشهوداً بحيث لم يستطع المتآمرون أن
يتغلبوا عليهم إلا بعد جهد عظيم .

وأخيراً تساق اثنان منهم جدار بيته وقتلاه وهو ابن
٨٢ سنة أو ٨٦ سنة ، وكان ملتجئاً ، متوسط القامة ، بارز
عضلات الوجه ، وقد كانت تموزه قوة العزيمة وصلابة الرأي
يبدانه امتاز بالجلود والكرم ، ومما أذيع عنه أنه أهدى
مروان في عدة مناسبات أموالاً طائلة من بيت المال ،
وكذلك ابن سعد وغيرهما من أقاربه مما جلب عليه ضغط
الرأي العام

وما قتل عثمان ، بوبع لعل رضى الله عنه . وقد كان في
خلال عهد الخلفاء الثلاثة أحد أركان هيئة الشورى فلم يأل
جهداً في مساعدتهم وتزويدهم بالارشادات القيمة
كذلك ينسب كثير من الأعمال الإدارية العظيمة التي
تمت في عهد عمر إلى إرشادانه . إذ كان في الواقع يعتمد عليه
ويركن إلى نصحه ، فأتابه عنه مدة سفره الى الشام .

قيمة
من

ولكن عليا كان دائما في جميع أطوار حياته مستقل
 الرأي ، لا يدهن ولا يرأى ، متفرغا إلى العلم ونهـ. ذيب
 أولاده . ويقال أنه حين افضت إليه الخلافة توجه إلى الجامع
 النبوي يسامته المعهودة ، وأخذ يتقبل البيعة من الناس ،
 وهو متوكي . على قوسه الطويل وكان فيما قال : انه مستعد
 للتنازل عن الخلافة لمن هو أحق بها منه : وأنه ليخيل للمرء
 حينما يوبع على أن الكل سيطأطي ، هامته أمام هذه المظنة
 الثلاثة الطاهرة ، ولكنه قدر غير ذلك : فلقد أحاط به في
 بادئ الامر عداء بني أمية ، ولكنه لم يحتط للدسائس ، وأبى
 أن يفر عمال عثمان مدفوعا بشرف الغاية التي كانت من أبرز
 ميزاته .

وعلى الرغم من النصائح المتكررة التي اسديت إليه
 لمسايرة الظروف . فقد أصدر أمرا بانتراع الاملاك التي
 أقطعها عثمان لأقاربه وأتباعه من بيت المال ، وقسم الخراج
 طبقا للقواعد التي سنها عمر . فجلبت هذه الاجرات الحازمة
 سحق الذين أثروا في العهد الماضي ، وقد تنازل بعض المال

من مناصبهم بدون مقاومة ، بينما رفض بعض النزول على
 أمر الخليفة ، وكان زعيم حركة المقاومة معاوية أمير الشام
 الذي جمع من ولايته نزوة طائفة وأعد تحت امرته جيشا لجلبا
 يدين له بالولاء ، وهكذا أعلن معاوية العصيان بعد أن
 احتاط للأمر واستعد للمقاومة (١)

(١) أنظر ترجمة وافية لعمى ، وتبرز الأحداث في عهده في
 الملحق الخاص به في آخر الكتاب .

تذييل

على بن أبي طالب

ترجمته - أبرز الأحداث في خلافته - مقتله ونولية الحسن

ترجمة على :

هو على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف ،
فهو ابن عم رسول الله لأن أبا طالب وعبد الله أخوان شقيقان
وأمه فاطمة بنت أسد . ولد قبل الهجرة بأحدى وعشرين
سنة . وكفله الرسول وهو صغير ولما بعث صلى الله عليه وسلم
كان على أول مسلم من الصبيان نام مكان الرسول ليلة الهجرة
مضحياً بنفسه في سبيل الله وزوجه النبي ابنته فاطمة فأنجبت
له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب الكبرى .

شهد المشاهد كلها عدا نبوك فقد أذن له الرسول ليكون
خليفة عنه في أهله . عرف بالشماعة وقوة الإرادة والفقه في الدين
والسلوك القاصد لسبيل الرسول ؛ أما فصاحته وبلاغته فنضرب

الامثال ومخط الرجال يبيع للثلاثة وهو مطمئن النفس ، مع
 أنه أحق منهم بها في رايه ، ولكنه يحن الوحدة ، ويحب
 الجماعة . يبيع له بعد قتل عثمان وهو نكراه وخاض الحروب
 التي أعانها بعض المسلمين على خلافته وهو متذمر ثم يدع
 بابا من أبواب الوفاق فلا مشرفة ، ولا نافذة من يوافد الصلح
 وجمع الشمل لا فتحها ولكنه الجيء ، وجاء ، وأكره أكرها
 على خوض حرب أخوية . ومكره أخاك لا بطل . رضى الله
 عنه وكرم وجهه وغفر الله لنا وله ولداثر المسلمين

عظمت وبعد أن تولى الخلافة . سعد المنبر بحمد الله وأثنى عليه
 ثم قال : إن الله عز وجل أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر
 تحذوا الخير ودعوا الشر . المرائض أدوها إلى الله سبحانه
 يؤدكم إلى الجنة . إن الله حرم حرما غير مجهولة ، وفضل حرمة
 المسلم على الحرم كلها . وشدد بالاخلاص والتوحيد المسلمين
 والمسلم من ستم الناس من لسانه وبدءه إلا باحق . ولا يحل
 اذى المسلم الا بما يجب . بادروا أمر العامة ، وخاصة أحدكم
 الموت . فان الناس أمامكم وان ما من خلقكم الساعه تحذوكم

تخففوا تاحقوا ^١ فانما ينتظر الناس أخراهم . اتقوا الله عباد الله
 في عبادته وبلاده انكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم .
 أطيعوا الله عز وجل ولا تمصوه . وإذا رأيتم الخير فخذوا به
 وإذا رأيتم الشر فدعوه . واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون
 في الأرض .

كان أول شيء عمله على بعد البيعة أن أصدر أمرا بعزل أول أمراء
 جميع أمراء الامصار في العهد العثماني . وذلك قبل أن تصل
 اليه بيعة أهل الامصار . وقد حاول انغيرة وابن عباس أن
 يصرفاه عن ذلك فرفض رفضا باتا . ثم فرق عماله إلى جميع
 الامصار . فتم من تمكن من الدخول في ولايته الجديدة .
 ومنهم من حيل بينه وبينها فعاد إلى المدينة .

ومن أشهر الذين رفعوا لواء العصيان معاوية أمير الشام
 الذي رد سهل بن حنيف عامل على الجديد . وأرسل إلى علي
 كتابا يخبره بعدم الطاعة له حتى يأخذ بثأر عثمان من قتلته
 وقد لج معاوية في الخصومة فيما بعد حتى اتهم عليا نفسه
 بالشركة في دم عثمان

وحذا حقو الشام الكوفة ، فقد ردت أميرها عمارة
 ابن شهاب . أما البصرة ومصر فقد انقسمت على نفسها ،
 واستطاع الأمير الجديد أن يدخلها ويعالج بعض أمورها .
 أما اليمن فإن عليا أرسل إليها ابن عمه عبيد الله بن عباس
 فدخلها وضمها إليها ، ولما كان بعد أن جمع الأمير العثماني
 كل ما في بيت المال وحمله ولجأ إلى مكة .
أبرز الأحداث في عصره :

أبرز الحوادث في خلافة علي - وكل أيام الرجل حوادث
 دامية - إلى جانب عزل العمال والعصيان من كل ناحية .
 موقعة الجمل التي سببها خروج طلحة والزبير وعائشة ،
 وانضمام بني أمية إليهم ، ثم محاولة هؤلاء أن يدخلوا البصرة
 ويحكموها ، فكانت تلك الواقعة الدامية التي ذهب فيها
 كثير من رجال الإسلام وأبطال الدولة ، وعلى رأسهم
 طلحة والزبير وذلك في رجب من سنة ٤٠ هـ .

نم لم يكذبند مل جرح (الجمل) حتى أعقبها (صفين)
 بين علي ومعاوية ، وقد استنفد على جهده مع معاوية في

سبيل الصالح ومراجعة الجماعة ، ولكنه باء بالفشل فلم يكن
 بد من القتال . فالتقى الجمعان المسلمان الاخوان في سهل صفين
 بين الشام والعراق ، وأخذ الفريقان يتناوشان ببعض الكتاب
 من الخيشتين طوال شهر ذي الحجة من سنة ٤٣٦ هـ . فلما أهل
 الحرم من سنة ٤٣٧ هـ نودع الفريقان الى انقضائه طمما في
 الصبح . واختلفت الرسل بينهما ، ولكن لم تسفر هذه
 الرسائل والرسائل عن نتيجة حاسمة للمصالحة ، ولذلك ما كاد
 يهل شهر صفر من سنة ٤٣٧ هـ . حتى عبا الطرفان قوائمه
 وشرعا في الحرب على طريقة الفرق المصفرى السابقة .

وحوالى ٨ من صفر سنة ٤٣٧ هـ أصدر على أمر بالهجوم
 العام لوضع حد لهذه المناوشات التي لا تكاد تنهى ، وبذلك
 التحم العراقيون بالشاميين ، وظلوا يومين كاملين يقتل بعضهم
 بعضا ولا غالب منهم . ولا مغلوب .

ولكن بعد ليلة اليوم الثانى (ليلة الهرير) اشتد
 الامر على أهل الشام . فطلبوا التحكيم ورفضوا المصاحف
 على أسنة الرماح . ينادون : هذا كتاب الله بيننا وبينكم .

من تغور الشام بعد أهل الشام . من تغور العراق بعد
أهل العراق .

ولما رأى أهل العراق ذلك طلبوا من علي إجابة أهل
الشام إلى كتاب الله . فلما أفهمهم أن هذه خدعة ، وأن الخير
لهم أن يصبروا ساعة ليكون النصر تاما . لم ينصاعوا لنصحه
فأوقف على القتال . ثم كان التحكيم ، وكان المشل الذريع
في صفوف علي ، والنصر الهائل في صف معاوية .

فقد أعلن عمرو بن العاص خلافة معاوية ، وانقسم
اتباع علي على أنفسهم ، فمنهم من تبعه لسياسة علي في حرب
أهل الشام ، ومنهم الخارج عليه لثروده في دينه وسياسته
وهؤلاء هم الخوارج الذين زعموا أن عليا حكم الرجال في دين
الله . فهم يطلبون منه أن يتوب بعد أن يقرأ أمامهم بأنه كفر
ثم هم يسرون معه إلى عدوم وعدوم .

واسكن عبثا حاول علي أن يقنعهم بالمدول عن هذه
الفتنات الباطلة ، وكانت بينه وبينهم مواقع في النهروان
وغيرها

تبع
النكبة

وفي رمضان من سنة ٤٠ هـ تأمر الخوارج على الفتك ^{مقتل على} ^{وبيته الحسن} بعلي ومعاوية وعمره ، ولكن نجح الاخيران . وأصاب قضاء الله عليا فاستشهد في المسجد . في ١٧ من رمضان من سنة ٤٠ هـ فبويح لابنه الأكبر (الحسن بن علي) في رمضان من نفس العام وقد أخذ الحسن على طائفة من أول يوم أن يكافح معاوية الذي اشتدت شوكته حتى اقتطع كثيرا من أملاك الخلافة الهاشمية في العراق نفسها بعد أن ضم إليه مصر وبعض البلاد الأخرى وقضاء المصادقات السيئة أن تقوم ثورة في المشرق الإسلامي التابع لخلافة الحسن فيخرج الحسن على رأس جنده لاثماد الثورة وبينما يحاول الحسن تسكين الفتنة في هذه الناحية ، يشور جنده ويسبون متاعه ويحاولون الاعتداء عليه حتى لقد هدد بهمض منهم بتسليمه الى معاوية . وهنا فكر الحسن جديا في ترك هذا الجند المتقلب الذي لا يثبت على رأي ، ولا يدافع عن عقيدة . فكتب الى معاوية بدعوه للصالح والجماعة . ويخبره أنه مستعد لعكس

الموقف الذي وقفه أبوه من قبل .

وقد كانت عيون معاوية مبثوثة في جيش الحسن نفسه
فوصلت انباء التمرد من جيش الحسن قبل أن يفكر الحسن
في مراسلة معاوية . ولذلك يقال ان معاوية أرسل رساله الى
الحسن لينذله ما يحب في فرطاس أبيض ختمه من أسفله
وطلب منه بأن يكتب كل ما يحب وهو محبيه إليه .

وفي هذا الوقت أرسل الحسن رساله وكتابه الى معاوية
حتى كانت رسل الرجلين في طريقهما الى الشام والعراق في
وقت واحد وبدون علم واحد منهما برسالة الآخر .

ولقد تم تنازل الحسن بشروطه في أواخر ربيع الأول
من سنة ٤١ هـ . وبذلك ختمت تلك الصفحة الدامية من
صفحات النضال العنيف بين الهاشميين والامويين باتتصار
هؤلاء ، وتأسيس دولتهم الاموية التي ظلت تحكم حتى سنة
١٣٢ هـ حيث أزالها بنو العباس من دمشق ، وأقاموا على
انقاضها في الكوفة فينداد دولة هاشمية . - عمرت حتى
سنة ٦٥٦ هـ . والملك لله يوتييه من يشاء ،

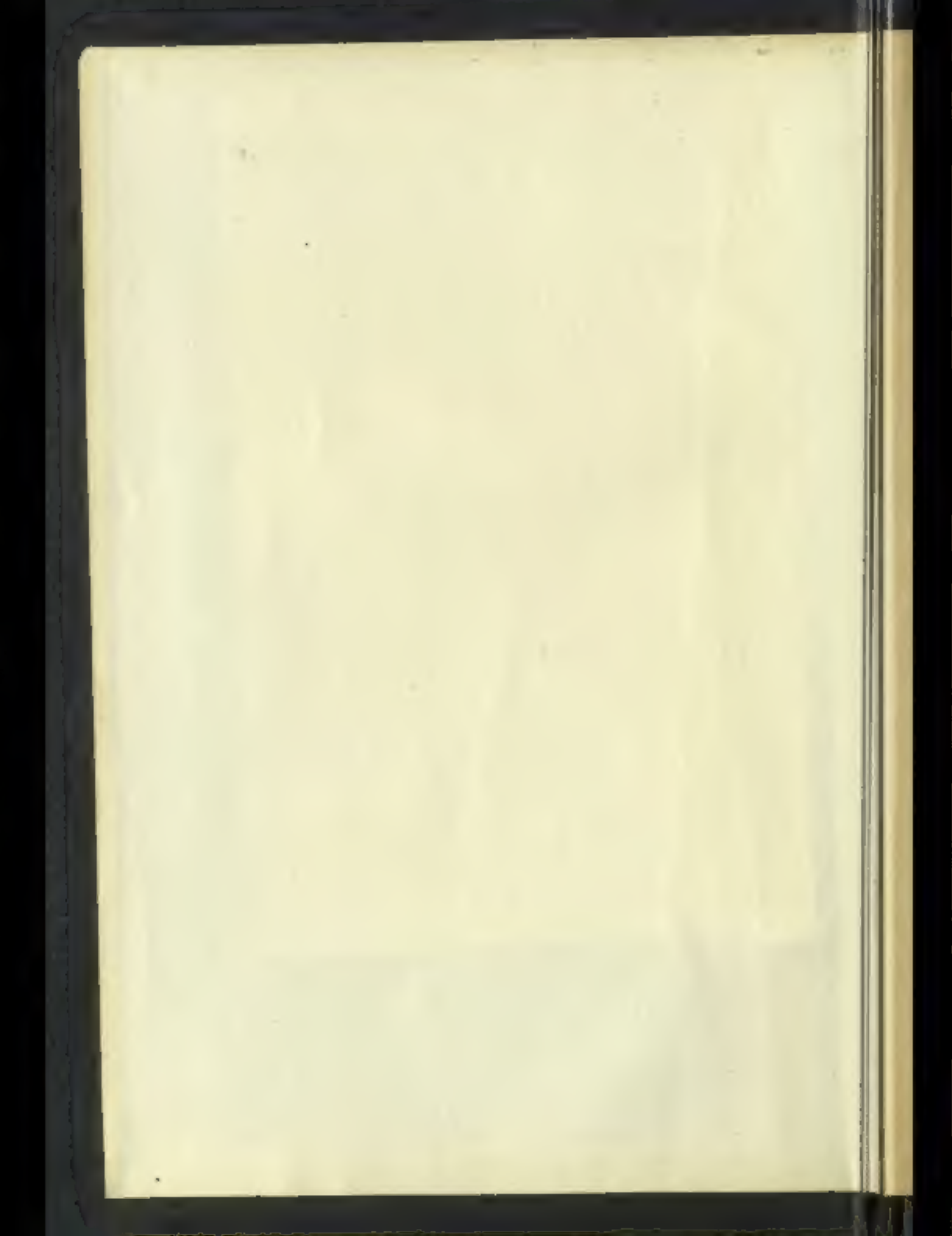
الخطا والصواب

السطر	الصفحة	الخطا	الصواب
٥	٤	منحة	حننة
٣	٥	قاستدلوا به	قاستندوا اليه
٢ حاشية	٦	مختصر تار يخبره	مختصر تار يخ العربى ٥٠
٨	٧	على فراش	على فراش الموت
١٣	٨	ايا عبيدة	ابا عبيد
١٤	٨	سرعا	مسرعا
١	١٠	مقطوعة	منطوعة
١	١٠	عدد الغير	عددا غير
٤	١٠	المودة	الردة
٢ حاشية	١١	الذين	الذى
٢	١١	بمدوم	بمدوم
٤	١٢	عملوا	و عملوا على لم

السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
٥	١٢	القرزان	الغيزان
٥	١٤	رهقاء	رهقاً
٨	١٤	جمها	جموع
١٢	٤	زهو	رموه
١٤	٤	تلقوا	تلثوا
٦	١٥	المجتين	المجنبتين
٨	٤	بريمه	برميه

هــذا نموذج من بعض الاخطار ونكل الى فطنة

القارىء اصلاح ما يصادفه من اشباهها والله الموفق وحده



DATE DUE



بکیت - عبد الحمید
الخلافة الإسلامية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



8-400112



AMERICAN
UNIVERSITY of BEIRUT

PLATE I